كشكول دستغيب



السيد عبد الحسين دستغيب

دار المحجة البيضاء

كشكول مكتئب

كشكول دستغيب

تأليف

السيد دستغيب

دار المحجة البيضاء

دار الرسول الأكرم (ص)

الطبعة الثانية

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م



حارة حريك - شارع الشيخ راغب حرب - قرب نادي السلطان

ص.ب: ٥٤٧٩ / ١٤ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧

E-mail:almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com

info@daralmahaja.com

مقدمة المترجم

الحمد لله الأول قبل الإنشاء والإحياء، والآخر بعد فناء الأشياء، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء محمد وآله الطاهرين الأصفياء.

ثمّة أسلوبان في تناول موضوع العقيدة الإسلامية وطرحه لوحظا في كتابات المؤلّفين والعلماء في القرن الأخير:

ـ الأسلوب التنظيري والعقلي المحض.

ـ والأسلوب الاستدلالي الممتزج بالشواهد التاريخية والقصص القرآنية والسيرة النبوية.

والملاحظ أن الجيل الحاضر يبدي رغبةً أقوى وإقبالاً أوسع على الأسلوب الثاني، ربّما لكونه بعيداً عن الملل والسأم، خالياً مما يثير الضجر، متحاشياً للنزعة التقليدية والفكريّة المحضة.

وبالرغم من أن الأسلوب الأول على جانب كبير من الأهمية والقيمة العلمية والفائدة الفكرية، وهو الرائج في المراكز العلميّة والمؤسسات التعليمية والأكاديمية والمرجّح عند الدارسين دراسة منهجية، إلاّ أن المسحة الأدبية والنكهة التاريخية والأساليب العصرية ذات الجاذبية أخذت تستهوي الكثيرين إليها وتستحوذ على مجال واسع في المكتبة العربية وفي الأوساط الشبابية والطلابية الواعية.

والمطالع لكتب آية الله الشهيد دستغيب يجدها مليئة بالشواهد القرآنية والقصص المستخلصة من سيرة الأنبياء والمرسلين وخاتمهم نبينا

محمد (ص) وأئمة أهل البيت (ع) باعتبارها عبراً لأبناء هذا الجيل ولشريحة الطلبة والشباب والمثقَّفين «لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب» ولتكون سلاحاً لهم بوجه الغزو الثقافي الأجنبي للعالم الإسلامي وسراجاً منيراً يستضيئون به في مسيرتهم الصاعدة، وليتزودوا منها بالأدلة والشواهد والبراهين في شتى فروع العقيدة الإسلامية ومجالاتها.

والكتاب الذي بين يديك - عزيزي القارىء - جهد استقصائي واسع ورائع في كتب الشهيد دستغيب ومؤلَّفاته القيمة التي تناهز الأربعين مجلَّداً، ويمكن القول أنه يشبه في مضمونه العام - إلى حد ما - كتاب (قصص الأبرار) الذي ألّفه الشهيد مرتضى المطهّري، إلاّ أنه مبوّب كلُّه تحت عنواني (التوحيد والنبوّة) وقد قمتُ بتعريبه خدمةً للناطقين بهذه اللغة وقارئيها، نظراً لحاجة المكتبة العربية لمثل هذا الكتاب، بعد أن شعرت أنه ينطوي على فائدة عظيمة للقرّاء الكرام ويلقى إقبالاً واسعاً من جيل الشباب.

وقد قمت - أثناء الترجمة وبعدها - بتنظيم فهرس الأعلام وتطعيمه، وزودته بفهرس جديد هو فهرس البلدان والأماكن، وراجعت كثيراً من مصادر قصصه وأثبتُّها في الهوامش، وحشّيته بإضافات مفيدة وخرّجت ما فيه من آيات القرآن.

وسيجده القارىء ذا أسلوب شيّق وتعابير بسيطة مأنوسة بعيدة عن التعقيد والغموض والتكلُّف، على أنّه موشّح بالعبارات الأدبية البليغة، والمفردات العربية الجميلة، والمفاهيم الإسلامية الأصيلة، وهذا لا يعني - طبعاً - أنه خالٍ من النقص أو الخلل أو الخطأ، إذّ الكمال لله وحده وكلُّ ابن آدم خطّاء...

والله من وراء القصد...

رعد هادي جبارة

ذو الحجة ١٤١٣/حزيران ١٩٩٣


الفصل الأول
التوحيد

(١)

البهلول وأبو حنـيفة

يوماً كان البهلول ماراً بالقرب من مسجد فرأى أبا حنيفة جالساً يحيطه ثلة من طلابه وهو يلقي عليهم درسه المعتاد، فوقف البهلول وأخذ ينصت لكلام أبي حنيفة، فسمعه يقول:

سمعت الصادق يقول أموراً أدهشني سماعها، فإنه يقول: (إن الله لا يمكن أن يرى لا في الدنيا ولا في الآخرة) فتعجبت لقوله، فهل يمكن لشيء أن يكون موجوداً لكنه لايرى؟

وسمعته يقول: (ان الشيطان سيُحرق في نار جهنم) فتعجبت لقوله أيضاً لان الشيطان هو نفسه مخلوق من النار، وما خلق من النار لا يُعذَّب بها.

وسمعته يقول: (ان الناس مسؤولون عن أعمالهم) ولكنني أعتقد أن كلَّ أعمالنا مرتبطة بإرادة الله ومردّها إلى مشيئته، وأننا لسنا مسؤولين عن أعمالنا.

وأراد البهلول أن يجيب على ادعاءات أبي حنيفة فاستخدم في ذلك أسلوب (من فمك ادينك) إذ رفع حجراً ورمى به أبا حنيفة فسقط على أم رأسه، فشكاه إلى القاضي، فما كان من الأخير إلاّ أن استدعى البهلول إلى المحكمة وسأله عن سبب اقدامه على هذا العمل الذي أدّى إلى إصابة رأس أبي حنيفة بوجع شديد فأجاب البهلول:

ـ أيها القاضي!

يقول أبو حنيفة: (كل شيء موجود فهو مرئي ومشهود حتماً) وهو

يدعي أن رأسه مصاب بوجع وألم، فإذا كان ادعاؤه صادقاً فليرني «الألم والوجع»!

وهو يقول: (بما أن الشيطان مخلوق من النار فإنه لا يحترق بها) وأبو حنيفة مخلوق من التراب والحجر من التراب أيضاً، إذن فينبغي أن لا يؤلم الحجر أبا حنيفة أو يجرحه، فإذا كان يدّعي أنني أوجعت رأسه وجرحته بالحجر فإنه كاذب في ادعائه!

وهو يقول: (ان الإنسان ليس مخيراً في ما يقوم به وهو مسخّر لإرادة الله ومجبور على أعماله بمشيئة الله) فإن كنت ضربتُ رأس أبي حنيفة بالحجر فإني لستُ المقصّر في ذلك وعليه أن يشكو الله لا أن يشكوني!

فبهت أبو حنيفة ودهش لسماع أجوبة البهلول وخرج من المحكمة بعد أن أسقط ما في يده وخاب سعيه.

فالتفت القاضي إلى البهلول وعفا عنه وأطلق سراحه[١].

* * *

(٢)
التلميذ الذكي

كان لأحد العلماء تلاميذ كثيرون، وبعضهم تتلمذوا على يديه لفترة طويلة وأمضوا جلّ حياتهم الدراسية في حلقة درسه. وكان بينهم تلميذ صغير السنّ يحبه الأستاذ أكثر من بقية طلبته بالرغم من كبر سنهم، وهذا ما أزعجهم وخصوصاً انهم تتلمذوا مدة أطول عند ذلك العالم.

ويوماً ذهب الطلبة إلى أستاذهم وعبّروا عن استيائهم لكونه يكن له حباً أكثر منهم ويحترمه أكثر مما يجب، فأجابهم الأستاذ: على الرغم من قصر الفترة التي درس فيها عندي بيد أنه يملك شيئاً لا تملكونه مما يجعله

---

(١) القلب السليم/ الجزء الأول/ ص ٢١٣.

يمتاز به عنكم، وسوف أثبت ذلك لكم وأبرهنه قريباً.

وبعد مرور بضعة أيام، أمر الأستاذ تلامذته بأن يذبح كلٌّ منهم دجاجة في مكان لا يراه فيه أحد.

وفعلاً، استجاب التلاميذ لطلب أستاذهم واختار كل واحد منهم مكاناً اختفى فيه وذبح الدجاجة، وجاءوا أستاذهم في الغد حاملين دجاجاتهم المذبوحة وقد قطعوا رؤوسها، ودخلوا الصف، عدا ذلك الشاب فقد وصل الصف متأخراً عن الباقين وهو يحمل دجاجة حيّة، فلما رآه زملاؤه الطلبة انفجروا ضاحكين وسخروا منه ايما سخرية.

لم يعبأ بهم الأستاذ والتفت ناحية التلميذ الشاب وقال له: (لِمَ لَمْ تذبح الدجاجة في مكان لا يراك فيه أحد؟).

أجاب التلميذ الشابُّ: كلَّما بحثتُ عن مكان ليس لله فيه وجود ولا يراني فيه ربّي ويعلم ما أقوم به لم أجد مثل هذا المكان. وأخيراً وجدتني عاجزاً عن العثور على المكان الذي أردته.

فلما سمع الأستاذ جوابه استحسنه وأثنى عليه وخاطب زملاءه بالقول: (هذا هو الأمر الذي يجعلني أحترم هذا الشاب كثيراً. ان لديه معرفة بالله لا تتوفر لأي واحد منكم)[٢].

* * *

(٣)
الراعي المؤمن

في أحد الأزمنة القديمة، كانت ثمة قافلة تروم الوصول إلى مكة لاداء فريضة حج بيت الله الحرام. ومن بين أفراد تلك القافلة (عبد الله بن عمر). وفي أثناء الطريق نفد طعامهم وأخذ الجوع منهم مأخذه، حتى

---

(٢) القلب السليم/ الجزء الأول/ ص ٢٥٩.

وصلوا إلى مكان وجدوا فيه قطيعاً من الغنم.

فتوجه عبد الله وثلة من أفراد القافلة إلى الراعي وقالوا له: (بع لنا عدداً من هذه الأغنام).

أجاب الراعي: (هذه الأغنام ليست لي ولا أستطيع أن أبيع أياً منهم دون إذن من صاحبها).

فقال له عبد الله بن عمر: (بع لنا الأغنام بأي ثمن شئت فصاحبها لا يعلم بذلك. وان سألك فقل له: هجم الذئب على القطيع وافترس الأغنام وانصرف)!

أجاب الراعي: لو فرضنا أن صاحب الأغنام لم يعرف الحقيقة فهل إن الله (عزَّ وجلَّ) لا يعلم هو الآخر ما حصل بالفعل؟! وإذا كان مالك هذه الحيوانات لا يرى فهل ان الباري (سبحانه) هو الآخر لا يرى؟! ولو افترضنا ان صاحبها ليس حاضراً الآن فهل ان ربنا هو الآخر غائب ولا يرى أعمالنا؟!

فدهش كل من كان في القافلة وتعجبوا لجواب الراعي، وقرروا البحث عنه والاستئذان منه في بيعهم هذا الراعي ـ وكان غلاماً مملوكاً له ـ ثم أعتقوه، وبعد ذلك اشتروا قطيع الأغنام وأهدوه لذلك الراعي المتدين[٣].

* * *

(٤)
الصقر

قرر ملك ـ في أحد الأيام ـ أن يخرج إلى الصيد، فأمر وزراءه وخدمه وغلمانه أن يجتمعوا ويتأهبوا للخروج معه فاستجابوا له، وأحضروا

(٣) القرآن وكشف السر/ ص ١١٤.

كل وسائل الصيد ومستلزماته وساروا مع الملك للصيد.

وعندما وصلوا إلى محل الصيد، طفق الملك ووزراؤه يمارسون الصيد، وعندما حل الظهر وضعوا المائدة على سفح الجبل واجتمع حولها الملك ومقربوه من وجهاء البلد، وجيء بدجاجة كبيرة محشوّة ومطهيّة فوضعت بين يدي الملك، وفجأة انقضّ صقر من الجو على الدجاجة اللذيذة فاختطفها وحلق في كبد السماء.

فاستشاط الملك غضباً وأمر حراسه بأن يتبعوا الصقر ويصطادوه مهما كلف الأمر وبأي وسيلة كانت. وفعلاً بقي الملك وحراسه ـ وهم على الأرض ـ يتابعون الصقر وهو محلق في الجو. دار الصقر حول الجبل ثم حطّ في أحد شعابه وهم يرونه، وحينما وصل إليه الملك وحراسه ترجّلوا وأخذوا يطاردونه حتى وصلوا مكاناً شاهدوا الصقر فيه واضعاً فريسته على الأرض قرب رجل موثوق اليدين والرجلين، وطفق ينهش لحم الدجاجة ويلقمه الرجل، وما لبث الصقر أن طار إلى عين ماء وملأ منقاره ماءً ثم عاد إلى مكانه وسقى الرجل الموثق ماءً.

فوثب الملك وحراسه وفكّوا وثاق يديه ورجليه وسألوه عما حلّ به فقال:

إنني تاجر وكنت متوجهاً في سفر إلى إحدى المدن. وفي هذه المنطقة هجم علي عدد من قطاع الطرق وسلبوا أموالي وأوشكوا أن يقتلوني، فرجوتهم أن لا يفعلوا ذلك، والتمستهم طويلاً فأشفقوا علي فقالوا: «نخشى أن تصل إلى بلد وتخبر عنا الناس فيه وتأتي بهم إلينا» فأوثقوا يدي ورجليّ ورموا بي هنا.

وفي اليوم التالي جاءني هذا الصقر وجلب لي خبزاً، وأتاني اليوم بدجاجة مطهية وهكذا استضافني مرتين.

تأثر الملك إثر سماعه لهذا الكلام وقال:

ان الله رحيم لدرجة أن عبده الموثوق اليدين والرجلين، المرمي في الصحراء على جبل ومع ذلك لا يتركه وحيداً ودون رعاية. ويحنا نحن الذين نملك ربّاً رؤوفاً كهذا ومع ذلك فنحن غافلون عنه.

ثم قرر الملك من فوره ترك أمر الحكم والملكية وانخرط في سلك العبّاد والزهّاد المعروفين في زمانه(٤).

* * *

(٥)
دعاء التاجر

أفلس رجل تاجر في مدينة الكوفة وتراكمت بذمته للناس ديون كثيرة، بحيث انه مكث في بيته لا يغادره خشيةً من مقابلة المقرضين ومطالبتهم إياه بحقوقهم. وفي إحدى الليالي ضاق صدره ونفد صبره فلم يعد يطيق المكوث في الدار فغادرها تحت جنح الظلام، ودلف إلى مسجد في غسق الليل ليناجي الله (تبارك وتعالى) وطفق يدأب في الصلاة والتضرع إلى الله والتوسل بحضرته والتمس في دعائه أن يفرّج الله عنه فيؤدي ديونه.

وفي هزيع تلك الليلة، كان ثمة تاجر ثري يغط في نوم عميق، فقيل له في المنام: إن رجلاً في هذه اللحظات يدعو الله ويرجوه أن يؤدي ديونه، فاستيقظ وانهض وأدِّها في الحال.

فاستيقظ التاجر الثري، ثم توضأ وصلى ركعتين واستغرق في رقاده من جديد، وما لبث أن عاد النداء موجّهاً إليه، فنهض وفعل مثل المرة الأولى ثم غط في سباته وما أسرع ما حصل مثل المرتين السابقتين، فنهض

---

(٤) الاستعاذة /ص ٢٢٣.

وحمل معه مبلغ ألف دينار وركب بعيره وانطلق لكنه ترك عنان البعير ولم يأخذ بخطامه وقائلاً: ان الذي أمرني في المنام بالخروج من الدار لسوف يتولى ايصالي وارشادي إلى الشخص المحتاج.

وأخذ البعير يجتاز طرقات المدينة وأزقتها الواحد تلو الآخر حتى بـرك أمام أحـد المساجد، فترجل عنه التاجر ودلف إلى المسجد، فسمع التاجر المفلس يجهش في البكاء والنحيب والتوسل بالله، فتوجه التاجر الثري ناحية الصوت حتى وصل قرب المفلس فرآه مطرقاً ناحباً، فقال له: يا عبد الله! ارفع رأسك فقد استجيب دعاؤك.

ثم مد يده وسلّمه الألف دينار قائلاً: اقض ديونك بهذا المبلغ وانفق على عيالك منه وإذا نفد وما زلت بحاجة إلى مال فاسمي فلان وعنوان عملي في المحل الفلاني ومنزلي كائن في المكان الفلاني، فأتني كي أعطيك المزيد من المال.

فقال التاجر المفلس:

(سآخذ منك هذا المال لأنني أعلم أنه من رزق الله وفضله، ولكنني إذا احتجت للمال من جديد فلن آتيك).

سأله التاجر الثري:

(اذن فإلى من ستذهب إذا احتجت مالاً؟).

أجاب التاجر المفلس:

سأطلب ما أريد ممن عرضت له حاجتي هذه الليلة فأرسلك لتقضيها، وان احتجت مرة أخرى سأستغيث به لأنه أكرم الأكرمين ولن ينسى عباده أبداً. وإذا بقيت محتاجاً فسأتوجه بحاجتي إلى الله الذي هو قريب مني ويستجيب دعائي، فأسأله أن يسدّ حاجتي بأن يرسلك أنت أو أمثالك لقضائها[٥].

---

(٥) القلب السليم/ الجزء الأول/ ص ٣٦٨.

(٦)

نعم الله

يوماً طلب داود إلى الله ـ وهو يناجيه ـ أن يريه قرينه في الجنة، فأخبره (تبارك وتعالى) أن (اذهب غداً وأخرج من باب المدينة فأول من تلتقيه هناك هو قرينك في الجنة).

وفي اليوم التالي خرج داود وابنه سليمان من باب المدينة فشاهدا شيخاً يحمل على ظهره حزمة من الحطب كي يبيعها. وكان الشيخ يدعى (مَتّى) وحينما وصل الباب صاح بأعلى صوته:

(من يريد أن يشتري حطباً؟).

فجاء شخص واشترى منه الحطب وانصرف. وهنا جاء داود وسلّم على الرجل ثم قال:

(أيمكنك أن تأوينا كضيوف هذا اليوم؟).

فقال الشيخ:

(على الرحب والسعة.. الضيف حبيب الله).

ثم اشترى الشيخ بثمن الحطب كمية من الحنطة، وحينما وصلوا البيت طحن الحنطة وخبز ثلاثة أقراص من الخبز ووضعها بين يدي ضيفيه.

وعندما بدأوا يأكلون الطعام، ما فتىء الشيخ يقول (بسم الله) مع كل لقمة يضعها في فمه وبعد أن يزدردها يتمتم (الحمد لله). وحين أتموا أكل طعامهم المتواضع رفع يده نحو السماء وقال:

(الهي:

ان الحطب الذي بعتُهُ هو شجرة أنبتَّها أنت، ثم يبستها وأعطيتني القوة الكافية لقلع الحطب منها، وأنت الذي بعثت لي من يشتري الحطب مني، والحنطة التي اشتريتُها؛ أنت الذي خلقت بذرتها وأنبتَّها، وأعطيتني

الوسائل التي بها طحنت وخبزت، فما الذي صنعته أنا في قبال كل ذلك؟).

كان الرجل يقول هذه الكلمات وهو يبكي ودموعه تجري من عينيه، وهنا التفت داود إلى ابنه سليمان (ع) ونظره نظرة معبّرة، وكأنه كان يقول له: اذن فلهذا السبب يحشر هذا الشخص مع الأنبياء[٦].

* * *

(٧)

الصبي الأعمى

يُروى أن أحد الأنبياء كان يمر يوماً بالقرب من نهر فشاهد عدداً من الصبيان وهم يلعبون. وكان بينهم صبيٌّ أعمى يؤذيه أترابه، فكانوا يغطّسون رأسه في الماء للحظات ويضربونه أحياناً.

فتأثّر ذلك النبيّ ودعا الله عزَّ وجلَّ قائلاً:

(ربّاه، أدعوك أن تمنحه البصر في عينيه كي لا يتعذّب إلى هذا الحد).

فاستجاب الله له واستعاد الصبيُّ بصره، فأخذ يثب على هذا الصبي وذاك ويغطّس رأسه تحت الماء ولا يدعه يتنفس حتى يختنق، ويثب على غيره فيمسكه ويغطّس رأسه في الماء فيهلك، وهكذا هلك عدة أطفال بهذا الشكل.

وحينما شاهد النبي هذا الوضع توجه إلى الله تبارك وتعالى وأخذ يناجيه قائلاً:

(ربّاه! أنت أعلم منا بكيفية التعامل مع عبادك، وأنت العليم المطلق وكل ما تقوم به يمثل الحكمة والعدل وله أسباب ودلائل..

واني أتوب لك يا رب وأسألك أن تعيد الطفل إلى حالته السابقة).

---

(٦) الدار الأخرى/ ص ٤٤٦.

فاستجاب الله ـ سبحانه وتعالى ـ لدعاء نبيّه وأعاد الطفل إلى ما كان عليه[٧].

(٨)

السلطان محمود وأياد

كان «اياد» في البداية خادماً للسلطان، ومن جرّاء ذكائه وتضحيته أصبح من أقرب المقربين إلى السلطان محمود من بين حاشيته. وقد أدى ذلك إلى إثارة الحسد عليه من قبل الوزراء والحاشية وطفقوا يفكرون في التخلص منه والوشاية به عند السلطان.

وكانت لأياد حجرة يحرص على اقفال بابها دائماً ولا يسمح لأحد بالدخول إليها. وفي صباح كل يوم وقبل أن يذهب إلى السلطان كان أياد يحرص على دخول هذه الغرفة والمكوث فيها هنيهة ثم يغادرها ويقفل بابها اقفالاً محكماً ويذهب إلى قصر السلطان.

فذهب الحسّاد إلى السلطان محمود وقالوا:

(إن أياداً استحوذ على كمية كبيرة من الجواهر واللآلىء وسرقها من الخزانة الملكية فأخفاها في غرفة يذهب إليها كل صباح كي يعدها جيداً ويطمئن عليها ثم يغادر الغرفة، ولا يسمح لأي شخص بدخولها).

وظلوا يشون به عند الملك ويفتعلون الأدلّة الملفقة ضده حتى حملوا الملك على الشك فيه، ولذلك أصدر أمراً بأن يقوم الجلاوزة باقتحام غرفة أياد بعد تحطيم بابها في وقت يكون فيه اياد جالساً عند الملك، والمجيء بكل ما يعثرون عليه من الجواهر واللآلىء ووضعها بين يديه.

وهكذا حدث، فبعد أن استقر المجلس بأياد في بلاط الملك بادر

---

(٧) اثنان وثمانون سؤالاً/ ص ٤٩.

الجلاوزة إلى كسر باب غرفة أياد بالفؤوس والمعاول، وحطموا قفلها ودخلوا يبحثون عن الجواهر واللآلىء لكنهم لم يعثروا سوى على جلد حيوان وحذاء ممزّق بالٍ. فتسرب إليهم الشك في أن يكون أياد قد أخفاها بإتقان في مكان ما، ولهذا السبب أخذوا يحفرون أرضية الغرفة وينقّبون فيها لكنهم لم يجدوا ضالّتهم المنشودة فعادوا إلى البلاط حاملين الجلد والحذاء ووضعوهما بين يدي السلطان وانصرفوا.

فأدرك السلطان أن حاشيته قد وشوا بأياد حسداً فاستدعاهم وقال لهم:

(إذا لم يعفُ عنكم أياد فانني سأعاقبكم).

فطفق الحاشية يتوسلون بأياد ووقعوا أمام قدميه طالبين منه العفو والمعذرة، فقال لهم:

(إذا عفا عنكم السلطان، وسامحكم فانني سأعفو عنكم).

فسأل السلطان أياداً: ما سر ذهابك إلى تلك الحجرة صباح كل يوم ومكوثك فيها هنيهة؟

أجاب أياد:

«قبل أن أصبح خادماً للسلطان كنت شخصاً فقيراً ولم يكن عندي من مال الدنيا سوى هذا الحذاء والجلد. وعندما صرت مقرّباً عند السلطان، وقد وضعتها في حجرة وصرت أتردد إليها صباح كل يوم كي لا تطغى نفسي ولا يصيبني الغرور ولا أغفل عن ذكر الله».

والغرض من نقل هذه القصة هو أن لا ينسى الإنسان ماضيه وحالته السابقة ويبقى وضعه واصله في ذاكرته على الدوام، وينبغي أن يعلم أن الله قد خلقه من نطفة قذرة لا تعد شيئاً وأن كل ما لديه هو من فضل الله

وعطائه ومنّه وليس للإنسان فضل في ذلك[٨].

* * *

(٩)

اليائس والراجي

فقد محمد بن عجلان ثروته وحل به الفقر المدقع وتفاقمت عليه الديون، ففكر أخيراً في الذهاب إلى حاكم المدينة ـ الذي كان من أقاربه ـ ويستفيد من نفوذه.

واثناء الطريق التقى ابن عم الإمام جعفر الصادق (ع) فسلّم كل منهم على الآخر وتفقد أحواله وسأله ابن عم الإمام:

(إلى أين تتجه يا بن عجلان).

فأجاب:

(عليّ ديونٌ كثيرة، ولذلك قررت الذهاب إلى الأمير كي يصلح أوضاعي).

فقال ابن عم الإمام:

(سمعت من ابن عمي الإمام الصادق (ع) بعض الأحاديث القدسية وأريد أن أرويها لك؛

فأحدها:

(وعزّتي وجلالي ما من امرىء رجا غيري إلاّ قطعت أمله).

والآخر:

(ويل لعبدي: فإني أعطيه النعم وان لم يدعني ويطلب مني، فهل سأحرمه إن دعاني ورجا فضلي وعطائي؟!).

أجل، ان عطاء الله غير مجذوذ، ولا محدود... يقول الشاعر:

---

(٨) القلب السليم/ الجزء الأول/ ص ١٤٢.

نحن كنّا عدماً لا نرتجي غير لطف الله أصل الفرج*

أفأنت قلت لله: (ربي! إني أريد عيناً، فأعطاكها؟ أفأنت أردت من الله أن يعطيك إذناً وفماً، ويداً ورجلاً فوهبها لك؟.

وعندما سمع محمد بن عجلان هذه الأحاديث لأول مرة قال لابن عم الإمام متلهفاً:

(أرجوك أن تعيد لي رواية تلك الأحاديث القدسية).

فأعادها له واستمع له ابن عجلان بدقة وانتباه، فأثرت فيه هداية الله وتوجيهاته السامية، فقال:

(والله لقد صرت راجياً لرحمة الله ولطفه وفوّضت أمري إليه).

قال ذلك وحوّل مسيره وبدّل مقصده عائداً إلى منزله. ولم تكد تمضي سوى فترة قصيرة حتى حُلَّت مشاكله وزالت كربه وسدت ديونه(٩).

* * *

(١٠)

(وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما)

قبل بضع سنوات أعلن أحد المراصد الفلكية الأوروبية (إن قطعة من أحد الأجرام السماوية قد انفصلت منها وارتمت في الفضاء وهي تتجه نحو الأرض بسرعة هائلة، ويتوقّع أن تقطع المسافة بينها وبين الأرض في مدة معينة فتصلها في اليوم الكذائي والساعة الكذائية فتصطدم بها، وباصطدامها تتلاشى الأرض وتتفتّت).

وقد أدى سماع الناس لهذا الخبر إلى ردود فعل كبرى في نفوسهم، ولذلك تذكر عدد كبير من البشر يوم القيامة، ولأنهم أيقنوا من قرب ساعة

(*) ترجمنا البيت الشعري ببيت من الشعر يجمع معنى البيت الأصلي (المترجم).

(٩) الاستعاذة/ ص ١٨٦.

هلاكهم فقد قاموا بتصفية حساباتهم ولملمة أمورهم وكتبوا وصاياهم.

وفي اليوم المعيّن المتوقع فيه حصول ذلك الاصطدام المروّع خرج الناس من بيوتهم وهم ألوف حذر الموت وهاموا في الصحارى والفلوات والمفاوز، وانتحر عدد منهم من شدة الهلع وفرط الفزع كي لا يروا بأم أعينهم هذه الفاجعة الكبرى والكارثة العظمى، وألقى عدد آخر منهم أنفسهم في البحر تخلّصاً من رؤية نهاية الحياة.

وحلّ الموعد المقرر لكن أية حادثة لم تحصل، ورويداً رويداً اطمأن الناس أن لا شيء يوشك أن يقع وان المكروه قد زال والخطر قد تبدّد عادوا إلى منازلهم.

لماذا لم تحصل تلك الكارثة الهائلة؟

ألم تكن حسابات العلماء والفلكيين دقيقة وعلمية؟

الجواب: لا بدّ وأن النظام الكوني لا يخلو من المدبّر منذ الأزل وحتى الأبد[١٠].

وعدم وقوع مثل هذه الحوادث يدل ـ دون شك أو ريب ـ ان النظام الكوني له من يرعاه ويدبّره وأن نظامه دقيق لدرجة أنه يفوق التصور البشري والحسابات العلمية، ولا شيء يمكن أن يحدث ـ دون مشيئة الله ـ في عالم الوجود هذا[١١].

* * *

---

(١٠) يقول الله تبارك وتعالى:

﴿إِنَّ الله يُمسِكُ السمواتِ والأرضَ أنْ تَزُولا وَلَئِن زَالَتا إنْ أمسَكَهُما مِن أَحَدٍ مِنْ بَعدِهِ إنّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾ (فاطر/ ٤١).

﴿أَلَمْ تَرَ أنَّ الله سَخَّرَ لَكُم ما في الأَرضِ والفُلكَ تَجري في البحرِ بِأَمْرِهِ وَيُمسِكُ السَّماءَ أن تَقَعَ على الأرضِ إلاّ بإذْنِهِ إنّ اللّهَ بِالنّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (الحج/ ٦٥).

فسبحان الله ربّ العالمين (جبارة).

(١١) الإيمان/ الجزء الأول/ ص ٢٤٦.

(١١)

الأستاذ الأمي!

يكون المرء فرحاً مسروراً ـ في بعض الأحيان ـ وإذا بك تراه كئيباً حزيناً بشكل مفاجىء، وحيناً تراه حزيناً منقبض الأسارير وفجأة يطرأ عليه الفرح والسرور. وتجده أحياناً يعلم شيئاً فينساه ويغيب عن ذهنه ربما لسنوات طويلة، وفجأة تنقدح في رأسه شرارة الذاكرة فيتذكر ما كان ناسياً له بالمرة. وكل هذه الأمور تدل على أن هناك ربّاً يدير أمور الإنسان ويدبّر شؤونه ويحوّله من حال إلى آخر. والمرء يدرك أن زمام مسيرته الحياتية ليس في يده بالكامل بل أن ربّه هو الذي يرعى تلك المسيرة ويتحكم في زمامها. وإذ ذاك يصحو من نوم الغفلة ويعود إلى ذكر الله تبارك وتعالى.

قبل حوالي خمسين عاماً، كان هناك مدرّس عالم وقدير في مسجد (مشير الملك) بشيراز، وكان مشهوراً بسعة معلوماته وغزارة معرفته وقوة ذاكرته وعلو شأوه في العلم والفضل وكثيراً ما كان يدرس «القوانين» و«المطوّل».

وفي أحد الأيام استيقظ من نومه في الصباح فوجد أن ذاكرته قد انمحت تماماً وأنه قد فقد حافظته. وعندما أراد أن يقيم صلاة الفجر همّ أن يقرأ سورة الحمد (الفاتحة) وإذا به قد نسيها.

لقد صلى طيلة سبعين عاماً بيد أنه نسي حتى كلمات سورة الحمد. فبادر إلى القرآن الكريم وفتحه ليستعيد حفظ السورة فرأى أنه نسي التلفُّظ. وهكذا أدرك أنه فقد حافظته بالكامل... وظل هكذا حتى فارق الحياة.

وثمة حديث شريف عن رسول الله (ص) يخبرنا أن الارتفاع في

سلّم العلم والمعرفة لا يتسنى بكثرة دراسة العلم وتدريسه، بل انه نور يقذفه الله في قلب من يشاء[١٢].

* * *

(١٢)

السلطان والوزير الذكي

في أحد الأزمنة القديمة كان هناك سلطان يحكم أحد البلدان. ومن صفات ذلك السلطان الظلم وانكار وجود الله (عزّ وجلّ). بيد أنه كان لديه وزير يؤمن بتوحيد الله. وقد حاول الوزير أن يجتذب السلطان إلى حظيرة التوحيد وسعى إلى اقناعه بالانخراط في سلك المؤمنين بالله لكنه لم يفلح.

وفي أحد الأيام استدعى الوزير أحد أشهر البنائين في البلاد إلى قصره وأمره أن يبني للسلطان قصراً فخماً في مصاده، ويزينه بأنواع الورود وأصناف الزهور والطيور، على أن يتم هذا العمل في وقت قياسي وقصير للغاية بعيداً عن انتباه السلطان وحاشيته.

وبعد عدة أشهر، أخبر البناء الوزير بإنجازه المهمة الموكلة له واكتمال بناء القصر. فافتعل السلطان حجة وذريعة كي يحمل الملك على المجيء إلى المصاد. وأثناء الطريق شاهد السلطان قصراً منيفاً وسامقاً يبدو له من مسافة بعيدة فالتفت إلى الوزير وقال له:

(أيها الوزير!

ما ذلك المبنى الذي يبدو منتصباً عن بعد في محل الصيد العائد لنا؟).

فأجاب الوزير:

---

(١٢) الاستعاذة/ ص ٢٤٠.

(يا حضرة السلطان!

الأفضل أن نقترب منه أكثر فأكثر لنعرف سرّ الأمر وحقيقة القضية).

فوافق السلطان على ذلك وتوجه وبرفقته الوزير إلى منطقة القصر وعندما وصلاه ودخلاه أخذ السلطان ينظر بدهشة وتعجب إلى أنحائه ومحتوياته ويتأمل في أناقته وجماله فسأل وزيره:

(كيف وجد هذا القصر فجأة وسط هذه الصحراء الخالية القفراء؟).

أجابه الوزير:

يا حضرة السلطان!

في الشتاء الماضي، اكتسح السيل هذه الصحراء فجرفت المياه كمية كبيرة من التراب والصخور وعندما وصلت المياه هنا غاض الماء في الأرض وركب الطين بعضه بعضاً وصار كهيئة الطابوق ثم تراكب الطابوق والصخور والتأمت مع بعضها بعضاً صدفةً فكانت النتيجة أن بنيت جدران القصر وحيطانه..

ثم حصلت فيضانات أخرى وجرفت السيول عدداً كبيراً من أشجار الغابات وجاءت بها إلى هذا القصر فتحولت الأشجار إلى ألواح خشبية وانتصبت على الجدران والسقوف فصار أعمدة لها بالصدفة أيضاً، واكتملت السقوف من تلقاء ذاتها.

ثم حصلت سيول جارفة أخرى فجرفت كمية كبيرة من الأخشاب وأخذت هذه تلتئم وتتماسك وتنصقل بالتدريج على هيئة شبابيك وأبواب وانتصبت تلك الأبواب والشبابيك في أماكنها المخصَّصة لها في جدران القصر وحيطانه..

وأخيراً جاءت الرياح بالزهور والطيور والزروع والورود من الحقول والحدائق والمروج فأنبتتها في حديقة القصر بالصدفة أيضاً فبرزت إلى

الوجود هذه الجنينة الخضراء والحديقة الغنّاء)!!!

فضحك الملك بشدة وسخر من كلام الوزير وقال:

أيها الوزير!

ماذا دهاك!؟

هل جننت؟ أم تظن أنني مجنون أصدق ما تقول وتزعم؟!

إن هذا كله لا يمكن أن يحصل بالصدفة دون أن يكون هناك معمار وعمال بناء ووسائل وأدوات مهيئة ومعدة سلفاً، كي يتسنى بناء مثل هذا المبنى الجميل والقصر المنيف).

فأجاب الوزير:

يا حضرة السلطان.

انك تقول الآن انه من المحال أن يلتئم الطابوق والأحجار معاً ويبنيا مثل هذا القصر الفاخر، اذن فكيف من الممكن أن يقوم هذا العالم الكبير والكون المترامي الأطراف بكل ما فيه من الدقة والعظمة وحسن الصنع بالصدفة ودون خالق؟!.

وكيف من الممكن أن تتخلق كل هذه الأشجار والثمار والأطيار والأزهار والمخلوقات والسيارات والأجرام السماوية والمجتمعات البشرية والنجوم والقمر والشمس والجبال والسهول والأنهار والبحار والوديان والمرتفعات «بالصدفة» ودون أن يخلقها خالق؟!).

وما أن انتهى الوزير الذكي من حديثه واختتم كلامه المدعّم بالأدلة والبراهين حتى عاد السلطان الجائر الكافر إلى صوابه وانتبه من غفلته وآمن بالله الواحد المتعال[١٣].

* * *

---

(١٣) معارف من القرآن/ ص ١٢٤

(١٣)

سارق البعير

دخل عربي مكة وهو راكب جملاً، واتجه لفوره إلى المسجد الحرام. وقرب المسجد ترجّل عن جمله ورفع طرفه نحو السماء متمتماً:

(إلهي!
ان الجمل وما يحمله وديعة لديك فاسألك أن تحفظ وديعتي هذه).

ثم دخل المسجد وطاف حول الكعبة وصلى ما شاء وخرج من بيت الله ليفاجأ بأن الجمل قد اختفى ولم يعد له أثر يذكر. فرمق السماء بعينيه قائلاً:

(إلهي
انهم لم يسرقوا الجمل مني بل منك، ولولا رجائي بأن تحفظه لي لما تركت الجمل والمتاع عليه. والآن فإنني أريد منك أن تعيد لي الجمل وحمله لأنني أودعته لديك).

ردَّد البدوي ذلك بضع مرات وهو يرفع بصره نحو السماء بينما طفق بعض الناس يستمعون ويراقبون ما يفعله ويقوله بتعجُّب واستغراب. وبعد هنيهة شاهدوا رجلاً أتى ماشياً وهو يقود جملاً من زمامه، متجهاً إلى العربي البدوي القريب منهم، وعندما اقترب منهم جيداً رأوا أن إحدى يديه قد قطعت للتو والدماء ما زالت تقطر منها.

جاء الرجل واقترب من البدوي فسلمه زمام الجمل قائلاً:
(خذ جملك، تالله إني لم أرَ منه خيراً)!
سأله البدوي:
(ماذا تقول يا رجل؟! ما الذي حدث؟!).
أجاب السارق:

(قبل هنيهة سرقت جملك وركبت عليه وهربت صوب أبي قبيس، وعندما وصلت خلف الجبل قطع الطريق أمامي فجأة فارس مرعب المنظر، ولم أدر هل أتى من تحت الأرض أم حطّ من السماء.

أجبرني على الترجل من الجمل وامسك بيدي فقطعها وقال: يجب أن توصل هذا الجمل إلى صاحبه، لأنه أودعه عند الله تبارك وتعالى، ومن يمكنه صون وديعته مثل الله عزَّ وجلَّ **﴿فالله خير حافِظاً وهو أرحم الراحمين﴾**(١٤). فاضطررت أن أجلب الجمل إليك)(١٥).

* * *

(١٤)

الخيانة

كان لأحد الخلفاء غلام يحبّه حباً جماً ويبدي إعجابه به واطراءه عليه. وفي أحد الأيام مرض الغلام وأخذ مرضه يشتد رويداً رويداً. فاستدعى الخليفة له الأطباء من كل أنحاء البلاد ففحصوه وأعطوه شتى أنواع الأدوية والعقاقير الطبية، بيد أن الغلام لم يشف.

ويوماً جاء طبيب حاذق وطفق يفحص الغلام العليل واضمر في نفسه استنتاجاً مفاده أن مرضه ذا سبب نفسي. وبناءً على ذلك فقد أخلى الغرفة من الأشخاص الزائرين والمرافقين والحاشية وأخذ يتحدث مع الغلام على انفراد، فسأله:

(ما هي الحادثة التي وقعت فحل بك ما تعاني منه؟).

فأطرق الغلام هنيهة من الزمن ثم قال:

---

(١٤) سورة يوسف / الآية ٦٤.

(١٥) القلب السليم/ الجزء الأول/ ص ٣٧١.

(أغراني بعض أعداء الخليفة من المقربين منه والمتظاهرين بحبه وطلبوا إلي إراقة السمّ في شرابه كي يموت مسموماً.

ولقد خدعت بما وعدوني به من الأموال والمكافآت فأقدمت على دس السم له وقدمته له كي يشربه. ومن باب الصدفة أن الخليفة أدرك أن شرابه مسموم فلم يشربه. وبقيت أتوقع أن يعاقبني بأشد ما يكون العقاب.

بيد انه ليس فقط لم يعاقبني بل زاد في إحسانه وحبه لي بحيث أحسست بمرارة الخجل ووخز الضمير فمرضت. وان مرضي ما هو إلا من شدة الندم والخجل وليس له علاج أو دواء، وما لم أمت فسأبقى أعاني من عذاب الضمير).

ويح هذا الإنسان! ما أشد اليوم الذي يعرف الناس فيه حقيقته، وعلى الرغم من أن الله أقرب إليه من حبل الوريد ويعلم كل ما يقوم به ومطلع على جميع خياناته وذنوبه وأعماله القبيحة لكنه يستره ويعامله بحلمه ويزيد له النعم ويضاعف إحسانه ويغدق عليه النعم[١٦].

* * *

(١٥)

(... إلاّ من أتى اللّه بقلب سليم)

جاء بدوي من العرب إلى رسول الله (ص) وقال له:

(يا رسول الله!

لقد علّمت الناس أدعية كثيرة ولكنني امرؤ أمّي وعاجز ولا أستطيع أن أحفظ كل تلك الأدعية الطويلة. علّمني دعاءً قصيراً يكفيني ويفيدني).

فقال له النبي الأكرم (ص):

---

(١٦) القلب السليم/ الجزء الأول/ ص ١٤٦.

(قل: «إلهي!
انك أنت ربي وأنا عبدك» فهذا كاف لك).

ففرح البدوي وذهب مسروراً من عند رسول الله (ص)، إلاّ أنه ـ ولكونه ساذجاً وأمّياً ومن سكان البادية ـ لم يستطع قراءة حتى هذا الدعاء القصير، بل الجملة الواحدة، قراءة صحيحة. فكان يرفع يديه نحو السماء ثم يقول:

(إلهي!
إنك أنت «عبدي» وأنا «ربك»)!!!

وكلما كان هذا الرجل يتلفظ بهذه الكلمات تحدث ضجّة واضطراب في الملكوت الأعلى وترتعد الملائكة وتنزعج من وقاحة هذا الرجل. ويوماً نزل الأمين جبرئيل (ع) على رسول الله (ص) وقال له:

(يا رسول الله!
لقد علمت ذلك الرجل العامي الساذج جملة لا يعرف ما معناها وهو يقولها بشكل يرتكب معه الكفر).

فأمر النبي (ص) باحضار البدوي وسأله:

(هل لك أن تقول عندي الدعاء الذي علمتك إياه).

فأجاب الرجل:

(أجل يا رسول الله، لقد فرحت بتعليمك إياي ذلك الدعاء وكلما قلت تلك الجملة القصيرة رجوت أن يصيبني ثوابها)!! ثم ردد الدعاء بحضرة النبي (ص).

فقال له النبي (ص):

(إنك تقول عكس ما علّمتك. إياك أن تعود لمثل ذلك فإنك ترتكب الكفر بهذا القول).

حزن الرجل حزناً شديداً واكتأب لما كان يقوله وقال:

(يا رسول الله!

إذن فقد كنت اكفر بالله مدة من الزمن دون قصد مني. أرجو أن تعلمني كيف يمكنني أن أكفّر عما قلت واتلافي ما ارتكبت).

فهبط جبرئيل مبعوثاً من قبل الله ـ تبارك وتعالى، وقال للنبي:

(يا رسول الله!

ان الله تعالى يقول: «إذا كان الخطأ ممكن الوقوع من عبدي فإنه ممتنع مستحيل أن يصدر مني. اني أنظر قلب عبدي لا لسانه فإن أخطأ عبدي بلسانه وقال سهواً وكان قلبه عامراً بالإيمان فإننا نعدّ خطأه صواباً ونغفر له»[١٧].

* * *

(١٦)

البرسيم

يقول الطبيب الشهير (صدر الحكماء):

قبل أربعين عاماً جيء لي بمريض شديد العلة. وكان مصاباً بالعديد من الأمراض، ونتيجة لذلك فقد تلف قلبه ومعدته وكبده وكليتاه. وكنت أدرك انه لا علاج ينفعه ولا دواء يشفيه مطلقاً فقلت لمن كان معه: أعيدوه إلى البيت، فعلّته لا علاج لها.

بيد إنهم أصروا قائلين: لا عليك.. أعطه الدواء ومن الله الشفاء، ولا شأن لك بالنتيجة والفائدة المترتبة على الدواء.

قلت لهم:

لا تبذّروا بنقودكم هدراً لأنه غير قابل للشفاء، إلاّ أن يتلطف عليه الله ـ تبارك وتعالى ـ ويعالجه من علته.

---

(١٧) الدار الأخرى/ ص ٣١.

وكان هناك ممرض مرافق المريض فقال لي:

إذا كنت لا تعلم شيئاً في مجال الطب والعلاج فلماذا افتتحت عيادة للمرضى وتدعي الطبابة؟!

قلت له:

إن الشفاء بيد الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وما نحن سوى وسائل.

وهكذا ظلوا يلحّون عليّ بمعالجته فانزعجت من شدة اصرارهم. وامتعضت لكثرة الحاحهم فقلت لهم بعد أن نفد صبري:

حسناً، حسناً، أعطوه من علف الحيوانات (البرسيم) فلربما انتفع به وشفي!!

ومضت عدة أيام، وإذا بأشخاص يحملون كميات كبيرة من السمن والجبن والحليب والزبد وعدد من الأغنام ويكدسونها في الطبابة.

بادرتهم بالسؤال مستغرباً:

ما هذا الذي أتيتم لي به؟ ومن أين لكم به؟ ولم جئتم به لي؟

فقالوا:

ان المريض الذي جئناك به قبل بضعة أيام وكانت علته ميؤوس من شفائها قد أعطيناه البرسيم طبقاً لما أمرتنا به فشفي وعادت له العافية!!!

فسيطرت علي الدهشة والاستغراب لما حصل وتعجبت لما فعله الله بمنحه العافية لذلك العليل المشرف على الموت وأيقنت انه ـ تبارك وتعالى ـ هو وحده المشافي والمعافي لا غيره(١٨).

* * *

---

(١٨) الإيمان/ الجزء الأول/ ص ١٦.

(١٧)

التقدير الإلهي

يروى أن (أفلاطون) ـ الحكيم اليوناني المعروف ـ ابتلي يوماً بالإسهال، فتناول العديد من الأدوية والعقاقير إلاّ أنها لم تنفعه. ولما رأى طلابه ما حلّ بأستاذهم الذي كانوا يعتبرونه حكيماً لا نظير له انزعجوا وتذمّروا وقالوا:

(إنك أنت أستاذ الطب والخبير المتخصص في مثل هذا النمط من الأمراض فكيف تعجز عن معالجة نفسك؟!).

فأمر أفلاطون بجلب المسحوق الذي كان قد صنعه، فجلبوه له، فأخذ كمية منه وألقاها في كوز الماء الخزفي فاختمر كل الماء على الفور وصار عجيناً، وحينذاك التفت إلى طلاّبه قائلاً:

(هذا المسحوق هو العلاج الأكيد للإسهال وقد تناولت شيئاً منه لكن القضاء والقدر الإلهي اقتضى أن لا يؤثر في بدني).

أجل، إن الله يسلب أحياناً مفعول عنصر ما وتأثيره ويزيل السببية من السبب والأثر من المؤثّر، وان الله هو سبب الأسباب، وقد يعطي لشيء عديم التأثير تأثيراً ويسلب من عنصر مؤثر تأثيره، فعلى البشر أن يعلم أن المخلوقات المادية لا تأثير ولا فعل ولا قوة لها في حد ذاتها من دون مشيئة الله، وإن الله وحده هو صاحب التأثير في العالم أجمع[١٩].

* * *

(١٨)

الله أرأف بعباده منهم

كان في بني إسرائيل رجل فاسق مقارِفٌ للذنوب والآثام والفواحش

---

(١٩) الاستعاذة/ ص ٢١٨.

والمنكرات. وبعد أن قضى عمره كله في هذه الأمور أصابه الندم الشديد على ما ارتكبه من الخطايا وفكّر بالتوبة. وعلم أن هناك رجلاً عابداً زاهداً عرف بأنه أعبد وأزهد بني إسرائيل قاطبة، بحيث إن الله ـ تبارك وتعالى ـ أمر سحابةً أن تظلل له وتكون فوقه كي تحميه من أشعة الشمس المحرقة لئلا يتأذّى. وكان هذا امْرَأً مستجاب الدعوة، أي أن دعاءه مستجاب عند الله عزَّ وجلَّ بمجرد أن يصدر منه.

قرر الرجل الفاسق النادم أن يذهب إلى العابد الزاهد ويتوب إلى الله من ذنوبه، وأن يطلب إليه أن يدعو له لعل الله يغفر ذنوبه التي تفوق العد والإحصاء.

وعندما وصل الفاسق النادم إلى محل العابد كان الأخير متكئاً إلى الجدار وتظلل على رأسه السحابة المأمورة، وعندما رأى العابد الشخص الفاسق تراجع إلى الخلف ولم يكلّمه بتاتاً، ثم بادر فطرده شرَّ طردة.

بعد ذلك، عاد الفاسق التائب وهو كسير القلب مهيض الجناح قد اغرورقت عيناه بالدموع. وتزامناً مع ذلك، زالت السحابة من فوق العابد الزاهد، وطفقت تتجه نحو التائب النادم حتى استقرت فوقه وغمرته بظلها الوارف.

فأوحي إلى نبيٍّ ذلك الزمان:

(إنّ الله أرأف وأرحم من عباده بهم).

وهكذا زال اللطف الإلهي عن العابد الزاهد وفقد منزلته السامية لأنه طرد الشخص التائب وأبعده عنه بقسوة وشدّة[٢٠].

* * *

---

(٢٠) المعراج/ ص ١٧٣.

(١٩)

الـملكة الـجائعة

عثر علماء التنقيب والآثار ـ يوماً ـ على صندوق بالقرب من ساحل النيل، وعندما فتحوه وجدوا فيه جثماناً محفوظاً بالمومياء وسط كمية كبيرة من المجوهرات، وعندما حققوا في الأمر عرفوا أنه يعود لملكة من ملكات مصر وقد حنط بالمومياء بعد موتها، وقد عثر علماء الآثار على لوحة بين الجواهر مكتوب عليها:

(هذه وصيتي: فليعلم من يجد جنازتي بعد موتي أنني كنت ملكة لمصر، واثناء فترة حكمي حصل جفاف ومجاعة شديدة في البلد وبلغ الأمر انني ـ وأنا ملكة البلاد ـ كنت مستعدة لاعطاء كل مجوهراتي لمن يعطيني رغيفاً من الخبز أتقوت به لكن ذلك لم يتسنّ لي كي لا أقع فريسة الموت ولكني لم أنجح من الوقوع في فراش الموت).

فليقرأ الجميع هذه السطور ليعتبروا ويتعظوا ويدركوا أنه ما لم يشأ الله ـ تبارك وتعالى ـ فليس باستطاعة أي شيء أن يسد حاجة الإنسان ويغنيه، وانك يا بن آدم لن تستطيع أن تحقق شيئاً من دون إرادة الله حتى وان توافرت لديك كل وسائل الراحة والأدوات المنزلية والمعاشية[٢١].

* * *

(٢٠)

جلاوزة أصفهان

في عصر العلامة المجلسي الأول وهو من علماء أصفهان الكبار

---

(٢١) النفس المطمئنة/ ص ١٠٤.

كان جلاوزة اصفهان يزاحمون الناس ويؤذونهم. ويوماً اعترض بعضهم طريق أحد المؤمنين وقالوا له:

(يا فلان! نريد أن نكون ضيوفاً عندك الليلة، فما رأيك؟!).

ففكر المؤمن مع نفسه وقال في داخله:

(إذا لم أستضف هؤلاء المحتالين النصابين الآن فإنهم سيخلقون المتاعب والمضايقات لعائلتي، وان دعوتهم إلى بيتي جاءوا مصطحبين معهم آلات الطرب الموسيقية ويمارسون أعمالهم القبيحة في بيتي).

وبعد أن اضطر الرجل للموافقة على طلبهم ذهب إلى العلامة المجلسي وعرض عليه مشكلته، ففكر العلامة هنيهة ثم قال: (دعهم يأتون إلى بيتك ولا بأس عليك).

وعند المساء، جاء المجلسي الأول وانتظر قدوم الجلاوزة. وعندما جاؤا وشاهدوا المجلسي في بيت الرجل المؤمن تبرموا وضجروا وقرروا أن يفعلوا من شأنه اضطرار المجلسي على الفرار واجباره على مغادرة البيت كي لا يزاحمهم. وبناءً على ذلك قال رئيس الجلاوزة للمجلسي:

(يا حضرة السيد!

ما الذي تعيبونه على منهجنا وتصرفاتنا كي تعترضوا علينا، وما الذي يزينكم كي يتوجب علينا احترامكم والثناء عليكم؟!).

أجاب المجلسي:

(اننا ذوو عيوب كثيرة ربما عدت بالآلاف لكننا لسنا جاحدين للجميل بل نقدر من يحسن لنا ونحترمه، وإذا أطعمنا أحد لم نحطّم الإناء الذي قدّم فيه لنا الغذاء ولا نخونه ولا ننسى لطفه حتى الأبد، لكنني لا أُرى هذه الصفة تتجسد لديكم).

قال رئيس الجلاوزة:

(اسألوا كل من في أصفهان وسترون أننا لم نأكل طعام شخص ثم كسرنا إناءه وأسأنا إليه).

فأجاب المجلسي:

(أنا الذي أشهد عليكم أنكم جميعاً جاحدون للجميل متنكرين للإحسان. ألم تأكلوا من نعم الله وتتمتعوا بها ثم قابلتموها بنكران الجميل؟ ألم يتفضل الله باعطائكم نعماً لا تحصى منها نعمة السلامة والأعضاء والجوارح كالعين والاذن واليد والرجل وغيرها، وبعد ذلك فإنه استضافكم على مائدة نعمه كل يوم وبعث إليكم الرزق فلماذا تفضلون على الرزق الحلال لقمة الحرام؟! ها أنتم ترفلون بالعطاء الإلهي السخي ومع ذلك تعصون الله وتقترفون الآثام وتتبعون الأهواء والشهوات).

وفي هذه الأثناء كان الجلاوزة يستمعون بكل اهتمام لكلام العلامة المجلسي دون حراك وكأن على رؤوسهم الطير، وفجأة انتبهوا وتيقظوا من نوم الغفلة، وكان السكوت مخيماً عليهم جميعاً أثناء حديث المجلسي، وبعد هنيهة وعندما توقف عن حديثه كانوا مطرقين برؤوسهم إلى الأرض فنهضوا على هذه الحالة الواحد تلو الآخر وغادروا البيت يعلوهم الخجل والندم.

وفي صباح اليوم التالي، جاء الجلاوزة النادمون إلى بيت المجلسي وطفقوا يعلنون توبتهم وندمهم على ما اقترفوه من الخطايا والذنوب.

ونحن أيضاً نتمتع في أثناء حياتنا بالنعم الإلهية التي تفوق العد ولا تقبل الاحصاء بيد اننا نسينا الله ـ تبارك وتعالى ـ فهل نحن أسوأ حتى من أولئك الجلاوزة حتى لا نلتفت للطف الله ومننه وإحسانه اللامتناهي؟![٢٢].

* * *

(٢٢) الإيمان/ الجزء الأول/ ص ١٤٠.

(٢١)

.. إن بقيت حياً غداً

إن كنّا مسلمين فينبغي أن يكون إيماننا بالله كإيمان أبي ذر الغفاري، ويقيننا كيقينه بعدم الاحتياج لأي شيء وأي شيء عدا الله عزَّ وجلَّ. فكل من هم غيره مخلوق ومحتاج ومفتقر إلى سواه، أما الله فلا.

ففي يوم من الأيام بعث معاوية بمئتي دينار ذهباً إلى أبي ذر ظاناً أنه يستطيع تطميعه وشراء ذمته وصرفه عن موالاة أمير المؤمنين علي (ع). ولما أتي بالنقود لأبي ذر أخذها وبادر على الفور فقسمها بين الفقراء ثم التفت إلى رسول معاوية قائلاً:

(ما دام هناك شيء في هذا الكيس فلست محتاجاً).

فنظر رسول معاوية إلى داخل الكيس وإذا به يرى رغيفين من الخبز، واستطرد أبو ذر يقول:

(إن أحد الرغيفين للإفطار والآخر لطعام السحور، وإذا كان مقدراً أن يكون يوم غد من عمري أيضاً فإن الله سيبعث لي فيه رزقي، وإن من كفاني مؤونة يومي هذا ودبّر أموري فإنه سيتولى تدبيرها في بقية أيام حياتي).

* * *

(٢٢)

دانيال والأسد المفترس

كان نبوخذ نصر (أو بخت النصر) امبراطور بل حاكماً دموياً فاسداً

---

(٢٣) النفس المطمئنة/ ص ١٢٥.

شديد الظلم. وفي زمانه بعث الله دانيال واختاره الله للنبوة كي يرشد الناس إلى السبيل القويم، وعندما رأى نبوخذ نصر أن دانيال يصرف الناس عن طاعته أصدر أمراً باعتقاله واحضاره عنده. ولما جيء به أمر أن يلقى في حفرة عميقة، ثم أمر أن يؤتى بأسد ضار مفترس كي ينهش لحمه.

فلو ألقي ذلك الأسد مع شخص آخر بدلاً من دانيال لأغمي عليه فوراً ولربما فارق الحياة خوفاً وهلعاً، لكن دانيال كان يعلم أن مصدر قوة الأسد هو الله تبارك وتعالى. فلو أن الله سمح للأسد بافتراس الآخرين لافترسهم وإلا فلا شأن له بأحد البتة. وكان دانيال على يقين من أن الله الذي ابتعثه نبياً للناس وهداه إلى سبيله لن يتركه وحاله ولن يغفل عنه.

المهم أن الأسد المفترس طفق يأكل من تراب الأرض بينما أخذ دانيال يشرب من حليبه ـ أي انه كان لبوة ـ فأوحى الله إلى أحد أنبيائه أن يحمل غذاءً إلى دانيال. وعندما وصل ذلك النبي إلى حافة الحفرة شاهد دانيال فرحاً مسروراً، وحين رآه دانيال قال:

(الحمد لله الذي لا ينسى من يذكره)[٢٤].

* * *

(٢٣)

اختبار الله

يوماً اعترض الشيطان طريق النبي عيسى (ع) بينما كان يتخطى على قمة جبل، فقال له:

(يا روح الله! إذا سقطت من قمة هذا الجبل فهل يستطيع ربك انقاذك من الهلاك؟!).

---

(٢٤) التوحيد/ ص ٢٢٦.

فأجابه عيسى (ع): أجل.

فسأله الشيطان:

(إذا كان الأمر هكذا وكنت صادقاً في ما تقول فألق بنفسك إلى الوادي ولينقذك ربك).

فأدرك عيسى أن الشيطان اللعين يريد أن يوسوس له بهذه المغالطة والخطة الخبيثة فقال له:

(أيها اللعين!

أتريد أن أختبر ربي؟! إني على يقين من أن الله يحفظني ويحميني. فالكذب ليس من شأن الله كي يقوله، وإنما كل ما يقوله الله فهو الحق بعينه ولسنا مؤهلين ولا جديرين بأن نشكّك في ما قاله الله تبارك وتعالى).

وفي يوم آخر، قال الشيطان للمسيح (ع):

(إنك أنت الله الذي تحيي الموتى، وأنت الربّ الذي تعلم الغيب وتخبر به...).

فقطع عيسى (ع) كلام الشيطان قائلاً:

(ما تقول يا لعين!؟

لستُ سوى عبد يستجيب الله لدعائه فيحيي الموتى بأمره. ولست إلا العبد الذي يخبره الله بشيء من الغيب ويطلعه عليه).

وعندما لم يحصل الشيطان على نتيجة تذكر من وساوسه صاح صيحة وفرّ من عند عيسى هارباً خاسئاً[٢٥].

* * *

---

(٢٥) الاستعاذة/ ص ١٠٦.

(٢٤)

دخول أبي نصر إلى نـيشابور

يوماً دخل أبو نصر إلى نيشابور وكان سلطاناً لها، فسمع أحد قراء القرآن يجوِّد هذه الآية بصوت عذب:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الـمُلكِ تُؤتِـي الـمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنزِعُ الـمُلْكَ مِـمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذلُّ مَن تَشَاءُ بِـيَدِكَ الـخَيرُ إنَّكَ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾[٢٦].

فلما أتمَّ قارىء القرآن تلاوة هذه الآية كان لها أعظم الأثر في نفس السلطان واهتز لها كيانه وشعوره بحيث ترجّل عن فرسه وخرّ راكعاً واضعاً ناصيته على الأرض ساجداً لله.

وبعد أن توفي ذلك القارىء رآه في المنام أحد أصدقائه فوجد أنه ذو مقام عظيم ومنزلة سامية في العالم الآخر. فسأله:

(كيف بلغت هذه المنزلة والمكانة الرفيعة؟).

فأجاب القارىء:

(لم يكن لديّ عمل صالح أو حسنات تنفعني إلا أن ربي تفضل قائلاً: انك ذكرتنا في الدنيا عند سلطان وذكّرته بعظمتنا والآن فإننا نذكرك ونرحمك).

أجل؛ ان الله تعالى يقول:[٢٧]

﴿فَاذْكُرُونِـي أَذْكُرْكُمْ﴾[٢٨].

* * *

(٢٦) سورة آل عمران/ ٢٦.

(٢٧) سورة البقرة/ ١٥٢.

(٢٨) المعراج/ ص ١٨٢.

(٢٥)

مرض عبد الملك

كان عبد الملك بن مروان رجلاً ظالماً وحاكماً جائراً سفاكاً للدماء. وقد ابتلى في آخر عمره بمرض الاستسقاء[٢٩]، فنصحه طبيبه الخاص قائلاً:

(ان علاج مرضك هو أن تمتنع عن شرب الماء ولا تدخل حتى قطرة واحدة منه في فمك يوماً أو يومين، فإن شربت قطرة واحدة فسوف يقضى عليك وتهلك في الحال).

فامتثل عبد الملك لنصيحة الطبيب وتحمل الظمأ عدة ساعات ولم يشرب ماءً لكن العطش تغلب عليه وأمر بجلب الماء له قائلاً:

(اسقوني الماء حتى لو زهقت روحي وفارقت الحياة).

وأخيراً قدم له الماء فأخذ يشربه وهو على يقين من أنه سيقضي عليه، وفعلاً ما لبثت أن زهقت روحه وفارق الحياة.

أجل، فإن هذا الماء الذي هو أصل الحياة ووسيلة استمرارها على وجه الأرض يكون ـ عندما يشاء الله ـ ليس فقط فاقداً لامكانية إدامة الحياة وبقاء البشرية وانما وسيلة للهلاك وقاتلاً للمرء[٣٠].

* * *

---

(٢٩) الاستسقاء اسم لمرض هو عبارة عن تجمع السوائل في جوف الإنسان يصاحبه في الغالب اعتلال القلب والكبد. وفيه تتورم بطن المريض ويفرط في شرب الماء ويحس بالعطش الشديد باستمرار.

(٣٠) الاستعاذة/ ص ٢٢٨.

(٢٦)

احسن غذاء

في أحد الأزمنة كان يعيش في مكة رجل فقير ومؤمن. وكان كثيراً ما يصوم تطوّعاً لله، في أكثر أيام السنة. وعندما كان يحل وقت الغروب ويحين وقت الافطار يمد يده في جيبه ويخرج منه ورقة فينظر فيها ثم يعيدها فيه تارة أخرى ويكتفي بذلك بدلاً من طعام الافطار، لأنه يسد جوعه عبر قراءة ما في تلك الورقة.

وبعد أن توفي هذا الرجل أخرجوا الورقة من جيبه فوجدوا أن فيها جملة (بسم الله الرحمن الرحيم) المباركة. فأدركوا أنه كان يدفع الجوع عنه ببركة الاسم الأعظم.

ان انكار مثل هذه الأمور دليل على حقارة التفكير وسفاهة العقل، لأننا معشر أهل هذا الزمان لم نعد نصدق إلا بالقضايا المادية وانبهرت أعيننا وامتلأت آذاننا بالظواهر المادية فصرنا نعتقد بتأثيرها أكثر من الأمور المعنوية، فصار من العسير علينا أن نصدّق العكس[٣١].

* * *

(٢٧)

الاستدلال بالبيضة

كان أبو شاكر الديصاني[٣٢] زنديقاً من الملاحدة. ويوماً دخل

---

(٣١) جنة الخلد/ ص ٣٦٣.

(٣٢) واسمه (عبد الله) لكنه كان من الملاحدة الزنادقة المعاصرين للإمام الصادق (ع) والطريف انه جاء يسأل الإمام عن هذه المسألة فسأله الإمام: ما اسمك؟ فقام وخرج لفوره فقال له أصحابه: كيف لم تخبره باسمك؟ قال: لو كنت قلت له (عبد الله) كان يقول: من هذا الذي أنت له عبد؟ فقالوا له: عُد إليه وقل له يدلك على معبودك ولا يسألك عن اسمك، فلما

على الإمام أبي عبد الله الصادق (ع) فقال له:

(دلّني على معبودي).

فقال الإمام: اجلس، فجلس، وإذا غلام له صغير في كفه بيضة يلعب بها فقال له أبو عبد الله (ع): ناولني يا غلام البيضة، فناوله إياها فقال له الإمام (ع):

(يا ديصاني!

هذا حصنٌ[٣٣] مكنون له جلد غليظ وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق وتحت الجلد الرقيق ذهبة مائعة وفضة ذائبة، فلا الذهبة المائعة تختلط بالفضة الذائبة ولا الفضة الذائبة تختلط بالذهبة المائعة، فهي على حالها. لم يخرج منها خارج مصلح فيخبر عن صلاحها ولا دخل فيها مفسد فيخبر عن فسادها، لا يدرى للذكر خلقت أم للأنثى، تنفلق عن مثل ألوان الطواويس، أترى لها مدبّراً).

فأطرق الديصاني ملياً، ثم قال:

(أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأنك إمام وحجة من الله على خلقه وأنا تائب مما كنت فيه)[٣٤].

* * *

عاد إلى الامام قال له: دلني على معبودي ولا تسألني عن إسمي!!.

والديصاني: أما من داص يديص ديصاناً إذا زاغ ومال ومعناه (الملحد) واما انه منسوب مسمى بديصان اختلق مذهباً ودعا الناس إليه وهو قريب من مذهب ماني وكانا يقولان بأصلين هما النور والظلمة وبينهما فرق في بعض الفروع. وقيل انه اسم لنهر ولد عليه. ـ جبارة ـ.

(٣٣) ووردت أيضاً بلفظ (حُص) بالحاء المضمومة وهي بمعنى (اللؤلؤة).

(٣٤) القلب السليم/ الجزء الأول/ ص ٢٤٧.

(٢٨)

الغلام البصير

جيء بغلام حبشي في زمن النبي الأكرم (ص) وبيع لأحد سكان مكة. وظل الغلام يعاشر المسلمين فترةً من الزمن ويطّلع على عقائدهم الدينية وعندما وجد أنهم على حق ذهب إلى النبي (ص) ونطق أمامه بالشهادتين وأعلن إسلامه.

بعد ذلك أخذ يختلط بالمسلمين كي يتعلم مسائله الدينية منهم. وفي أحد الأيام ذهب إلى رسول الله (ص) وقال له: فداك أبي وأمي يا رسول الله، هل أن خالق هذا العالم عالم وخبير؟

فأجابه النبي الأكرم (ص) بالإيجاب مؤكداً أن الله يعلم كل شيء سواء كان مخفياً أم ظاهراً، وسواء كان في الماضي أو الحاضر أو المستقبل، وسواء وقع في السر أم في العلن، وقولاً كان أم فعلاً أم ظناً...

فكّر الغلام هنيهة ثم قال: أي حينما كنت أرتكب ذنباً كان الله يراني ويطلع على ذنوبي؟!

فأجابه النبي (ص) بالإيجاب مؤكداً إن الله كان يطلع على ذنوبه.

فصاح الغلام صيحةً وسقط على الأرض ثم أنّ أنّةً توحي بالندم ثم فارقت روحه الدنيا[٣٥].

* * *

(٢٩)

شعور الحيوانات

كتب المحدّث النوري في كتابه المعنون (الكلمة الطيبة):

---

(٣٥) معارف من القرآن/ ص ١٢٧.

في زمن حياة أبي ذهب سيد جليل من طالقان إلى رشت وسكن فيها، وعندما اجتمعت لديه مئتا عملة نقدية (أشرفي) ذهبية قرر أن يذهب إلى قرية (نور) ويوصل نفسه إلى أبي.

وفي أثناء الطريق شاهد فارساً يحمل بندقية وسيفاً وعندما التقيا سأله عن أحواله وكان ذلك السيد بسيطاً للغاية فأخبره بأنه يصطحب معه مئتي عملة ذهبية (أشرفي) ادّخرها وأنه متوجه إلى قرية نور.

فانبرى الفارس قائلاً: من حسن المصادفة انني متوجه أنا الآخر إلى قرية نور وحبذا لو صرت رفيق سفري.

فوافق السيد على ذلك وركب الفرس معه وسارا حتى وصلا ساحل البحر فشاهدوا عدداً من صيادي السمك، فدعوهم إلى النزول من فرسهما وتناول الشاي وأخذ قسط من الراحة، فترجلا.

وفي هذه الأثناء، ابتعد الفارس عن الجميع قاصداً قضاء حاجته في مكان غير مرئي من الآخرين، فاستثمر الصيادون فرصة غيابه وسألوا السيد:

(هل تعرف هذا الرجل يا سيد):

فأجابهم:

(نعم، انه رفيق سفري).

فسألوه:

(وهل تعلم ماهي مهنته وماذا يعمل؟

فأجاب السيد:

(لا أدري ما هي مهنته وكل ما أعرفه هو أنه رجل صالح).

فدهش الصيادون وقالوا:

(انه قاطع طريق يسرق الناس ويسلب ما لديهم بقوة السلاح وانك معرض للخطر في اصطحابك له).

فخاف السيد وسألهم:

(من أين علمتم أنهُ قاطع طريق وسلاّب مسلّح؟).

فأجابوه:

(انه يأخذ منا نقوداً بالقوة والتهديد وان لم نعطه يقتلنا).

فابيض وجه السيد كالجص من شدة الهلع وقال للصيادين:

(أقسم عليكم بحق جدي رسول الله أن تساعدوني).

فكّر الصيادون هنيهة ثم قالوا:

(كل ما نستطيع أن نفعله هو أن نشغله مدة من الزمن حتى تبتعد أنت عن هذا المكان لتتخلص منه).

وعندما عاد قاطع الطريق، تظاهر السيد بذهابه لقضاء الحاجة وابتعد عنهم مسافة، وعندما اختفى عن الأنظار بدأ يركض بسرعة واختفى بين أشجار الغابة.

وبقي قاطع الطريق ينتظر عودة السيد لكنه لم يعد فأدرك أنه خدعه فغضب منه وقال:

(سأبحث عن السيد وأصل إليه وأسلب كل ما لديه ثم اقتله، وبعد ذلك أعود إليكم فأنتقم منكم).

امتطى قاطع الطريق صهوة جواده وانطلق مسرعاً باحثاً عن السيد فدخل الغابة وأخذ يتفحصها ليعثر عليه حتى خيم الظلام على الغابة فصعد السيد إحدى الأشجار خوفاً من الحشرات والحيوانات المتوحشة واستقر على أغصانها واختفى بينها.

وبعد مدة من الزمن وصل قاطع الطريق إلى نفس المكان وكان قد أصابه التعب والإعياء فجلس أسفل الشجرة ذاتها وأسند ظهره إليها، وبعد أن تناول طعام العشاء غلبه النوم.

فأيقن السيد باقتراب منيته ويئس من كل شيء وتوجه إلى الباري عزَّ وجلَّ واستعان به وتضرع إليه.

وبعد ساعة اقترب من الشجرة ثعلب، وعندما رأى قاطع الطريق نائماً عوى بصوت خفيض فاجتمع في مدة قصيرة عشرات الثعالب، ثم بادر

بعضها إلى سحب بندقية اللص بهدوء دون أن يثيروا انتباهه، وحملوا البندقية إلى مسافة فألقوها في حفرة وأهالوا التراب عليها. ثم عادوا وسحبوا سيف اللص بأنيابهم بكل هدوء ثم أخفوه في مكان آخر وبعد ذلك سحبوا صهوة الفرس وألقوها في مكان بعيد.

وعندما فرغت الثعالب من ذلك تجمعت كلها وأخذت تقترب من اللص النائم وهجمت عليه مرة واحدة وقبل أن يستقيظ من نومه قطّعته ارباً ارباً وأكلته بشراسة ونهم ولم يبقوا منه سوى عظامه.

وعندما حلّ الصباح، نزل السيد من الشجرة وحمل بندقية اللص وسيفه لأنه رأى أين أخفتهما الثعالب، ثم وضع الصهوة على ظهر الفرس واعتلى ظهره وابتعد عن المكان بسرعة.

وهكذا فإن الإلهام الإلهي للثعالب أنقذ السيد من الموت وإلاّ فمن أين علمت الثعالب ما هو السلاح ولأي شيء ينفع السيف وكيف يجب تجريد اللص من السلاح[٣٦].

* * *

(٣٠)

رحمة الله

قال ذو النون المصري:

(رغبت يوماً أن أخرج من بيتي وأذهب إلى شاطىء نهر النيل، فخرجت من المنزل، وفي أثناء الطريق شاهدت عقرباً مسرعاً متجهاً ناحية الشاطىء فقلت في نفسي: من المؤكد أنه ذاهب في مهمة ما، ولذلك قررت أن أراقبه لكي أرى ماذا يصنع.

---

(٣٦) معارف من القرآن/ ص ٦٨.

تبعته حتى وصل إلى الشاطىء. وفي الوقت نفسه كانت هناك ضفدعة خرجت من الماء ووقفت على رمال الشاطىء، فجاء العقرب وصعد على ظهر الضفدعة وقفزت هذه إلى المياه فاجتازت عرض النهر ووصلت إلى الجانب الآخر من النيل. فركبت زورقاً وبقيت أتابع مسير العقرب حتى أوصلته الضفدعة إلى الشاطىء الآخر. فواصل سيره وأنا على أثره حتى اقترب من شجرة كان تحتها شاب يغط في نوم عميق فيما كانت عند رأسه أفعى سامة تهمُّ أن تلدغه في فمه.

جاء العقرب فصعد على رقبة الأفعى فلدغها فيها، فأثرت لدغة العقرب في الأفعى ودب السم في جسمها فتراخى، ثم هلكت بعد هنيهة. وعاد العقرب من حيث أتى!!

توجهت أنا إلى الشاب النائم ووكزت خاصرته برجلي بهدوء فأيقظته من النوم، وعندما صحا علمت أنه كان سكراناً ولفرط سكره سقط مغشياً عليه، فرويت له قصة العقرب وقلت له:

أنظر ماذا فعلت أنت من معصية ثم أنظر كيف تلطف الله بك؟ ألست خجلاً من رحمة الله ولطفه وعطفه؟!

ألقى الشاب نظرة على جثة الحية فرآها هامدة وبعد اطراقة قصيرة تأثر تأثراً شديداً، فألقى بنفسه على التراب يمرغ ناصيته فيه ويبكي وينتحب من شدة الندم وتاب مما ارتكبه من الاثم توبةً نصوحاً).

أجل... اننا نقرأ في دعاء الافتتاح في شهر رمضان:

(الهي!

انك تدعوني فأوليّ عنك.

وتتحبّب إليّ فأتبغض إليك.

وتتودّد إلي فلا أقبل منك.

فلم يمنعك ذلك من الرحمة لي والإحسان إلي والتفضُّل علي بجودك وكرمك)[٣٧].

* * *

(٣١)

توقف الماء عن الحركة

يوماً كانت تمر على الجسر امرأة تحتضن طفلها الصغير لتعبر إلى الجانب الآخر من النهر، وفجأة وأثر ازدحام المارّة عثرت المرأة وسقطت على الأرض وأفلت الطفل من بين يديها وتدحرج من الجسر فسقط في النهر.

كان الماء يجري بسرعة وفور سقوط الطفل فيه جرفه التيار معه فركضت المرأة وأوصلت نفسها إلى شاطىء النهر وأخذت تتبع طفلها، وراحت تستغيث بالناس، بيد أن سرعة التيار كانت شديدة إلى الحد الذي لم يكن الناس يستطيعون أن ينتشلوا ابنها من الماء.

وأخيراً أوصلت الأمواج الطفل إلى مكان كانت المياه تدير فيه عجلة الطاحونة، وأيقنت المرأة أن لا أحد يستطيع أن يستجيب لاستغاثاتها وينقذ طفلها، رفعت رأسها نحو السماء وقالت:

(إلهي، أغثني وأنقذ ولدي)[٣٨].

وفي تلك اللحظة توقفت المياه على الفور، وبادرت المرأة فانتشلت طفلها من الماء وأخذت تشكر الله وتحمده وتثني عليه.

أجل، عندما ينقطع أمل الإنسان من كل أحد وكل شيء فإن فطرته

---

(٣٧) الدار الأخرى/ ص ٨٥.

(٣٨) يقول الله عز وجل: ﴿أمن يجيب المضطر ويكشف السوء﴾ ـ المترجم.

التي فطره الله عليها تجعله يتوجه نحو الله القادر المتعال لينقذه مما هو فيه[٣٩].

* * *

(٣٢)

الرغبات المختلفة

يوماً أوحى الله إلى موسى (ع): سأريك اليوم آية تكون عبرة لك وعظة بليغة، اذهب إلى القرية الفلانية وستجد فيها أربعة أشخاص كلّمهم وحادثهم واسأل عن أحوالهم وأعمالهم وآمالهم.

وذهب موسى إلى تلك القرية ووجد فيها أولئك الأربعة، فسأل أولهم:

(ما هو عملك؟ وما الذي تتمناه؟).

فأجاب:

(أعمل في الزراعة، وقد تضررت في السنة الماضية واقترضت هذه السنة وبذرت بذوراً كثيرة، فأرجو الله أن يبعث مطراً كثيراً كي تكثر البركة والخير في زرعي. هذا ما أتمناه، فادع الله أن ينزّل الغيث الغزير).

ووصل موسى إلى الثاني فسأله مثل ما سأل الأول فأجاب:

(إنني أعمل كوّازاً فأصنع الأواني الخزفية، ولغرض صناعة الأكواز أجلب التراب وأصنع منه طيناً ثم أحوّله إلى أكواز وأضعها تحت أشعة الشمس كي تيبس. فإذا هطل المطر تفسد كل الأكواز والأواني الخزفية، فإذا لم تهطل الأمطار بغزارة هذه السنة فإن أوضاعي ستتحسّن ورزقي سيكثر).

---

(٣٩) القصص العجيبة/ ص ٨١.

وجاء موسى (ع) فسأل الثالث:

(وأنت ما هو عملك؟ وما الذي تتمناه؟).

فأجاب الثالث:

(انني أعمل في بيادر الحقول، فإذا أرسل الله الرياح السريعة يسهل عملي ويتم بشكل أسرع، فأتمنى أن يبعث الله رياحاً سريعة لتسهيل عملي).

وعندما التقى موسى (ع) بالرابع سأله مثلما سأل الثلاثة الأولين فأجاب:

(إنني بستاني أعمل في جني الثمار من غصون الأشجار فعندما تنضج الفواكة وأمثالها إذا جاءت رياح سريعة أسقطت تلك الفواكه من الأشجار إلى الأرض وأتلفتها، وإذا كانت الرياح هادئة وطبيعية تمكنت من العمل بشكل أفضل).

فتعجّب موسى وتحيّر من أمرهم ورفع رأسه نحو السماء قائلاً:

(إلهي! أنت وحدك تعرف كيف تدبّر أمور عبادك)[٣٩].

* * *

(٣٣)

الحكمة الإلهية في خلق العقرب

روى المؤرخون انه في زمن (خوارزم شاه) كانت نيشابور هي العاصمة. وكانت هذه المدينة عامرة مزدهرة في ذلك الحين ويسكنها حوالي مليون ونصف المليون شخص. وقد قصدها المتخصصون في كل فن الأستاذة في كل مجال، وعلى رأس هؤلاء محمد بن زكريا الرازي الذي كان أستاذاً في علم الطب.

---

(٣٩) العدل/ ص ٣٣٤.

وفي تلك الفترة أصيب أحد أمراء فارس بالشلل وأقعده وجع رجليه عن النهوض فلازم الفراش. وحاول كثير من الأطباء أن يعالجوا علّته، فلم يشف واستعصى علاجه. وعندما يئس من الشفاء في فارس قرر التوجّه إلى نيشابور لعل الرازي يستطيع معالجته.

فهيّأوا له مستلزمات السفر ووسائل النقل المتعارفة آنذاك وهي الحصان والبغل والعربة وتوجه بها إلى نيشابور. وعندما وصلها كان الوقت عصراً والمحلات والدكاكين مغلقة، فذهبوا به إلى منزل لإقامة المسافرين كي يقضي ليلته تلك هناك.

وكان الجوّ حاراً في تلك الليلة ولذلك قرر مرافقو ذلك الأمير أن يقضوا تلك الليلة على سطح المنزل فناموا هناك وتركوا الأمير نائماً في صحن الدار. وعندما حل الصباح ونهضوا من النوم نزلوا إلى صحن الدار ليوقظوا الأمير وإذا بهم فوجئوا برؤية الأمير المشلول قد نهض من سريره وطفق يتمشى في صحن المنزل جيئةً وذهاباً!!

ولما شاهدوا الحاكم يتمشى اندهشوا وتعجبوا وسألوه:

(أيها الأمير! كيف شفيت من مرضك بهذه السهولة والسرعة)؟

فأجاب:

(أنا الآخر لا أدري كيف شفيت)!

فأسرع المرافقون إلى الرازي كي يسألوه عن الأمر مصطحبين معهم الأمير المريض المشافى لتوه، وعندما وصلوه وسألوه أمر بخلع ملابسه ففعلوا ذلك، وفوجئوا هذه المرة لمرأى عقربين مختفيين في ملابسه فأخبرهم الرازي: (ان مرض هذا الأمير لم يكن له من دواء سوى سم العقرب).

وعندما أدرك مرافقو الأمير الحكمة من خلق العقرب سجدوا لله شكراً وتعظيماً وعادوا به من حيث جاؤا[٤٠].

* * *

(٣٤)

(ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل)

عندما هاجم مكة أبرهة وجيشه وهم يركبون الفيلة كي يخربوا بيت الله الحرام ويدمروا الكعبة، لم ير أهالي مكة أن لديهم القدرة على مقاومة هجومهم فطفقوا يهربون من مكة ويلوذون بالجبال والشعاب المحيطة بها. ولم يبق في مكة إلا عبد المطلب جد الرسول الأكرم (ص).

وعندما أصدر أبرهه أمر الهجوم وزحف أصحاب الفيلة لاقتحام مكة أمر الله عدداً كبيراً من الطيور لردعهم وإيقاف زحفهم. وكان كل طير يحمل ثلاثة أحجار صغيرة: واحدة في منقاره واثنان في رجليه معلقتان في مخالبه، وكانت كل حجارة تسقط عليهم تهلك واحداً منهم.

وكانت الطيور كلما تصل على رأس أحدهم ترميه بحجارة من سجيل فتدخل الحجارة من رأسه وتخترق جسمه ثم تخترق ظهر الفيل الذي يركبه المهاجم القتيل فتخرج من بطنه. وهكذا كانت كل حجارة تهلك راكب الفيل ثم الفيل نفسه، وبذلك تم القضاء على جيش أبرهه وألحقت بهم هزيمة نكراء ولم يجنوا من هجومهم سوى الخزي والعار وفر من تبقى منهم وهم يجرون أذيال الخيبة والفشل الذريع.

لقد ذكر الله لنا هذه القصة في القرآن الكريم لكي يفهم الإنسان ويدرك جيداً من الذي أعطى الحجارة الطينية غير القاتلة القدرة على القتل

---

(٤٠) العدل/ ص ٨٣.

وكيف تسنى لهذا الطين الحقير في نظر الإنسان أن يقضي عليه وعلى عدد كبير من الفيلة جراء الجروح والقروح التي ألحقتها بهم، ومن الذي أوحى إلى الطيور وبعثها لمهاجمة أصحاب الفيلة؟!

جاء في الرواية الشريفة ما معناه:

إذا أراد الله بعبد مؤمن خيراً وأراد أن يزيد في بصيرته هيأ له فرجاً ومخرجاً من حيث لا يحتسب[٤١].

* * *

(٣٥)

الشفاء بيد الله

في أحد الأزمنة شاع في شيراز وباء الحصبة، وكان يعيش فيها آنذاك طبيب حاذق. وفي أحد الأيام أصيب ابنه بالحمى ولازم الفراش، فجاء أبوه الطبيب وفحصه بدقة وشخّص إصابته بمرض (الملاريا)، فكتب له وصفة تتضمن دواء يعالج هذا المرض، وجاءه بالدواء المذكور وسقاه منه، ولكن الحقيقة هي أن الولد كان مصاباً بالحصبة ذاتها، ولذلك فقد توفي بعد فترة قصيرة.

فينبغي أن يعلم الناس أن الطبيب والدواء ما هم إلا وسائل وما لم يشأ الله فلا الطبيب له تأثير مستقل ـ بحد ذاته ـ ولا الدواء هو الآخر له التأثير الكلي والأساس. فالتوحيد الحقيقي يكمن في أن يعتقد الناس أن كل تأثير إنما هو عائد لله عزَّ وجلَّ، والبقية ما هم سوى وسائل[٤٢].

* * *

---

(٤١) التوحيد/ ص ٢٤٠، وهنا مضمون الرواية طبعاً.

(٤٢) الاستعاذة/ ص ١٨١.

(٣٦)

الأخوان

كان في بني إسرائيل اخوان اسمهما (يهودا) و(بطرس)، ترك لهما أبوهما عند وفاته ثمانية آلاف دينار، فأخذ كل منهما أربعة آلاف دينار وذهب إلى حال سبيله.

أما يهودا فأنفق كل أمواله في سبيل الله من خلال توزيعها على الفقراء والمحتاجين، ولم يبق لديه منها شروى نقير.

وأما بطرس فقد اشترى بحصته من ارث أبيه بستانين كبيرين فيهما الكثير من أشجار الفاكهة بشتى أنواعها. وقد أجرى الله فيهما نهراً يروي الأشجار. وعلاوة على ذلك، اشترى بطرس عدداً كبيراً من العبيد والاماء وبنى له وسط البستانين قصراً منيفاً فخماً.

ويوماً احتاج يهوداً إلى مبلغ من المال، وجاء ليقترضه من أخيه. وبدلاً من أن يبادر بطرس فيعطيه المال الذي يحتاجه طفق يلومه وينتقده قائلاً:

(لماذا أهدرت حصتك من تركة أبيك وأذهبتها ادراج الرياح؟! كان عليك أن تنتفع من أموالك مثلي وتحصل على فوائد وأرباح غير قابلة للزوال والاضمحلال. إنني سعيد وثري في هذه الدنيا وسأكون أسعد منك في الحياة الأخروية أيضاً. أنظر كم يوجد لديّ من البساتين والأشجار والثمار. وأنظر كم عندي من الغلمان والجواري والخدم وكم بنيت من القصور. أنظر كم أنا قوي مقتدر. وهل هناك من هو أقوى مني؟).

أجاب يهودا:

(إنك اغتررت بنفسك وأعجبت بها لدرجة صرت فيها غافلاً عن الله ناسياً له. انك خلقت من نطفة حقيرة فأوصلك الله إلى هذه المنزلة وبلغت هذه المنزلة. وكل هذه الأموال هي أموال الله، وأنت نفسك مملوك

وعبد لله. فإن شاء الله أن تنتفع من هذه الزروع والأشجار والثمار انتفعت، وإلا فلن تستطيع الانتفاع والإستفادة منها).

وفعلاً نزلت في تلك الليلة صاعقة من السماء فأحرقت كل ما في بستاني بطرس ودمرت قصره. وعند الصباح رأى بطرس أن كل ثروته أصبحت رماداً تذروه الرياح ولم يبق له منها شيء اطلاقاً، فندم على ذلك بشدة وأخذ يضرب كفيه بأحدهما الآخر ويئن قائلاً:

(ليتني لم أعبد ثروتي من دون الله. ليتني لم أجعل لله شريكاً).

وبهذا فقد أفلح يهودا وفاز بسبب إيمانه وطاعته لله بينما حلّ الشقاء ببطرس بسبب اشراكه بالله[٤٣].

* * *

(٣٧)

المشي على الماء

كان السيد المرتضى علم الهدى أحد أعاظم علماء الشيعة، وكان مجلس للدرس والمناقشة في مدينة الكاظمية يرتاده عدد كبير من الناس وينتفعون منه. وكان أحد طلبته يسكن في بغداد ولذلك فهو مضطر لعبور نهر دجلة للحضور في درس السيد المرتضى كل يوم، وبسبب عدم وجود جسر ثابت قرب ذلك المكان فإنه كان مضطراً للعبور بواسطة الجسر المؤقت.

وكان الجسر المؤقت، يُنصب على النهر صباحاً ويرفع عند العصر. وفي بعض الأيام وعندما كان الطالب البغدادي يقترب من النهر يرى أن

---

(٤٣) الإيمان/ الجزء الأول/ ص ١١٩.

الجسر لم ينصب بعد فيضطر للانتظار مدة من الزمن حتى يحين موعد نصب الجسر على النهر.

ويوماً جاء هذا البغدادي إلى أستاذه السيد المرتضى وشكا إليه عدم قدرته على الحضور في أول الدرس وطبقاً للموعد المحدّد. فرق له قلب السيد وأشفق عليه، ورفع ورقة صغيرة فكتب فيها بعض الكلمات ودفعها له بعد أن طواها، وقال للبغدادي:

(إذا جئت غداً صباحاً لتعبر النهر فضع رجلك على الماء واعبر النهر وأوصل نفسك لحلقة الدرس).

وفعلاً نفّذ البغدادي أمر السيد وتوجيهاته وجاء إلى شاطىء النهر فمشى على الماء وعبر النهر إلى الشاطىء الآخر وعندما أتم العبور وجد أنه لم يبتل بالماء حتى في إحدى قدميه.

ومضت أيام عديدة وهو يعبر النهر ماشياً على الماء، وفي أحد الأيام قال في نفسه:

(لأنظر ماذا كتب السيد في هذه الوريقة الصغيرة الملفوفة).

ففتح الوريقة وفوجىء بأن كل ما كان مكتوباً فيها هو:

«بسم الله الرحمن الرحيم»

وأوجس في نفسه شكاً وقال ـ جهلاً ـ:

(عجباً! انها نفس (بسم الله) نا التي نكررها مراراً كل يوم!!).

وبعد ذلك، جاء إلى الشاطىء وأراد العبور كعادته مشياً على سطح الماء وفجأة غطست رجله وسقط في النهر وكاد أن يغرق، بيد أنه نجا من الغرق وخرج من النهر مبلّلاً يسيل منه الماء وبقي ينتظر فترة من الزمن حتى جيء بالجسر المؤقت فنصب على النهر، فعبر عليه البغدادي وجاء إلى

حلقة الدرس متأخراً ساعة من الزمن على بدء درس السيد المرتضى.

سأله السيد قائلاً:

(لماذا جئت الدرس متأخراً).

فأخبره الرجل البغدادي، ولما سمع السيد ذلك قال:

(عندما قلّت لديك أهمية (بسم الله) ونظرت نظرة استصغار لاسم الله الأعظم فإنك فقدت أثره وثمرته).

أجل.. إن بركات اسم الله كثيرة وجمّة، ولكن قلة معرفتنا وضعف إيماننا هو الذي يمنعنا من الإستفادة منه)[٤٤].

* * *

(٣٨)

في قعر البئر

في ليل بهيم حالك الظلام كان ثمة رجل مؤمن متقٍ يمشي في الصحراء. وبسبب شدة سواد الليل وكون الرجل يجهل الطريق فإنه وقع فجأة في بئر عميق. ومضت مدة من الزمن فمر بعض الناس قرب تلك البئر وعندما رأها مكشوفة خافوا أن يقع فيها أحد المارّة فجاؤا بصخرة كبيرة ووضعوها على فتحة البئر فغطوها!!

وكان الرجل المؤمن ماكثاً في قعر البئر وليس له من أمل إلا برحمة الله، وكان متأكداً من مرور بعض الناس قرب البئر يوماً ما، فإن كان له بقية من العمر المقدر له من الله ولم يحن بعد أجله فإنه ـ تبارك وتعالى ـ سينجيه وينقذه مما هو فيه.

---

(٤٤) جنة الخلد/ ص ٣٦٣.

وأثناء وضع المارة الصخرة على فوهة البئر أحس الرجل أن تراباً يسقط على رأسه من أعلى البئر، ورأى شيئاً مثل ذيل الحيوان متدلياً من الأعلى إلى الأسفل، فأمسك به الرجل وأخذ يجره ويصعد إلى الأعلى، وعندما. وصل إلى الصخرة حرّكها عدة مرات فتحركت وانزاحت وتمكن من الخروج.

فعلينا أن نؤمن ونعتقد أن الذي يخرجنا من آبار الحيرة والضلالة والشقاء هو الله عزَّ وجلَّ. انه يخرجنا منها بأية وسيلة كانت ويستنقذنا من وهدة النية والضلال، وإذا لم يشأ انقاذنا فمهما استعملنا من وسائل لن نتمكن من النجاة أبداً(٤٥).

* * *

(٣٩)

ضيافة إبراهيم (ع)

اعتاد النبي إبراهيم (ع) على ألّا يأكل طعامه وحده دون أن يدعو ضيفاً ليأكل معه. وعندما يفتقد من يستضيفه يقف على قارعة الطريق ويدعو أي مسافر يمر من هناك ليتناول معه الطعام.

ويوماً كان يمر عبر هذا الطريق رجل كافر، فدعاه إبراهيم إلى بيته وطلب إليه أن يتناول معه الطعام، فاستجاب الكافر لدعوة إبراهيم، وعندما جلس إلى المائدة، قال إبراهيم (ع) وهو يهم بالأكل:

«بسم الله الرحمن الرحيم»

وطلب إلى ذلك الرجل أن يقولها قبل أن يمد يده إلى الطعام، فقال الرجل الكافر:

---

(٤٥) النفس المطمئنة/ ص ١٢٦.

(إنني لا أعرف رباً أو إلهاً كي أذكر اسمه وابتدىء به).

انزعج النبي إبراهيم وتبرم قائلاً:

(اذن فانهض واخرج من البيت).

فنهض الضيف وغادر بيت إبراهيم (ع). وفي هذه اللحظة نزل الوحي الإلهي على إبراهيم ومضمونه:

(يا إبراهيم لماذا طردت ضيفك. لقد رزقناه من لدنّا سبعين عاماً وحوّلنا رزقنا له لنجريه على يديك فطردته).

فندم إبراهيم ندماً شديداً وخرج من بيته مسرعاً وركض في اثر الرجل الكافر ورجاه أن يعود إلى بيته وألحّ عليه أن يرجع ثانية إلى البيت.

فقال له الكافر:

(لن أعود إلى بيتك ما لم تخبرني عن سبب مجيئك في أثري وطلبك إلي العودة من جديد).

أخبره إبراهيم بالأمر، فخجل الكافر وقال:

(ويلي أنا الذي كنت غافلاً عن مثل هذا الإله الرؤوف الرحيم وكافراً به)، وأعلن ذلك الرجل إيمانه بالله عزَّ وجلَّ وصار من الصالحين[٤٦].

* * *

(٤٠)

(إن الله على كلّ شيءٍ شهيد)

من المعروف أن سهل الشوشتري كان أحد العارفين الأجلاء، وقد رويت عنه كرامات عجيبة. سألوه يوماً:

---

(٤٦) جنة الخلد/ ص ٢٧.

(كيف وصلت إلى هذه المنزلة وبلغت هذه الدرجة؟).

فأجاب:

(كنت في طفولتي أعيش عند خالي. ويوماً كنت نائماً ـ وعمري آنذاك سبع سنوات ـ فأحسست بضغط شديد من ناحية الادرار وحاجة ملحّة للتبول. فنهضت من فراشي وذهبت إلى بيت الخلاء. وعندما عدت إلى فراشي لأنام رأيت خالي جالساً باتجاه القبلة، وعلى كتفيه عباءة وقد لف على رأسه عمامة، وانهمك في صلاته.

أعجبني مرآه وحالته فجلست إلى جنبه حتى أنهى صلاته، فسألني:

(لم أنت جالس يا ولد.. اذهب ونم في فراشك).

قلت له:

(اعجبني عملك هذا وأود أن أجلس وأتمتع بالنظر إليك).

قال لي:

(لا، إذهب ونم).

فذهبت ونمت، ولما كان نفس الموعد من الليلة التالية نهضت من نومي وغادرت فراشي وذهبت إلى بيت الخلاء ولما عدت وجدت خالي مشغولاً بعبادته مكباً على صلاته. فجلست إلى جانبه، ولما أتم الصلاة التفت لي قائلاً:

(اذهب ونم في فراشك).

قلت له:

(أحب أن أكرر قول ما تقوله أنت).

فأجلسني ناحية القبلة وقال:

(قل مرة واحدة: ياحاضر، يا ناظر).

فقلت ذلك وكررته مراراً، فقال لي خالي:

(هذا يكفي، الليلة، إذهب الآن ونم).

وتكرر الأمر عدة ليالٍ وكنت أردد معه القول:

(يا حاضر، يا ناظر).

وشيئاً فشيئاً تعلمت الوضوء، وبعد أن أتوضأ كنت أعود فأجلس بمحاذاته ميمماً شطر القبلة فأكرر: (يا حاضر ويا ناظر) سبع مرات. وشيئاً فشيئاً صرت أنهض قبل آذان الفجر بمحض إرادتي فأتوجه نحو القبلة وأشتغل بذكر الله وتسبيحه وتحميده، دون أن أجلس قرب خالي، وبعد أن أفرغ من الصلاة أرفع مسبحتي وأكرر كثيراً:

(يا حاضر، يا ناظر).

وعندما أردّدها أشعر بسمو روحي وتألق معنوي حتى وصلت إلى هذه المنزلة وبلغت هذه الرتبة).

يقول الشاعر(٤٧):

وأي امرىء يسهو عن الله لحظة يكن كافراً فيها وإن كان لا يدري

وفي لفظ آخر يتضمن المعنى نفسه:

ومن يُغفِلِ الله في لحظةٍ يكن كافراً وهو في غفلةٍ

فيا أيها الآباء ويا أيتها الأمهات!

أوضحوا هذه الأمور واذكروا هذه المفاهيم لأبنائكم وقولوا لهم:

(يا ولدي إن الله موجود في كل زمان ومكان، ويرى كل شيء ويطلع على أي عمل، وأينما ذهبت يراك).

---

(٤٧) ترجمنا قول الشاعر من الفارسية إلى العربية وضعنا الترجمة في بيتين من الشعر يكفي كل واحد منهما بحد ذاته لجمع معاني البيت الأصلي ومفاهيمه برمتها، ولم يذكر المؤلف اسم الشاعر، وأصل البيت بالفارسية:

«هر آن كو غافل ازحق يك زمان است درآن دَم كافراست اما نهان است

«جبارة»

ولا يحتاج هذا الأمر إلى برهان، ففطرة الطفل مستعدة ومؤهّلة لإدراكه وفهمه[٤٨]، وكل ما في الأمر انه بحاجة إلى التذكير به لكي يعقله[٤٩].

(٤١)

النعم التي لا تحصى

عبد الملك بن مروان خليفة اشتهر بالجور وسفك الدماء. يروى أنه استدعى يوماً الإمام السجّاد (ع) للمثول عنده، وعندما دخل الإمام قصر عبد الملك شاهده ابن مروان فوجده رجلاً أنحلته العبادة وأضعفت بدنه حتى بدا وكأنه الخشبة اليابسة، وغارت عيناه في محجريهما، وبان في جبهته أثر السجود وانحنى ظهره كالقوس.

وتأثر عبد الملك لرؤية الإمام السجّاد على هذه الحال وقال:

(يا بن رسول الله! لِمَ تنهك نفسك بالعبادة وقد علمت بمنزلتك عند الله في الجنة، وان رسول الله يشفع لك في يوم القيامة؟).

فأجابه الإمام (ع):

(تالله إن تقطَّع بدني إرباً إرباً من أثر العبادة والسجود، وان خرجت عيناي من مكانيهما، لن أفي بعشر معشار حق نعم الله من الشكر، فنعم الله ـ تعالى ـ لا تحصى أبداً).

يقول الشاعر[٥٠]:

---

(٤٨) المعنى مستوحى من قوله تعالى ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾ (الروم/ ٣٠) ـ المترجم.

(٤٩) معارف من القرآن/ ص ١٤٥.

(٥٠) هذا البيت الشعري يتضمن تماماً معنى الأبيات الشعرية الفارسية التي أوردها المؤلف الشهيد في الكتاب (جبارة).

مواهب الله عندي جاوزت أملي وليس يبلغها قولي ولا عملي[٥١]

* * *

(٤٢)

الأمل الأخير

يوماً حدّث الإمام الحسن العسكري أصحابه عن قول الله عزَّ وجلَّ:

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

فقال (عليه الصلاة والسلام):

(الله: هو الذي يتألّه إليه عند الحوائج والشدائد كل مخلوق، وعند انقطاع الرجاء من كل من دونه، وتقطُّع الأسباب من جميع من سواه. تقول «بسم الله» أي أستعين على أموري كلها بالله الذي لا تحق العبادة إلا له، المغيث إذا استغيث، والمجيب إذا دعي).

ثم نقل لهم الإمام العسكري قصة رجل جاء إلى الإمام جعفر الصادق قائلاً:

(يا بن رسول الله! دُلّني على الله ما هو فقد أكثر عليّ المجادلون وحيَّروني).

فقال الصادق (ع).

(يا عبد الله! هل ركبت سفينة قطُّ؟).

قال الرجل: نعم.

فسأله الإمام (ع):

(فهل كسرت بك حيث لا سفينة تنجيك، ولا سباحة تغنيك؟).

قال الرجل: نعم.

---

(٥١) القيامة والقرآن/ ص ٧٠.

فقال الإمام (ع):

(فهل تعلق قلبك هنالك أن شيئاً من الأشياء قادرٌ على أن يخلّصك من ورطتك؟).

أجاب الرجل: نعم.

فقال الإمام (ع):

(فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لا منجي، وعلى الإغاثة حيث لا مغيث)[٥٢].

* * *

(٤٣)

الجوع والموت

من المعروف أن سليمان بن عبد الملك ـ الخليفة الأموي ـ كان رجلاً نهماً شرهاً اكولاً. وكان يكثر من تناول الطعام لكنه لا يشبع قط!!

يوماً ذهب إلى مكة المكرمة فمكث فيها فترة من الزمن، وقد اعتادوا أن يعدوا غداءه بذبح ثمانين دجاجة وطهيها له. فكان يأتي عليها ثم يولول: (ما زلت جائعاً)!!

وفي صباح أحد الأيام دخل الحمام ومكث فيه طويلاً، وعندما غادره كان يصرخ بأعلى صوته: ماذا عندكم من الطعام!؟ إإتوني به بسرعة!. فأجابه طباخه الخاص: سنعد لحضرتكم ثلاث خرفان لغدائكم وقد ذُبحت للتو!.

---

(٥٢) القلب السليم/ الجزء الأول/ ص ٢٠٩ والمعنى مأخوذ من معاني الأخبار للشيخ ابن بابويه الصدوق في (معاني الأخبار)/ ص ٤.

فأجابه الخليفة بصوت عال: إن لم آكل الآن طعاماً فسأهلك فوراً لفرط جوعي. عليّ بالطعام حالاً.

عاد الطباخ إلى المطبخ فوراً واستخرج أكباد الخرفان الثلاثة وأفئدتها وكلاها وبدأ يشويها بالنار، وقبل أن يتم شيّها صاح الخليفة بكل ما أوتي من علو صوته: عليّ بالأكل فوراً، إإتوني به حالاً وان لم يكتمل طبخه!!

فجاءه الطباخ بأكباد الخرفان وقلوبها وكلاها وما تزال غير مكتملة الشي، فبدأ الخليفة يلتهم اللحم الحار واللحم يكوي يديه وفمه، ولذلك أخذ يتقي حرارة اللحم بكميه، وكان ثوبه من الثياب الملكية الفاخرة والثمينة.

والطريف انه بعد زوال حكم بني أمية وبدء حكم بني العباس، فتح هارون الرشيد يوماً الخزانة الملكية ليطلع على مجوهراتها ودررها ومحتوياتها الثمينة. وفجأة التفت إلى إحدى زوايا الخزانة فرأى ثوباً مخيطاً بخيوط الذهب مزيّناً بالجواهر ولكنه رأى أن كمّه يعلوها الدسم فسأل أمين الخزانة عن هذه الدسومة فأجابه بأن هذا هو ثوب سليمان بن عبد الملك وحكى له قصته.

أجل.. أيها القارىء العزيز، ينبغي أن نؤمن أن الشبع والارتواء إنما هو بيد الله عزَّ وجلَّ. فعندما تعطش وتريد أن ترتوي تشرب ماءً فبدون إرادة الله ومشيئته مهما شربت من الأقداح المترعة ـ حتى كانت مئات الأقداح ـ لن ترتوي قط، وان شاء الله فانك ترتوي(٥٣).

ولا تظنّ أن الطعام هو الذي يشبع المرء، فإن الله إذا شاء أن يُزدرد

---

(٥٣) ﴿هو يُطْعِمُني وَيَسقِيني﴾ كما تقول الآية القرآنية ـ المترجم.

الطعام ويهضم في المعدة ويمتصه البدن، حصل ذلك وزال الجوع وإلا فانك تصبح مثل معاوية وسليمان بن عبد الملك اللذين لم يكونا يشبعان قط(٥٤).

* * *

(٤٤)

نزول البلاء مذكر بالله

كان لرضا خان الخبيث رئيس وزراء مغرور كسيّده البهلوي. وكان يدعي: (ان لديّ مئة دليل على عدم وجود الله)!! وقد تميّز بالصلف والوقاحة بدرجة بحيث نسي خلق الله له بعد أن لم يك شيئاً قبل مئة عام ولن يكون شيئاً بعد مئة عام، وأن عليه ألا يغتر بهذه الأيام القليلة المنصرمة من عمره.

وعلى أية حال، فبعد مضي فترة على تخرصاته قبض عليه وألقي في السجن إثر أخذه رشوةً كبيرة في مقابل إخراجه مقادير من الحنطة من البلاد وارتكابه مخالفات عديدة أخرى، وبعد أن صارت مخالفاته حديث الألسن ومضرب المثل.

يقول شاهد عيان رآه في السجن:

(ذهبت لزيارته في سجن «قزل قلعه» وحين وقع بصري عليه رأيته منكسراً منطوياً مهيض الجناح. سألته عن حاله وقلت له: قبل فترة من الزمن كنت تدعي أن عندك مئة دليل تثبت عدم وجود الله. فكم بقي منها لديك الآن؟ وهل تخبرني بها؟).

---

(٥٤) معارف من القرآن/ ص ٣٩١.

وفجأة انفجر باكياً وهو يقول:

(لقد ظهر دليل أقوى من المئة دليل كلها بحيث أزالها مرة واحدة وقضى عليها، والدليل هو: مصيري الأسود أنا الشقي الذي كنت حتى الأمس القريب في ذروة القوة وأوج المجد والزهو والاقتدار واليوم صرت في وهدة الذل والحضيض والشقاء.

لقد فهمت الآن وأدركت لتوي أن هناك رباً يتحكم في مصير ابن آدم ويقلّب البشر من حال إلى حال[٥٤]).

* * *

(٤٥)

التاجر الكافر

قبل زهاء ثلاثين أو أربعين سنة، كان في شيراز تاجر مؤمن ـ في الظاهر ـ يغلب عليه طابع القداسة والنسك. وكان ملازماً للمسجد وصلاة الجماعة، ولكن اتضح ان صلاته كانت مظهراً بلا روح ولا مضمون.

ومن الأقدار أنه وصل مرحلة الإفلاس وصار جليس داره لا يغادره. وقد ضاق عليه العيش وتزايدت عليه ضغوط الحياة حتى اضطر لبيع أثاث منزله كي يتمكن من البقاء على قيد الحياة.

ويوماً فكر مع نفسه أنه إذا ظل هكذا يبيع أثاث البيت ويعتاش عليه فسيجد نفسه بعد ثلاث سنوات لم يبق لديه شيء من الأثاث يمكنه بيعه وليس له نقود أو مال. وبالتالي فبعد ثلاث سنوات يتوجب عليه أن يجلس في الزقاق ويستجدي الناس. وقد هزّته هذه الفكرة وآلمته لدرجة أنه طفق

---

(٥٤) العدل/ ص ٩٦.

يفكر بالانتحار. وأخيراً أقدم على تناول كمية من السم فمات.

ان هذا التاجر وعلى الرغم من تظاهره بالقداسة والتدين ولكنه كفر بالقضاء والقدر الإلهيين وكانت العاقبة هو خروجه من الدنيا كافراً.

يقول الله تبارك وتعالى

﴿وَلاَ تَيأَسُوا مِن روحِ اللّهِ إنّه لا يَيأسُ من رَوحِ اللّهِ إلاّ القومُ الكافِرُونَ﴾[٥٥].

ولذلك يقول العلماء: إن من بين أكبر الكبائر: اليأس من الرحمة فمن يئس من فضل الله ورحمته يغادر هذه الحياة كافراً[٥٦].

* * *

(٤٦)

الوثني الهندي

كتب أحد الرحّالة في مذكراته قائلاً:

(عندما وصلت إلى الهند واستقر بي المقام فيها، ذهبت إلى القصاب كي أبتاع منه لحماً، فوجدت أن ثمة أفراداً سبقوني في الوصول إلى القصاب، فطفقت أنظر إليه، فشاهدت أنه كلما أراد أن يزن مقداراً من اللحم توجه إلى رفّ فوق الميزان فرفع قطعة قماش ونظر فيها بعد فتحها، ثم بادر إلى اللحم فوزنه.

وعندما وصل الدور لي، سألته:

«ما تلك الخرقة التي تفتحها قبل أن تزن اللحم فتنظر فيها قبل أن تزن اللحم؟».

قال القصاب:

---

(٥٥) سورة يوسف/ ٨٧.

(٥٦) النفس المطمئنة/ ص ٢٩.

(إنني وثني، وقد وضعت الوثن الذي أعبده في داخل تلك الخرقة، فكلما أردت أن أزن اللحم أفتح الخرقة وأنظر الوثن كي أشعر نفسي أن ربي حاضر وينبغي أن لا أبخس الناس في الميزان).

عجباً!! هل صرنا ـ نحن المسلمين ـ أدنى درجةً حتى من ذلك الهندي الوثني؟ ان القرآن الكريم يقول:

﴿وهُوَ مَعَكُمْ أينما كُنتُمْ﴾[٥٧].

ويقول القرآن الكريم أيضاً:

﴿وَنَحنُ أقرَبُ إليهِ مِن حَبلِ الوَرِيدِ﴾[٥٨].

فينبغي أن يشعر المسلم أن ربه ورب العالمين حاضر وناظر ورقيب وحسيب؛ يرى ويعلم كل الأعمال والأقوال والظنون. فإن آمن المسلم بهذا الموضوع لم يرتكب الخيانة والخطيئة وبخس المكيال والميزان وأكل الربا والاحتكار والسرقة قطّ[٥٩].

* * *

(٤٧)

الخواجة نصير الدين وحارس المطحنة

من المعروف أن الخواجة نصير الدين الطوسي كان من أكابر علماء الشيعة وقد نبغ في معظم علوم عصره واكتسب فيها منزلة الأستاذية والمرتبة العليا. كان الطوسي مسافراً يوماً، واثناء الليل وصل إلى مطحنة ـ وكان الفصل صيفاً ـ فقال له حارسها:

(إذا عزمت على المكوث الليلة فيمكنك المبيت في المطحنة).

---

(٥٧) سورة الحديد/ ٤.

(٥٨) سورة ق/ ١٦.

(٥٩) جنة الخلد/ ص ٧٦.

قال الطوسي:

(الجو حار، ومن الأفضل أن أنام في صحن المطحنة لا تَحت السقف).

قال الحارس:

(سيهطل المطر عند منتصف الليل).

فرمق الطوسي السماء ببصره فوجدها صافية ليس فيها سحابة واحدة فأجاب حارس المطحنة:

(لا.. سأبيت الليلة خارج المبنى تحت السماء).

وفرش الخواجة فراشه في العراء وغط في نوم عميق. وفي منتصف الليل هبت رياح وعواصف وحصلت رعود وبروق شديدة وتكدست سحب كثيرة وهطلت أمطار غزيرة كأنها أفواه القرب.

فنهض الخواجة مذعوراً واضطر للجوء إلى داخل مبنى المطحنة وسأل الحارس والماء يقطر من أطرافه:

(كيف علمت أن المطر سيهطل الليلة)؟!

فأجابه:

(لدي كلب ينام كل ليلة في فناء المطحنة ولا يدخل تحت سقفها، وعندما أراه يدخل فيأوي تحت السقف أعرف أنه أحس بقرب هطول المطر، وقد أصر هذه الليلة على دخول المبنى والنوم تحت السقف فعرفت قرب هطول المطر).

ترى من الذي أعطى للكلب قدرة تشخيص قرب سقوط المطر ولقّنه هذه المعرفة الغريزية غير الله تبارك وتعالى[٦٠].

* * *

(٦٠) العدل/ ص ٣٨٣.

(٤٨)

لطف الله وجحود العبد

يروى أن امام جمعة مدينة بهبهان توجه ـ قبل عدة من السنين ـ إلى مكة المكرمة لحج بيت الله الحرام.

وفي أحد أيام إقامته في مكة غادر المنزل لزيارة البيت الحرام والصلاة فيه، وفي أثناء الطريق دهمه خطر كاد أن يقضي على حياته لكنه نجا منه بلطف الله وعونه.

وكان على مقربة من الحرم بائع فاكهة وخضار، فسأله امام جمعة بهبهان: بكم تبيع البطيخ. فأجابه البائع: ان لدي أنواعاً منه بعضها غالٍ وبعضها رخيص فقال له إمام الجمعة: ان بقيت هنا حتى أذهب إلى الحرم وأعود منه فسأشتري منك مقداراً من البطيخ.

وذهب إمام الجمعة فتوضأ ودخل المسجد وانشغل في إقامة الصلاة، وأثناء الصلاة فكر مع نفسه أي البطيخ سيشتري وكم يحتاج منه... وعندما فرغ من الصلاة وهمّ بمغادرة المسجد دخل المسجد شخص واقترب منه وهمس في اذنه:

(لقد تلطّف الله بك فأنقذك اليوم من الموت فهل من اللائق أن تصلي لربك في بيت الله وأنت منشغل بالتفكير في البطيخ!!؟).

فانتبه إمام جمعة بهبهان لخطئه وارتعش بدنه وتاب مما فعله[٦١].

* * *

---

(٦١) القصص العجيبة/ ص ٧٩.

(٤٩)

رب موسى يقظ

في الليلة التي كان من المتفق عليه أن يذهب موسى (ع) لتحدي السحرة ومنازلتهم، قال رئيس السحرة لهم:

(ينبغي لنا أن نعرف هل إن موسى ساحر مثلنا ومخادع مكّار أم انه رسول الله حقاً وامرؤ صادق. ولهذا الغرض يجب أن يذهب اثنان منّا لمحل إقامته ويسرقا عصاه وهو نائم، وليأتيا بها هنا. فإن استطاعا القيام بذلك نعلم أنه ليس بنبي، وإذا لم يتمكنا نعرف انه رسول من الله).

وتطوع ساحران فذهبا إلى دار موسى (ع) ليسرقا عصاه، وعندما دخلا الدار خلسة شاهداه نائماً وعصاه عند رأسه. وبمجرد أن اقتربا من العصا تحولت إلى ثعبان، فلما شاهدا ذلك هربا لكن الثعبان تتبعت أثرهما وظلت تلاحقهما وهما خائفان مرعوبان.

وجاء الساحران الخائبان إلى رئيسهما قائلين:

(لقد كان موسى نائماً، لكن ربّه كان يقظاً ولسنا نستطيع أن نلحق به أي أذى).

أجل.. اننا نقرأ في آية الكرسي[٦٢]:

﴿اللَّهُ لا إله إلاَّ هُوَ الحيُّ القيوم لا تأخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَومٌ﴾[٦٣].

* * *

(٦٢) سورة البقرة/ ٢٥٥.

(٦٣) معارف من القرآن/ ص ٤٦١.

(٥٠)

اللص والبستاني

شاهد بستاني ـ وهو يدخل البستان ـ لصاً مشغولاً بأكل الفاكهة وملأ وعائه منها، فغضب البستاني لأنه رأى ثمار أتعابه وجهوده التي بذلها طيلة عدة أشهر، يسرقها هذا اللص الوقح، فصاح به:

ـ ماذا تفعل يا عبد الله!!؟

فأجابه اللص:

ـ الأرض أرض الله، والأشجار من مخلوقات الله، والثمار التي فيها هي الأخرى من رزق الله، وأنا عبد الله، وأسناني هي الأخرى مخلوقة من قبل الله، فما شأنك بي ماذا أفعل؟!

تعجب البستاني من أقوال اللص، وحار بماذا يجيبه وماذا يصنع به، فهو يسرق أموال الناس وثمار أتعابهم ويلقي بالتقصير على الله!

لكنه فكر قليلاً ثم اختبأ ناحية، وعندما همَّ اللص بالخروج قفز البستاني وأمسك به من ورائه وأوثقه كتافاً بالحبل، ثم رفع عصا غليظة وطفق يضرب اللص بها ضرباً مبرحاً، فصاح اللص بأعلى صوته:

ـ ماذا تفعل؟ لم تضربني بالعصا؟!

أجابه البستاني:

ـ لم تصرخ؟ ان العصا من خلق الله، ويدي هي الأخرى خلقها لي الله، وأنا أيضاً من عبد الله، وبدنك مما خلق الله فلم تعترض عليّ، ها؟!![٦٤].

* * *

---

(٦٤) العدل/ ص ١٢٤.

(٥١)

الحكمة الإلهية

قبل حوالي ستين عاماً هبت رياح سامة وشديدة في الصيف أتت على الأشجار فأيبستها ولم تبق منها شجرة مثمرة. وكانت لشخص شجرة مشمش يحبّها كثيراً. وعندما هبت الرياح أحضر قماشاً سميكاً ولفها به كي لا يصيبها التلف والضرر.

وفي ذلك العام كانت شجرة المشمش تلك هي الشجرة الوحيدة التي جادت بالثمر، وبالنظر لكون تلك الثمار عزيزة لديه وقيمة فقد طفق صاحب الشجرة يهدي مقداراً من مشمشها إلى أقاربه وأصدقائه.

والمفاجأة التي حدثت هي أن كل من أكل من ثمار تلك الشجرة أصابه الوباء وهلك، اما الناس الآخرون الذين لم يحصلوا على نصيب من ذلك المشمش فقد ظلوا على قيد الحياة سالمين.

وقد أدرك الناس أن الله ـ تبارك وتعالى ـ دفع بهذه الريح السامة الموبوءة خطر الإبتلاء بالأمراض عن الناس عبر إصابة الأشجار بها لإنقاذ أرواح البشر من الهلاك، أي انه دفع البلاء الأكبر بآخر أقل منه خطراً وضرراً[٦٥].

* * *

(٥٢)

الهداية الإلهية

أسلمت امرأة أميركية كانت تعيش في إحدى مدن هذا البلد ولم يكن في تلك المدينة شخص آخر مسلم غيرها كي يعلّمها الإسلام.

---

(٦٥) العدل/ ص ٣٨٤.

وعندما جاء الصحافيون لاعداد خبر عنها شرحت لهم تلك المرأة الأميركية قصة إسلامها قائلة:

(كنت أعيش في عائلة مسيحية لا يذكر فيها الإسلام قط ولا يعلم أيّ من أفرادها شيئاً عن هذا الدين. وعندما كنت طفلة صغيرة كان الذكاء والفطنة التي منّ الله بها علي مثار اعجاب الجميع وانبهارهم.

وفي ذلك الحين، كنت أمتنع عن القيام بالأعمال القبيحة والتصرفات السيئة. وعلى رغم كون النساء الأميركيات لا يرتدين الحجاب الساتر لأبدانهن، بيد أنني ومنذ أيام صباي كنت أتذمّر من عرض بدني لمرأى الآخرين ولذلك لم أسمح لنفسي بذلك بالمرة بل أعددت لنفسي ثياباً ساترة وحجاباً مغطياً لجسدي يخفي مفاتني وأطراف ورأسي.

وعلى كل حال، فقد رأيت ـ ليلة ـ في المنام أن أحد علماء الدين ـ وكان يضع على كتفيه عباءة خاصة ـ قال لي: (انني قادم من جهة المشرق) ثم أراني كتاباً مقدساً كان يحمله بيده، وقال: (ان سعادتك ونجاتك يكمنان في هذا الكتاب).

وبعد أن استيقظت من النوم بقيت أفكر في هذا الحلم وطفقت أبحث عن ذلك الكتاب مدة ثلاث سنوات في جميع المكتبات عسى أن أعثر عليه لكنني لم أفلح.

وفي أحد الأيام رأيت مسلماً هندياً فسألته:

ـ من أين أتيت.

أجابني:

ـ أنا مسلم وقد جئت من الهند.

فقصصت عليه حلمي، وبعد أن سمع حكايتي أدخل يده في جيبه وأخرج منه كتاباً، فلما شاهدته عرفت أنه هو الكتاب الذي رأيته في المنام، فسألته:

ـ ما هذا الكتاب؟

أجابني:

ـ هذا هو القرآن الكريم الذي أنزله الله (تبارك وتعالى) على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد (ص).

ثم أهدى لي ذلك الكتاب، وبعد مدة من الزمن حصلت على الترجمة الانـجليزية للقرآن فرأيت ـ من خلال مضمونه ـ انه يتضمن نفس الأمور التي كانت تأمرني بها فطرتي ويحكم بها عقلي).

هذه القصة تدل على الهداية الإلهية الخاصة. فكل من يتقبل تلك الهداية الإلهية ويسير في الاتجاه المنسجم مع اتجاه فطرته ويسعى لبلوغ الرشاد والصلاح والسعادة ويتمنى الحصول على السعادة والدخول في الجنة فإن الله ـ تبارك وتعالى ـ لن يتركه وشأنه ولن يدعه حائراً بل يهديه وهذه من صور الدعم والتأييد الغيبي الإلهي.

* * *

(٥٣)

الدكان الخالي

جاء أحد الشيعة إلى الإمام الصادق (ع) في المدينة وشكا له فقره واحتياجه، فقال له الإمام (ع):

ـ إذا عدت إلى الكوفة فاستأجر دكاناً واجلس فيه.

فقال الكوفي:

ـ ليس لدي مال أدير به الدكان الذي استأجره.

أجابه الإمام (ع):

---

(٦٦) الإيمان/ الجزء الأول/ ص ٧٦.

ـ لا عليك... استأجر دكاناً واطمئن إلى رحمة الله. فإن الله الذي خلقك ولم تك من قبل شيئاً لن ينساك، والله ارأف بعبده من أن ينساه.

عاد الرجل إلى الكوفة واستأجر دكاناً وجلس فيه وليس فيه من بضاعة. ومرت مدة من الزمن فجاءه شخص وقال:

ـ لدي بضاعة جيدة، فهل تشتريها؟

أجاب الشيعي:

ـ لو كان لدي مال لاشتريتها.

فقال له ذلك الرجل:

ـ خذ البضاعة واعرضها في دكانك فمتى بعتها خذ ربحاً لك منها وسلمني ثمنها.

فوافق الشيعي وأخذ البضاعة ووضعها في دكانه. ولم تمض سوى فترة قصيرة حتى جاء عدد من الأشخاص الراغبين في شراء تلك البضاعة فاشتروه كلّه، وبعد مدة جاء شخص آخر وجلب بضائع عرضها على الشيعي فأخذها منه وباعها ثم سلّمه ثمنها. وهكذا ـ وفي فترة قصيرة ـ حصل الرجل على المال الذي يحتاجه وسارت أموره على ما يرام[٦٧].

(٥٤)

عاطفة الأمومة

قرر رجل عربي الذهاب إلى المدينة وزيارة الرسول الأكرم (ص). وأثناء مسيره إلى المدينة شاهد الرجل بعض فراخ الحمام فحملها معه ليقدمها هدية للنبي (ص). وفي تلك الأثناء وصلت أم الفراخ وعندما رأت فراخها في يد الرجل تبعته، فكان الرجل يسير على الأرض والحمامة ترفرف بأجنحتها فوق رأسه.

---

(٦٧) الاستعاذة/ ص ١٩٧.

وصل الرجل إلى المدينة وذهب بعد دخولها إلى المسجد، ووفّق لزيارة رسول الله (ص) وأهدى له الفراخ، وهنا أخذت الحمامة تهبط بسرعة من الجو إلى الأرض وتحوم حولها، وبعد أن طارت عادت من جديد وفي منقارها شيء من الغذاء فوضعته في فم أحد الفراخ وطارت مسرعة، وكان الرسول (ص) والصحابة جالسين ينظرون ما تصنع تلك الحمامة.

ومضت برهة كانت فيها الفراخ وسط المسجد والمسلمون يحيطون بها، فشاهدوا الحمامة تهبط فجأة بسرعة حاملة في منقارها غذاء قليلاً فوضعته في فم واحد آخر من فراخها دون أن تعبأ لخطر وقوعها في الأسر هي الأخرى.

وفي هذه اللحظات أمر الرسول الأكرم باطلاق سراح الفراخ ثم التفت إلى أصحابه وقال لهم:

ـ أرأيتم شفقة هذه الحمامة على أفراخها وعطفها عليهم.

فأجاب الصحابة:

ـ حقاً لقد رأينا عجباً.

فقال النبي (ص):

ـ والله الذي بعثني نبياً، لرحمة الله ولطفه بعباده أكثر آلاف المرات مما رأيتم الآن.

سرّ الصحابة وفرحوا بما سمعوا وشكروا الله تعالى[٦٨].

* * *

---

(٦٨) معارف من القرآن/ ص ١٠٦.

(٥٥)

شبهة الزنديق وجواب الإمام

من المعروف أن هشام بن الحكم كان أحد أبرز تلامذة الإمام الصادق (ع) ومن أحبهم إليه. وقد امتاز بالمهارة الفائقة في مجادلة أعداء الدين حتى عُدّ أستاذاً في ذلك، وتمكن من إفحام الكثير من الأعداء.

ويوماً جاءه زنديق[٦٩] وحاوره فكانت القضية التالية:

(قال الزنديق:

ـ ألك ربٌّ؟

فقال هشام:

ـ بلى.

فسأله الزنديق:

ـ أقادر هو؟

فأجاب هشام:

ـ نعم، قادر قاهر.

فسأله الزنديق:

ـ يقدر أن يدخل الدنيا كلها (في) البيضة، لا تكبر البيضة ولا تصغر الدنيا؟

قال هشام:

ـ النظرة.

واستمهله هشام لأنه لم يخطر بباله جواب مقنع في ذلك الحين فقال الزنديق:

ـ قد أنظرتك حولاً.

---

(٦٩) هو أبو شاكر عبد الله الديصاني الذي مرّ ذكره سلفاً ـ المترجم ـ.

ثم خرج عنه الزنديق، فركب هشام من فوره وذهب إلى الإمام أبي عبد الله الصادق (ع) فاستأذن فاذن له الإمام، فقال هشام:

ـ يا ابن رسول الله! أتاني عبد الله الديصاني بمسألة ليس المعوّل فيها إلا على الله وعليك.

فقال له الإمام الصادق (ع):

ـ عمّاذا سألك؟

أجاب هشام:

ـ قال لي: كيت وكيت.

فقال له الإمام (ع):

ـ يا هشام! كم حواسُّك؟

قال هشام:

ـ خمس.

فسأله الإمام (ع).

ـ أيُّها أصغر؟

قال هشام:

ـ الناظر (العين).

فسأله الإمام:

ـ وكم قدر الناظر؟

فأجاب هشام:

ـ مثل العدسة أو أقل منها.

فقال له الإمام (ع):

ـ يا هشام! فانظر أمامك وفوقك وأخبرني بما ترى.

فأجال هشام نظره برهة ثم قال:

ـ أرى سماءً وأرضاً ودوراً وقصوراً وبراري وجبالاً وأنهاراً.

فقال له الإمام (ع):

ـ ان الذي قدر (على) أن يدخل الذي تراه العدسة أو أقل منها قادر (على) أن يدخل الدنيا كلها البيضة، لا تصغر الدنيا ولا تكبر البيضة).

أجل ان أراد جاهل أن يحرفك عن ببيل الصواب وجادة الحق عبر هذه التوافه فقل له: ان هناك فرقاً بين الامتناع والعجز، فإن إدخال العالم كله في بيضة محال عقلي وأمر ممتنع في حد ذاته، فهل يمكن تصور امكانية أن يكون الكون كله كبيراً وصغيراً في آن واحد بحيث يستقر في بيضة صغيرة؟ أفهل يمكن أن يكون الشيء موصوفاً بالضخامة والسعة في نفس الوقت الذي يوصف فيه بالضآلة والصغر والضعة؟[٧٠].

* * *

(٥٦)

جالينوس الحكيم

اشتهر جالينوس بكونه حكيماً حاذقاً وطبيباً ماهراً وعالماً كبيراً. ويروى أنه فكر يوماً في الاعتراض على الحكمة الإلهية وقال مع نفسه:

ـ لا أدري لم خلق الله الحشرة المسماة (جعل)؟ ألهذه الحشرة القذرة من فائدة؟ لماذا يخلق الله أشياء عديمة الفائدة؟.

ومضت مدة من الزمن وابتلي جالينوس بوجع في عينيه، وبالرغم من أنه كان الطبيب الأبرع في العالم لكنه عجز عن معالجة ذلك الوجع. ولم يستطع الأطباء الآخرون معالجته بالرغم من الجهود الكبيرة التي بذلوها.

---

(٧٠) معارف من القرآن/ ص ١٢٥.

ويوماً جاءته امرأة عجوز وقالت له:

ـ لدي مسحوق ينفع في شفاء العيون ومعالجتها من الألم.

وافق جالينوس فوضعت المرأة المسحوق في عينيه، ولم تمض إلا فترة قصيرة حتى شفيت عيناه. واستدعى جالينوس تلك المرأة العجوز وسألها:

ـ من أين جئت بهذا المسحوق؟ ومم هو؟

ـ لقد صنعته من تفتيت وتيبيس وطحن حشرة الجعل.

دهش جالينوس حينما سمع جواب المرأة وأدرك أنه ما كان له أن يعترض على الحكمة الإلهية أو يشك في جدوى خلق شيء لا يعرف هو ما هي فائدته فيظن ـ نتيجة لذلك ـ أنه يدل على عدم حكمة الله[٧١].

* * *

(٥٧)

السائق النعسان

إن أحد معاني حرف (الباء) في اللغة العربية: الاستعانة ولذلك فعندما نقول «بسم الله الرحمن الرحيم» فاننا نعني اننا نستعين به.

ويوماً قال لي سائق من أهل التقوى:

ـ لقد عوّدت نفسي دائماً أن أقول بمجرد جلوسي خلف مقود السيارة «بسم الله الرحمن الرحيم». وفي إحدى الليالي ركبت السيارة وبدأت أقودها في طريق منحدر فغلبني النعاس، ولا أدري كم غفوت بيد أنني أفقت فجأة بواسطة صوت بوق سيارة أخرى، وعندما تحققت في المسافة التي قطعتها غافياً وجدتها عدة كيلومترات!!

---

(٧١) المعاد/ ص ٦٦.

ترى من الذي حفظ هذا السائق من الحوادث طيلة تلك المدة وفي تلك المسافة الطويلة والطريق المنحدر؟ لقد ترك مقود السيارة حراً بعد أن غلبه النعاس بل وفي ذلك الطريق الخطير، ألم يكن الموت له بالمرصاد؟ لا شك أن استعانة ذلك السائق بالله استنزلت عليه الرحمة الإلهية والعون الرباني فأنقذاه من الهلكة(٧٢).

* * *

(٥٨)

السفينة والملاح

(علي بن ميثم) هو أحد علماء الشيعة المعاصرين للمأمون العباسي. يوماً دخل إلى بلاط الحسن بن سهل وزير المأمون، وكان إلى جانبه شخص كافر، وقد احتشد المجلس بالعلماء. وكان الكافر يتحدث والآخرون ينصتون له باهتمام وانتباه، ولاحظ علي بن ميثم أن الوزير وجلساءه كانوا يبدون احتراماً كبيراً لذلك الشخص الكافر وقد أجلسوه في صدر المجلس وأخذوا يستمعون لمزاعمه وأراجيفه بكل احترام واهتمام.

وعندما شاهد ابن ميثم الوضع خطيراً أدار وجهه إلى الوزير وقال:

ـ رأيت اليوم حادثة عجيبة وأحب أن أرويها لكم.

سأله الوزير:

ـ وماذا رأيت؟

قال علي بن ميثم:

ـ رأيت سفينة تسير في مياه نهر دجلة دون أن يوجهها أو يقودها ملاح، وكانت تتوقف وترسو عند رصيف هذا الساحل فيركبها الناس ثم

---

(٧٢) معارف من القرآن/ ص ٣٣.

تتحرك باتجاه الساحل الآخر فترسو فيه فينزلون منها بسلام!!

وهنا انبرى الكافر وقال بصوت عال:

ـ يا أيها الوزير! لا تنصت لمزاعم هذا الرجل، فهو مجنون ولا حظ له من العقل والفهم.

سأله الوزير:

ـ لماذا؟

فأجاب الكافر:

ـ انه يزعم أن السفينة تسير في مياه دجلة دون أن يقودها أو يوجهها ملاح، ثم تركب الناس وتوصلهم من هذا الشاطىء إلى الشاطىء الآخر فترسو ويغادرها الناس، ترى هل يمكن لسفينة مصنوعة من الخشب ـ وهي مجرد جماد لا روح له ولا عقل ولا احساس ـ أن تواصل سيرها وتعين اتجاهها تركب الناس وتنزلهم بانتظام؟!!

فأجابه علي بن ميثم على الفور:

ـ كيف لا تستطيع السفن أن تتحرك وتسير دون ملاح ولكن تستطيع الأرض والشمس والنجوم ـ وكلها جمادات لا روح لها ـ أن تتحرك لملايين السنين بانتظام وتدور بسلام ولا تخرج عن مدارها ولا تغادر مسارها ولا تقف عن الحركة الدائبة؟

فمثلما تحتاج السفينة إلى ملاح فإن الأرض والسماء والشمس والنجوم والليل والنهار وكل المخلوقات في هذا الكون تحتاج في حركتها إلى محرك وإلى مدبر اسمه (الله).

انك تعتبر نفسك عاقلاً وتقول باستحالة تحرُّك السفينة من دون ربّان، فكيف يقبل عقلك أن يسير الكون كله ـ بالرغم من عظمته ـ دون مدبّر؟

وهنا سقط في يد الكافر وأحس بالخجل فأطرق برأسه إلى الأرض ونهض من مكانه وغادر المجلس يجر وراءه أذيال الخيبة(٧٣).

* * *

(٥٩)

المشيئة الإلهية

ابّان زمن مرجعية المرحوم السيد محمد كاظم اليزدي، كان عدد من طلبة العلوم الدينية نائمين على سطح مدرسة السيد في النجف الأشرف. وفجأة حصلت ضجة وحصل اضطراب وتعالت أصوات واندفع الناس إلى صحن مدرسة السيد، وعندما انجلى الموقف عرف أن أحد طلبة العلوم الدينية ـ من أهل خراسان ـ قد سقط من على سطح المدرسة ذات الطابقين وارتطم بالأرض. وعندما هرع الناس إليه وجدوه سالماً معافى لم يصب بأي أذى، بل انه لم يستفق حتى من النوم!!!

والطريف في الأمر انه بعد أن استيقظ تدريجياً لم يدر ما حصل له وأراد الناس ألا يخيفوه فلم يخبروه بما جرى له!

وجاء أصدقاؤه وأخذوه إلى الحجرة وأعطوه قدحاً مليئاً بالماء المسخّن فشربه وكأن شيئاً لم يحدث.

وفي صباح اليوم التالي، أخبر السيد محمد كاظم اليزدي بالقضية ففرح لعدم إصابة الخراساني بسوء وأمر بذبح خروف وتوزيع لحمه على الفقراء، ففعلوا.

وبعد عدة أيام، كان ذلك الطالب نائماً على سرير لا يزيد ارتفاعه

---

(٧٣) القلب السليم/ الجزء الأول/ ص ٢٤٦.

عن شبرين من سطح الأرض، وأثناء النوم تقلب يمنه ويسره ثم سقط من السرير على أرضية الغرفة ففارق الحياة على الفور، وجاء الناس فحملوا جنازته وشيعوه ودفنوه!

إن هذه القضية تعلّمنا أن تأثير أي علّة يتوقف على الإرادة والمشيئة الإلهية، بحيث إن هذا الطالب عندما سقط من علو طبقتين إلى الأرض لم يمت لأن الإرادة الإلهية شاءت أن يبقى على قيد الحياة، ولا يصاب بأذى، اما عندما شاء الله أن يتوفاه حصلت له حادثة بسيطة وصغيرة لا يتوقع أحد أنها يمكن أن تؤثّر على الإنسان أو تهدده، فارق الحياة(٧٤).

* * *

(٦٠)

الالهام التكويني

ورد في كتاب حياة الحيوان:

إن الأيل ميّال بشدة لأكل لحم الحية، ويعتبر لحم الأفاعي أشهى أكلة بالنسبة له، وحتى أنه يعدو في أيام الصيف في الأحراش والغابات والصحارى بحثاً عن حية يصطادها، وبمجرد أن يعثر على فريسته المفضّلة ينقضّ عليها ويبدأ يأكلها ابتداءً من ذنبها حتى يشبع منها.

وعندما ينتهي الأيل من أكل الحية يشعر بالعطش الشديد بعد أن عدا كل ذلك العدو وعرق تحت أشعة الشمس الحارة وتناول تواً لحم الحية وهو حارٌّ بطبيعته، ولكل ذلك يظمأ الأيل بشدة، فيجري نحو غدير الماء على الفور.

وقد ألهمه الله بشكل تكويني أنه إن تناول الماء في هذا الحين وهو

(٧٤) القصص العجيبة/ ص ٣٣.

لتوّه قد أكل الحية مع سمها، سينتشر السم في بدنه ويقضي عليه، ولذلك وبالرغم من شدة ما ألمّ به من عطش يمتنع عن شرب الماء لفترة من الزمن، لكنه بدلاً من ذلك يبدأ في الصياح واطلاق الصرخات بأعلى صوته كأنه يستنجد ويستغيث من الظمأ والحر، ويغرورق عيناه بالدموع.

ومعروف أن هناك تجويفين صغيرين تحت عيني الأيل. وعندما تغرورق عيناه بالدموع ينساب إليهما الدمع ويتجمع فيهما ويكون ذا بريق خاص، وهو دواء ناجع وترياق شافٍ للتسمم بلسعات العقارب والحيات.

أجل، هكذا علّم الله الحكيم أحد مخلوقاته بإلهام تكويني كيف يتصرف تجاه الماء فيمتنع عن شربه وهو في أمسِّ الحاجة إليه، ولو شربه لقضى عليه ولما سالت دموعه وتجمعت لتكون ترياقاً يداوي الملدوغين من بني الإنسان.

وحقاً انه لولا لطف الله ورحمته فكيف يدرك الأيّل كل ذلك؟![٧٥].

* * *

(٦١)

الجراء[٧٦] والجليد

نقل لي أحد الأصدقاء وهو شخص صادق وموثوق به:

(قبل بضع سنوات، سقط صقيع كثيف في فصل الشتاء وشهد الجو برودة قارسة شديدة. وكنت جالساً في دكاني قرب موقد تتأجج فيه الجمر وتتصاعد فيه النار، وكانت مقابل الدكان خربة ليس فيها سوى

---

(٧٥) معارف من القرآن/ ص ٢٤.

(٧٦) الجراء: جمع الجرو وهو الصغير من ولد الكلب ـ المترجم.

بعض الجدران المتهدمة والسقوف التي توشك أن تسقط، وكان ثمة كلبة قد ولدت جراء، منذ بضعة أيام فأحاطت بها جراؤها وأخذوا يتناوبون على الرضاعة من ثديها، وطفقت أتفرج على ذلك المنظر.

وفجأة نهضت الكلبة وأخذت تحمل جراءها واحداً بعد الآخر بفمها وتخرجهم من الخربة وتضعهم على الجليد، ولم تمض سوى برهة قصيرة وإذا بالسقف ينهار بقوة على أرض الخربة، وهكذا انقذت الكلبة أولادها من موت أكيد تحت انقاض السقف.

ترى من أين حصلت تلك الكلبة على هذا الذكاء؟ ومن باستطاعته أن يلهم مخلوقاته هذا الذكاء التكويني الغريزي غير الله؟![٧٧].

* * *

(٧٧) العدل/ ص ٣٨٢.



الفصل الثاني

النبوَّة

(٦٢)

شذرات من حياة النبي (ص)

ورد في كتاب مكارم الأخلاق أن أنس بن مالك خادم النبي قال: أعددت طعام رسول الله (ص) تسع سنين في الليل والنهار، وكانت في بيته عنزة كنت أحلبها، وأهل بيته يأكلون خبز الشعير أيضاً. وكان غذاء النبي من الخبز واللبن (الحليب) أحياناً، أو الخبز والتمر أحياناً أخرى، أو الخبز والملح في بعض المرات.

قالت عائشة: ما زالت الدنيا علينا عسرة كدرة حتى قبض رسول الله (ص) فلما قبض صبت الدنيا علينا صباً.

وفي كتاب بحار الأنوار(٧٨): أهدي إلى النبي (ص) قماش طوله أربعة عشر متراً فثنيت وجعلت له فراشاً، فكان إذا قام إلى الصلاة اشتمل بها. وفي السنين الأخيرة من عمره الشريف نحف جسده المبارك فأخذت بعض نساء النبي القماش وثنته له أربع ثنيات وفرشته فنام عليه، فلما أصبح قال (ص): لقد منعني الليلة الفراش الصلاة(*)، فأمر أن يجعل بطاق واحد.

ويروي الغزالي عن أحد التجار قوله:

كان من الأجدر أن تصان دار رسول الله الطينية المتواضعة كما هي وتبقى على حالها على الدوام كي تعرف الأجيال القادمة حقيقة الزهد

---

(٧٨) لم يذكر آية الله الشهيد دستغيب لا الجزء ولا الصفحة من بحار الأنوار (١١٠ أجزاء) وبعد البحث المطوّل وجدنا ما يقارب ذلك في الجزء ١٦/ص ٢٥٤ (جبارة).

(*) المقصود صلاة الليل طبعاً، والمراد هنا أنه (ص) تأخّر قليلاً في إقامة صلاة الليل (المترجم).

المحمدي. وهذا طبعاً في الوقت الذي لو كان النبي يرغب في امتلاك قصر من الذهب والفضة لكنه كان يقول: (أريد أن أحيا وأموت مثل أفقر أفراد أمتي).

ويقول مؤلف كتاب «ناسخ التواريخ».

(عندما احتضر رسول الله (ص) استدعى علياً وسلمه صرة فيها دريهمات وقال له: «تصدّق بها على الفقراء» ثم خاطب النبي نفسه فقال: «يا محمد ما كنت تصنع لو كنت متُّ وعندك هذا المال».

هذا هو نهج النبي (ص) وتلك هي سيرة حياته وهو من لم يكن يريد أجراً من الناس. كان قد اهتدى وأراد أن يهدي بقية الناس. فهذا الشخص هو الذي يليق به أن يكون دليلاً للناس وهادياً، ورسولاً من الله تبارك وتعالى[(٧٩)].

(٦٣)

اعتراف البابا

من المعروف أن المرحوم (فخر الإسلام) كان في السابق أحد القساوسة المسيحيين المعروفين، بيد أنه وبعد مدة أدرك أحقّية الدين الإسلامي، ونظراً لكونه إنساناً حراً فقد أشهر إسلامه وطفق يؤلف الكتب في تفنيد آراء المسيحية ومزاعمها وأراجيف اليهودية وتقولاتها.

تحدث يوماً عن مقدمات دخوله الدين الإسلامي فقال:

(كنت أعيش في وطني أميركا. وقد ولدت في عائلة دينية وتحدرت من آباء وأجداد كلهم من علماء الدين المسيحي ـ القساوسة والرهبان ـ ومنذ أوائل شبابي أحسست برغبة شديدة في دراسة العلوم الدينية، وعلى هذا الأساس انهمكت في دراستها وأخذت أطوي المراحل الدراسية وأتصاعد في درجات الكنيسة، فقررت أن أهاجر وأحضر دروس

---

(٧٩) قلب القرآن/ ص ٧٣.

البابا الأعظم، ففعلت ذلك.

وعندما التحقت بمجلس درس البابا وجدت أن هناك أربعمائة شخص مثلي يحضرون ذلك الدرس لكنني كنت أتميّز من بينهم بذكاء ونبوغ استثنائي ولذلك فقد أحبني البابا وصرت مقرباً عنده، بحيث انني كنت القس الوحيد الذي يستطيع الدخول إلى غرفته الشخصية.

وفي أحد الأيام ذهبت إلى الدرس فلم يأت البابا، وجاء مبعوث من قبله فأخبرنا أن البابا مريض ولن يستطيع أن يأتي هذا اليوم. فطفق الطلاب يتباحثون فيما بينهم، وكان الموضوع المطروح للمناقشة هو مصطلح (فارقليط) ومعناه في الإنجيل، فكان كل واحد منهم يفسّره بمعنى معيّن، ويبدي وجهة نظره الخاصة.

وفضّلت أنا أن أذهب إلى البابا، ولما دخلت عليه كان مضطجعاً في فراشه، فقلت له: لقد جئت إلى درس سماحتكم فلم تأتوا فقررت أن أتشرف بمقابلتكم.

فسألني: هل حصل نقاش وحوار في غيابي بين الطلبة.

أجبته: أجل، كنا نتباحث حول معنى كلمة «فارقليط» فبعضهم قالوا أن معناها: (المعزي) وقد وردت في قول عيسى (ع): (أنا ذاهب وسيأتي من بعدي الفارقليط).

فقال البابا: أبداً، أبداً، ليس يعرف أحد معناها.

فألححت عليه أن يخبرني بالمعنى الصحيح اذن ـ وكنت تواقاً لمعرفة الحقيقة ـ وبقيت أتوسل إليه أن يوضح لي المراد منها وهو يأبى ويتهرب، وأخيراً صارحني: (ان من غير الصالح أن نطرح معنى الكلمة الحقيقي وليس من مصلحتي ولا من مصلحتك ذلك، بل يضرنا كلانا).

وبقيت أتوسل إليه وأطالبه أن يقول لي ذلك ولا يخفيه، حتى

أقسمت عليه بأن يفعل فقال: (سأخبرك بمعنى كلمة فارقليط بشرط واحد وهو أن يبقى ذلك سراً بيننا ما دمت أنا حيّاً).

قبلت الشرط، فقال لي: (خذ هذا المفتاح وافتح قفل تلك الخزينة، وستجد فيها صندوقاً فافتحه هو الآخر سترى فيه كتاباً باللغة السريانية كتب قبل آلاف السنين).

ففعلت ما قال واستخرجت الكتاب المذكور، فقال لي: (افتح الكتاب على الصفحة الفلانية) ففعلت وقرأت ما فيها وكان البحث المكتوب فيها يتناول معنى كلمة (فارقليط) وقرأت في زاوية الورقة:

(ان فارقليط هو محمد) (ص).

فسألته: ومن محمد هذا؟

أجاب: هو الشخص الذي يؤمن المسلمون بنبوّته.

فسألته: فالمسلمون اذن على حق؟

قال: أجل.

سألته: اذن، فلماذا لا تصدعون بالحق وتعلنونه؟

قال: مع الأسف انني لم أعرف هذا السرّ إلا في أواخر عمري. ولو أنني بُحت به لقتلتني الحكومة أينما ذهبت، حتى لو التجأت إلى المسلمين أنفسهم، ستلاحقني الحكومة وتقضي عليّ. فمصلحتي اذن في الصمت والسكوت. أما أنت فانك شاب وتستطيع الهرب والنجاة.

قبّلت يده وودعته وانصرفت من عنده وحزمت أمتعتي وسافرت في نفس اليوم، حتى وصلت الشام. وقد شملني لطف الله وغمرتني رعايته، فَعُرّفت لأحد علماء الشيعة، وأسلمت على يده وتعلمت الصرف والنحو والمنطق والمعاني. ثم توجهت إلى النجف الأشرف فتتلمذت على يدي (السيد كاظم اليزدي) و(الآخوند الخراساني) حتى نلت درجة الاجتهاد.

وبعد ذلك توجهت لزيارة روضة ضريح الإمام الرضا (ع) فسافرت

إلى إيران. وفي طهران علمت أن المسيحيين قد ألفوا العديد من الكتب في الرد على الإسلام، فوفقني الله تبارك وتعالى في تأليف عدة كتب في الرد على تلك الكتب وتفنيد مزاعمها).

لقد ألف المرحوم فخر الإسلام عشرين كتاباً في مجال تفنيد عقائد المسيحية وادعاءاتها ومزاعمها وكان أسلوبه فيها جيداً وبليغاً ورائعاً. وحقاً ان هذا الأمر يعد تأييداً إلهياً في نصرة الدين الإسلامي الحنيف، حيث استطاع شخص واحد أن يفنّد أراجيف أعداء الإسلام وأباطيلهم(٨٠).

* * *

(٦٤)

من تواضع النبي

روي أن الرسول الأكرم محمد (ص) خرج مع أصحابه في سفر، وعندما حطوا رحالهم في إحدى محطات الطريق أمر النبي بذبح خروف وإعداده لطعام الغداء.

فقال أحد الصحابة: أنا أقوم بذبح الخروف.

وقال آخر: وأنا أسلخ جلده.

وقال ثالث: وأنا أطبخه.

فقال النبي (ص): وأنا أجمع لكم الحطب وأضرم فيه النار.

فقال الصحابة: دعنا نحن يا رسول الله نجمع الحطب ونعد النار، فلسنا نرغب أن تحمل نفسك المشقة.

أجاب النبي (ص): أعلم ذلك، ولكنني لا أريد أن أفضل نفسي عليكم وأصبح كلاً على غيري، ان الله يكره لعبده أن يكون كلاً على غيره.

---

(٨٠) النبوة/ ص ١١١.

وروي أيضاً أن أهل المدينة كانوا يأتون بأوانيهم كل يوم بعد صلاة الصبح ـ وهي مليئة بالماء ـ فيقدمونها للنبي الأكرم (ص) فيغمس فيها كفه الشريف لتحل فيها البركة، وكثيراً ما يحصل أن يكون البرد شديداً وقارساً ومع ذلك فإن النبي (ص) يغمس يده المباركة في الماء ولا يبدي تذمره من ذلك.

ويروى كذلك أن النبي (ص) وحذيفة اليماني كانا يوماً خارج المدينة وأرادا أن يغتسلا. فعمد حذيفة إلى قطعة قماش وحملها كالستارة فاستتر بها النبي (ص) واغتسل. وبعد أن انتهى من غسله حمل النبي القماش المذكور واستتر به حذيفة هو الآخر فاغتسل، وأخذ حذيفة يشكر النبي على لطفه وتواضعه ويعتذر إليه ويردد: (فداك أبي وأمي يا رسول الله، لا تتعب نفسك).

لكن النبي (ص) أصر على تقديم خدمة لحذيفة ـ رفيق سفره ـ قائلاً: إذا كان رفيقان يحب أحدهما الآخر فأحبهما إلى الله أكثرهما حباً لصاحبه.

وقيل: إن جارية رأت رسول الله في الطريق فشكت إليه سوء أخلاق سيّدها وطلبت إلى النبي أن يوصيه بها خيراً فاصطحبها النبي وذهبا إلى بيت سيدها، فلما رأى الأخير جاريته برفقة النبي وهو يحاول أن يشفع لها عنده أعتقها في سبيل الله.

وأخيراً:

روى أمير المؤمنين علي (ع) عن رسول الله قوله:

(أيما مسلم خدم جماعة من المسلمين أعطاه الله بعددهم خدماً في الجنة)[٨١].

* * *

(٨١) القلب السليم/ الجزء الثاني/ ص ١٣٨.

(٦٥)

أربعة آلاف معجزة

روى بعض العلماء في كتبهم أربعة آلاف معجزة حصلت للنبي (ص). ومن جملة تلك المعجزات ما كان يحصل في الحروب، فكل مسلم يقطع الأعداء عضواً من أعضائه عندما يضع عليه النبي قليلاً من ريقه المبارك ويعيده إلى محله يعود كما كان سالماً معافى كأنه لم يصب بسوء قطّ.

ففي غزوة (بدر) بارز معاذ بن جبل أبا جهل، فبادر الأخير ووجه لمعاذ ضربة بالسيف قطع بها رجله، فحمل الصحابة معاذاً والدماء تنزف من رجله المبتورة وهو يستغيث بأعلى صوته من الألم، وجاؤوا به إلى النبي (ص)، فتفل رسول الله قليلاً من ريقه المبارك على ساق معاذ المبتورة ووضعها في محلّها ولفّها بخرقة قماش.

وبعد فترة من الوقت فتحوا الخرقة فشاهدوا ساقه قد برأت وعادت كيومها الأول سليمة معافاة ليس فيها أثر للجرح.

وفي غزوة (خيبر) ضاق المسلمون ذرعاً من أمر قلاع اليهود فكلما هاجمها المسلمون بقيادة أحد فرسانهم عادوا منكسرين عاجزين عن فتح تلك القلاع، وخرج مرحب يتبختر ويتحدى المسلمين لمبارزته.

وفي هذه الأثناء قال النبي الأكرم (ص): سأعطي الراية غداً لرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كرار غير فرّار، يجعل الله النصر على يديه.

وفي صباح اليوم التالي قال (ص): أين عليٌّ؟
فقال الصحابة: أصيب في عينيه برمد جعله يلازمه الفراش.
فقال (ص): عليَّ به.

فجاء أمير المؤمنين (ع) وأخذ النبي بيده شيئاً من ريقه المبارك ووضع على عين علي (ع) فشفيت عينه من حينه وتوجه فوراً لقتال اليهود فدمر جيشهم واقتحم قلاعهم واقتلع باب حصنهم المنيع.

وبعد ذلك، لم يصب أمير المؤمنين بعلة في عينيه حتى آخر عمره الشريف[٨٢].

* * *

(٦٦)

إبنا المضيّف

رغب أحد الصحابة أن يدعو رسول الله (ص) إلى بيته، فقال لزوجته يوماً: تهيئي واستعدّي اليوم فإنني سأدعو رسول الله إلى بيتنا.

وعمد الرجل إلى نعجة فذبحها وانهمكت زوجته في اعدادها وطبخها وخرج هو ليصطحب النبي من المسجد إلى داره، وكان أحد ابنيه قد شاهده وهو يذبح النعجة، فلما ذهب الرجل قال أحدهما لأخيه: ليتك كنت حاضراً كي تشاهد كيف ذبح أبي النعجة، أتريد أن أريك كيف؟

أجاب الولد الصغير: نعم.

فذهبا معاً إلى سطح الدار، وضجع أحد الأخوين أخاه ووضع السكين على رقبته فاحتزّها. وهنا التفتت الأم إلى القضية وصاحت به: ماذا تصنع؟

فأصاب الهلع الابن القاتل وأسرع ليهرب من مكانه فسقط من أعلى

---

(٨٢) النبوة/ ص ١٦٣.

الدار إلى الأرض وفارق الحياة من فوره، فعلا صياح أمهما وأخذت تنوح وتبكي وتلطم على وجهها حزناً عليهما، وبعد مضي برهة من الزمن وصل النبي (ص) وأب الولدين إلى المنزل ودخلا.

فاستدعت المرأة زوجها وأخبرته بما حصل، وأوصته بأن يتمالك أعصابه ويربط على قلبه ولا يذكر من ذلك شيئاً عند النبي لئلا يتأثر ويتألم. ثم عمدا إلى جنازتي ابنيهما فلفّوهما برداء ووضعوهما جانباً، وعد العزم على دفنهما بعد انتهاء مراسم الضيافة وانصراف النبي من البيت. فهبط جبرئيل على النبي وقال له:

(يا رسول الله، قل لمضيّفك: لن آكل الطعام حتى يأتي ابناك).

فقال النبي (ص) لمضيّفه: ائت بولديك.

قال الرجل: لقد ذهبا وشأنهما ربما يلعبان في الشارع ولا أعلم أين هما الآن. تفضلوا وتغدوا الآن.

فقال النبي (ص): لا يمكن ذلك. إنه أمر الله تبارك وتعالى.

وأخيراً اعترف الرجل امام النبي (ص) ان ابنيه قد ماتا تواً، فقال له النبي: عليّ بجنازتيهما في الحال.

فذهب الرجل وحمل جنازتي ولديه ووضعهما بين يدي النبي (ص) وقرأ النبي دعاءً وتوسل إلى الله أن يعيد إليهما الحياة، فعادا إلى الحياة ونهضا في الحال، ثم جلسا إلى المائدة فتناولا الطعام مع النبي (ص) وأبيهما الذي فرح أيما فرح[٨٣].

* * *

(٨٣) النبوّة/ ص ١٦٧.

(٦٧)

كلام الله

اجتمع مشركو قريش وأرسلوا عتبة ـ الذي كان معروفاً بمهارته في نظم الشعر مشهوراً بالبلاغة والفصاحة ـ إلى رسول الله محمد (ص) كي يتمكن من الاتيان بقرآن مثل قرآنه!

فذهب عتبة إلى النبي وقال له: يا محمد! اقرأ شيئاً من أشعارك!

قال له النبي (ص): ليس هذا شعراً، إنه كلام الله.

أجابه عتبة: لا فرق بينهما، هات ما عندك، اقرأ لي شيئاً منه.

قرأ النبي (ص) أوائل سورة (فصلت) ومعروف طبعاً كيف يؤثر القرآن الذي يقرأه النبي (ص) بنفسه على الآخرين. وتلا (ص) تلك الآيات المباركة حتى وصل إلى قوله تبارك وتعالى:

﴿فَإِنْ أعرَضُوا فَقُل أنذَرتُكُم صَاعِقَةً مِثلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمودٍ﴾[٨٤].

وبمجرد أن تلا النبي (ص) هذه الآية حتى أثرت تأثيراً عميقاً على عتبة وسلبته القدرة على الاستماع أكثر من ذلك فاهتز وارتعش، ومد يده قرب فم الرسول (ص) قائلاً: يكفي ما قرأت علي فلا أطيق سماع المزيد منه.

ثم عاد عتبة إلى المشركين وقد اصفر لون وجهه وفرائصه ترتعد خوفاً مما سمعه، فلما رآه أبو سفيان وأبو جهل صاحا: هل آمنت بمحمد؟!

أجاب عتبة: لا لم أؤمن به لكنني عرفت أن ما تلاه علي ليس من كلام البشر قط[٨٥].

* * *

---

(٨٤) سورة فُصّلت/ ١٣.

(٨٥) النبوة/ ص ٢٤٥.

(٦٨)

دعاء الرسول على عتبة

سورة النجم هي أول سورة تلاها الرسول (ص) على الناس بصوت عالٍ. وبعد أن قرأها على الناس صاح عتبة بن أبي لهب ـ وكان صهر النبي قبل ظهور الإسلام ـ:

ـ انني كافر بالنجم ورب النجم ونبي النجم و...

وأخذ عتبة يتكلم بكلمات فظة وركيكة مما دعا الرسول (ص) إلى الدعاء عليه بعد أن يئس من هدايته كما أنه جعله عبرة للآخرين. قال النبي (ص):

ـ اللهم سلّط على عتبة حيواناً يهلكه.

فأجابه عتبة:

ـ سأطلّق ابنتك الآن.

وبعد هذه الحادثة سافر عتبة مع أبيه أبي لهب في قافلة، وفي أثناء الطريق حطوا الرحال في منزل. وكان يقيم قرب المنزل راهب فقال للقافلة التي كان فيها أبو لهب وابنه عتبة:

ـ احذروا فإن بعض الحيوانات المفترسة تعيش بالقرب من هذه المنطقة.

قال أهل القافلة:

ـ سنتخذ الاحتياطات اللازمة وسنضع حارساً منا يراقب الوضع أثناء نومنا.

وهنا تذكّر أبو لهب دعاء النبي (ص) على ابنه وارتعدت فرائصه خوفاً من تحقق ذلك الدعاء ولهذا السبب اتفق أهل القافلة أن يجعلوا عتبة في الوسط ويناموا هم حوله محيطين به إحاطة تامة.

وبعد منتصف الليل، سلط الله عليهم النوم. فجاءهم أسد وتخطاهم جميعاً ولم يؤذ واحداً منهم حتى وصل إلى عتبة فوجه إلى رأسه ضربة قاضية لكنه لم يفترسه لأن لحمه نجس[٨٦]، وخرج الأسد من بين أفراد القافلة النائمين دون أن يثير انتباه أحدهم. وبذلك لقي عتبة جزاءه العادل والتحق بجهنم وبئس المصير[٨٧].

* * *

(٦٩)

المعراج

ورد في كتاب بحار الأنوار أن الامام الصادق (ع) قال:

لما أسري برسول الله (ص) إلى بيت المقدس حمله جبرئيل على البراق فأتيا بيت المقدس وعرض عليه محاريب الأنبياء وصلى بها، وردّه فمر رسول الله (ص) في رجوعه بعير قريش، وإذا لهم ماء في آنية وقد أضلوا بعيراً لهم وكانوا يطلبونه، فشرب رسول الله من ذلك الماء وأهرق باقيه، فلما أصبح رسول الله قال لقريش:

ـ إن الله (جل جلاله) قد أسرى بي إلى بيت المقدس، وأراني آثار الأنبياء ومنازلهم، وإني مررت بعير لقريش في موضع كذا وكذا وقد أضلوا بعيراً لهم، فشربت من مائهم وأهرقت باقي ذلك.

فقال أبو جهل:

ـ قد أمكنتكم الفرصة منه، فاسألوه كم الأساطين فيها والقناديل؟

---

(٨٦) هكذا قال الشهيد دستغيب ولكني لا أرى أن نجاسة لحم عتبة هي التي منعت الأسد من أكله فمتى كانت الأسود لا تأكل اللحوم النجسة، وكان الأولى أن يقال أن الأسد كان مأموراً بقتله فقط دون أكله ليكون عبرة لغيره (جبارة).

(٨٧) المعراج/ ص ٢٣.

فقالوا:

ـ يا محمد! إن ههنا من قد دخل بيت المقدس فصف لنا كم أساطينه وقناديله ومحاريبه؟

فجاء جبرئيل (ع) فعلّق صورة بيت المقدس تجاه وجهه، فجعل يخبرهم بما يسألونه عنه، فلما أخبرهم قالوا:

ـ حتى يجيء العير ونسألهم عما قلتَ.

فقال لهم رسول الله (ص):

ـ تصديق ذلك أن العير تطلع عليكم مع طلوع الشمس، يقدمها جمل أورق[(٨٨)].

فلما كان من الغد أقبلوا ينظرون إلى العقبة ويقولون:

ـ هذه الشمس تطلع الساعة.

فبينا هم كذلك إذ طلعت عليهم العير حين طلع القرص، يقدمها جمل أورق، فسألوهم عما قال رسول الله (ص) فقالوا:

ـ لقد كان هذا، ضلّ جمل لنا في موضع كذا وكذا، ووضعنا ماءً فأصبحنا وقد أهريق الماء.

فلم يزدهم ذلك إلاّ عتوّاً[(٨٩)].

* * *

(٧٠)

في كنف الله وحفظه

كان للنبي (ص) أعداء كثيرون. فالمشركون والكفار والمنافقون

(٨٨) الجمل الأورق: هو الذي في لونه بياض إلى سواد، وفي لفظ آخر من الرواية: جمل أحمر ـ المترجم.

(٨٩) المعراج/ ص ٧٦ واكتفى الشهيد بذكر اسم (البحار) ولم يشر إلى الجزء أو الصفحة.

واليهود والنصارى كانوا كلهم يناصبونه العداء، وكانوا قد أقسموا على تصفية النبي وغدره بأي أسلوب ووسيلة. لكن الله وعد نبيّه بأن يحفظه من شر الناس، ولذلك لم تكن تجدي مؤامرات أعدائه وأحابيلهم ولا يجنون منها سوى الخزي والعار.

على سبيل المثال، وبعد أن تحقق النصر للمسلمين في معركة (خيبر) بفضل شجاعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وبطولته، قررت امرأة يهودية[٩٠] أن تقتل النبي الأكرم (ص). فذبحت شاة وقامت بشيِّها ثم وضعت عليها سمّاً قاتلاً وجاء بكتف منها إلى النبي فأهدته له.

وتناول رسول الله (ص) لقمة من لحم الشاة ووضعها في فمه الشريف فأنطق الله لحم الشاة وقال: يا رسول الله، إني مسموم.

فأمسك النبي (ص) عن تناول ذلك اللحم، وعندما أدركت المرأة اليهودية أن الرسول قد اطلع على خيانتها وغدرها خافت وارتعدت فرائصها. ولو كان النبي يريد الانتقام منها فماذا كان سيحصل لها، ولو اطلع المسلمون على عملها الغادر فماذا كانوا سيفعلون بها وبقبيلتها؟

وتوجه النبي إلى المرأة اليهودية وخاطبها دون غيظ أو انزعاج:

ـ لماذا فعلت ذلك أيتها المرأة؟ هل كنت أسأت إليك؟

ففكرت اليهودية بحيلة تنقذ بواسطتها نفسها من الخطر وبعد أن فكرت للحظات أجابت النبي (ص) قائلة:

ـ اعذرني يا رسول الله فلقد أردت أن امتحنك، وفكرت مع نفسي فسوّلت لي أن أضع لك سماً في الطعام وأقدمه إليك فإن كنت نبياً لم

---

(٩٠) ذكر اليعقوبي في تاريخه (الجزء الثاني/ ص ٥٦) إنها زينب بنت الحارث أخت مرحب (جبارة).

تأكل منه، وان لم تكن نبياً أكلت منه وهلكت حالاً.

وعفا النبي عن اليهودية وأطلق سراحها فولت خائبة[٩١].

* * *

(٧١)

الطعام القليل

اقترنت معركة الأحزاب بمجاعة شديدة في المدينة المنورة، وكان النبي يشارك أصحابه في حفر الخندق بل يفوقهم في بذل الجهد، بحيث ان النبي وأصحابه مرت عليهم ثلاثة أيام دون أن يأكلوا شيئاً.

وكانت لجابر شاة وعندما رأى الجوع الشديد الذي حل بالنبي الأكرم وأصحابه ذهب إلى رسول الله وقال له:

ـ لدي شاة في البيت وأريد أن أذبحها فأرجو أن تقبل دعوتي وتحل ضيفاً عليَّ.

فسأله النبي (ص):

ـ آتي لوحدي أم معي أصحابي؟

استحيا جابر أن يقول للنبي بأن يأتي لوحده وظن أن رسول الله حتى لو أراد أن يصطحب معه أحداً فإنه سيدعو بضعة أشخاص ليس إلاّ، ولهذا السبب قال:

ـ بل تفضل أنت والأصحاب يا رسول الله.

وفي ذلك الحين كان هناك سبعمئة شخص يشاركون في حفر الخندق، فأمر النبي (ص) أن ينادي المنادي بأن يتوجهوا جميعاً إلى بيت

---

(٩١) النبوّة/ ص ٩٢.

جابر لأنهم مدعوون لطعام الغداء عنده.

وجاء جابر إلى بيته وحدّث امرأته بما حصل، فقالت له:

ـ هل قلت للنبي كم لدينا من الطعام؟

أجابها جابر:

ـ نعم.

قالت المرأة:

ـ إذن فلا تخف ولا تحزن، فرسول الله يعلم ماذا يصنع.

وصنعت المرأة من اللحم مرقاً ثم خبزت مقداراً من الخبز، وفي وقت الظهيرة جاء النبي الأكرم ومعه المئات، فلما دخل بيت جابر جاء إلى التنور وتفل فيه من ريقه المبارك بين ألسنة النيران، ثم قال لزوجة جابر: اعط الخبز لعلي.

وأخذ جابر يريق في الأواني المرق ورسول الله يأخذها منه ويعطيها لأصحابه واحداً تلو الآخر، وأخذ جميع الحاضرين حصصهم من الطعام فأكلوا حتى شبعوا ـ وكان عددهم سبعمائة شخص ـ ولما نظروا في القدر وجدوا فيه الطعام كأنه لم ينقص شيئاً وبقي فيها لحم الشاة على ما كان عليه[٩٢].

* * *

(٧٢)

مؤامرة في المنعطف

أثناء عودة خاتم الأنبياء محمد (ص) من غزوة تبوك اتفق أربعة عشر من المنافقين على قتل النبي في الطريق. فأعدوا عدة براميل وملأوها

---

(٩٢) النبوة/ ص ١٦٥.

بالحصى وفي قلب ليلة حالكة الظلام قاموا بإلقاء تلك البراميل من سفح الجبل. وظنوا أن الرسول (ص) واثناء مروره في المنعطف راكباً جمله ستداهمه تلك البراميل ويجفل جمله بعد أن تطرق سمعه أصوات البراميل المتدحرجة والصفائح المليئة بالحصى فيلقي بالرسول (ص) في الوادي. ولكن ماذا كانت النتيجة؟

بمجرد أن قذفوا تلك البراميل والصفائح توقفت في الطريق بأمر الله واستقرت عن التدحرج. وفي هذه الأثناء حصل برق أضاء الطريق للنبي وتمكن من مشاهدة أولئك المنافقين الأربعة عشر ومعرفتهم.

وبعد انتهاء القضية استدعاهم النبي فجاؤوا وقال لهم (ص):

ـ هل أسأت لكم يوماً كي تقرروا أن تقتلوني؟

وعلى أية حال فإن رسول الله (ص) الذي كان بحراً من الرحمة والعفو والحلم عفا عنهم وأطلق سراحهم[٩٣].

* * *

(٧٣)

انفاق المال هدراً

يقول القرآن الكريم:

﴿إنّ الّذينَ كَفَرُوا ينفقون أمْوالَهُمْ لِيَصُدّوا عَن سَبيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَها ثُمَّ تكونُ عَلَيهِم حَسرَةً ثُم يُغلَبُونَ﴾[٩٤].

يروى انه قبل معركة (الأحزاب) اجتمع أثرياء مكة وقرروا أن يعدّوا

---

(٩٣) النبوة/ ص ٩٤.

(٩٤) الأنفال/ ٣٦.

جيشاً جراراً ويتوجهوا للقضاء على المسلمين قضاء مبرماً. وقد قرروا مهاجمة المدينة المنورة وقتل سكانها ونهب أموالهم، فاجتمعت قبائل مكة وما حواليها وشكل المشركون جيشاً بلغ تعداده اثني عشر ألف شخص في مكة واستعدوا للزحف نحو المدينة.

ولم يكن من المتعارف عليه عند العرب إعداد جيش جرار لهذا العدد الهائل في ذلك الحين، ولذلك فإن الكفار تحملوا تكاليف ضخمة ونفقات كبيرة في اعداد الطعام، وأخيراً تقرر أن يتحمل كل واحد من أثرياء مكة نفقات الجيش يوماً واحداً.

وزحف الجيش ذو الآلاف الاثني عشر إلى المدينة، وأخبر الله نبيه بالأمر ووعده بالنصر والظفر. وجمع النبي الأكرم أصحابه وشاورهم في كيفية الدفاع عن المدينة فقال سلمان (رض):

- لقد اعتدنا في إيران إذا هاجمنا جيش لا قدرة لنا على دفعه أن نحفر خندقاً عظيماً حول المدينة التي تتعرض للهجوم كي نفشل هجوم الأعداء.

فوافق النبي الأكرم على هذا الرأي وأمر بحفر خندق حول المدينة بحيث يتولى كل عشرة أشخاص حفر ٤٠ متراً. وكان الفصل صيفاً والجو حاراً والمسلمون صائمين. وفي الوقت نفسه كان الفقر والمجاعة سائدين في المدينة والمسلمون يعانون مرارة العيش وصعوبة الحياة. وشارك النبي الأكرم نفسه في حفر الخندق.

واثناء ما كان سلمان يحفر الأرض بالمعول وصل إلى صخرة كبيرة فأخذ يحفر حواليها ليستخرجها لكنه لم يستطع إخراجها ولم يتمكن الآخرون أيضاً فاضطروا أن يستنجدوا برسول الله (ص).

فأخذ النبي المعول بيده الكريمة وتوجه إلى محل الصخرة، وأهوى

(ص) بالمعول عليها فحصلت شرارة فقال النبي (ص):

ـ الله أكبر، أراني الله قصور الحيرة والمدائن.

وأهوى (ص) بالمعول على الصخرة ثانية فحصلت شرارة فقال النبي:

ـ الله أكبر، أراني الله قصور امبراطور الروم الحمر.

وفي المرة الثالثة حصلت الشرارة فقال (ص):

ـ الله أكبر أراني الله قصور صنعاء وأخبرني جبرئيل أن هذه الدول ستخضع لسيطرة المسلمين.

وقد وصل خبر هذه القضية إلى بقية المسلمين وكانوا آنذاك يعانون الفقر والجوع ومرارة العيش، وسمع المنافقون بذلك فسخروا من النبي (ص) وقالوا: انه عاجز عن مواجهة جيش ذي اثني عشر ألف مقاتل فكيف يتمكن من التغلب على جيوش امبراطوريتي الفرس والروم والسيطرة عليهما؟!

لكن الأمر لم يكن يدعو للسخرية والاستهزاء أبداً فإن الملك لله والقوة له وهو يعز من يشاء ويذل من يشاء، يعطي الملك لمن يشاء وينزع الملك ممن يشاء.

وعلى أية حال، فعندما وصل جيش الكفار إلى المدينة وجدوا حولها خندقاً عميقاً منيعاً حفره المسلمون، ولأنهم لم يكونوا قد رأوا حتى ذلك الحين خندقاً فإنهم دهشوا وتعجبوا. وبعد أن عسكروا هناك عدة أيام قرر عمرو بن عبد ود ـ وكان أشجع من في الجيش المهاجم ـ وثلة من الفرسان؛ عبور الخندق وهم يركبون أفراسهم، فعبروا الخندق وتحدوا المسلمين أن يخرجوا لمبارزتهم.

وكان المسلمون يعرفون شجاعة عمرو فلم يجرؤ أحدهم على الخروج لمبارزته. وطلب النبي (ص) إلى المسلمين أن يبارزوه وتكرر

الطلب ثلاث مرات وفي كل مرة كان يخرج علي بن أبي طالب ويتطوع لمقاتلته والنبي يعيده.

وفي المرة الثالثة سمح النبي للإمام أن يبارز عمرواً، فتقدم نحوه كالأسد الضرغام وبارزه بكل شجاعة وجرأة وتمكن من أن يصرعه ويقتله وسط دهشة المشركين وتعجب المسلمين وذهول الفريقين مما أضعف معنويات المشركين وزرع الخلاف والنزاع بين زعمائهم.

وأنزل الله النصر في ذلك اليوم على المسلمين وهبت رياح عاصفة واقتلعت خيام المشركين وبددت شملهم وفرقت جمعهم وهزمت خيولهم وأعمت الرياح والرمال أعينهم وقلبت قدور أغذيتهم حتى ضاقت عليهم الأرض بما وسعت ونفد صبرهم وضاقوا ذرعاً ولم يعودوا يحتملون البقاء ولم يتمكنوا من الثبات والصمود فقرروا الانسحاب والتراجع ليلاً فعادوا يجرون وراءهم أذيال الخيبة والفشل الذريع والخزي والعار.

وفي اليوم التالي كان الكفار قد ابتعدوا أميالاً عن المدينة عائدين إلى مكة بخفي حنين ولم يجنوا من غزوتهم تلك سوى المرارة ولم تنفعهم الأموال الطائلة التي أنفقوها ولم يحصلوا من أمرهم سوى خسارة فادحة في أموالهم تلك وامتلأت قلوبهم حسرة وغصة[٩٥].

* * *

(٧٤)

ذهب أم فضة؟

جاءت امرأة مؤمنة إلى رسول الله (ص) وهي تحمل صرة فيها ثلاثمائة درهم فضة وأعطتها للنبي قائلة:

---

(٩٥) النبوة/ ص ٩٩.

ـ يا رسول الله! انفق هذه الدراهم على الفقراء.

فالتفت النبي (ص) إلى أحد أصحابه ممن كان حاضراً عنده قائلاً:

ـ خذ منها الصرة وأفرغ منها الدراهم الذهبية.

فأخذ الصحابي الصرّة منها وأفرغ ما فيها وإذا بها من المسكوكات الذهبية، ولما رأت المرأة ذلك دهشت وقالت:

ـ قد كانت الدراهم التي وضعتها في الصرة فضية لا ذهبية!!

فقال لها رسول الله (ص):

ـ لا تعجبي، قلت لك إنها من الذهب فحولها الله إلى ذهب[٩٦].

* * *

(٧٥)

معركة بدر

لم تمض على الهجرة النبوية سوى ثمانية عشر شهراً حتى وقعت معركة بدر الكبرى. وقد وعد الله المسلمين بالنصر فيها فقال:

﴿ولينصرنّ الله من ينصره ان الله لقوي عزيز﴾[٩٧].

وبدر اسم عين ماء تقع بالقرب من مكة، عسكر عندها جيش الكفار الذين جهزوه وسلّحوه للقضاء على الإسلام، وكان يتكون من تسعمائة وخمسين مقاتلاً من أشجع فرسان مكة.

أما المسلمون فقد جهزوا جيشاً من ثلاثمائة وخمسين مقاتلاً كان أكثرهم راجلين ومعظمهم عزل من السلاح، بحيث لم يكن لديهم سوى سبعة سيوف بينما كان الكفار يحملون أفضل الأسلحة وأشدّها فتكاً.

---

(٩٦) النبوة/ ص ٢٢٤.

(٩٧) سورة الحج/ آية ٤٠.

ولقد أنزل الله العون والمدد الغيبي على المسلمين، فكان المطر أول صور العون تلك. فعندما هطل المطر كان المسلمون في منطقة رملية امتصت مياه المطر عدا ما جمعه المسلمون وارتووا منه واغتسلوا. أما بالنسبة لمنطقة معسكر المشركين فكانت ترابية وتحولت إلى أطيان غاصت فيها أرجلهم وتعثرت خطاهم وعوّقت خيولهم عن الحركة.

وعندما دارت رحى الحرب برز ـ بادىء ذي بدء ـ ثلاثة هن أشجع أبطال المشركين هم (شيبة) و(عتبة) و(الوليد) وكانوا من زعماء قريش وطغاتها، فبرز لهم من المسلمين شجعانهم وهم أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (ع) و(حمزة) و(عبيدة) وتمكن أبطال المسلمين من اهلاك طغاة المشركين بأجمعهم.

ولما رأى المشركون ما حلّ بطغاتهم حملوا على المسلمين حملة رجل واحد، وأنزل الله خمسة آلاف من الملائكة ليساعدوا المسلمين، وعندما وضعت الحرب أوزارها انجلى غبار المعركة عن فضيحة شنعاء وهزيمة كبرى لحقت بجيش الكفار فخلفوا وراءهم سبعين قتيلاً وسبعين أسيراً، وكان عدة من قُتل بيد الإمام علي لوحده ستة وثلاثين كافراً.

وكان أحد الذين قتلوا في هذه المعركة (أبو جهل)، الذي يعتبر من أشد الناس عداوةً لرسول الله (ص) ومن أكثر المؤذين له والحاقدين عليه. وقد بادره أحد المسلمين فصرعه وقطع رجليه بالسيف فسقط في ميدان المعركة وطفقت الخيول تدوس عليه ويعبر عليه الرجّالة.

وهنا قال النبي (ص):

ـ من يتطوع للذهاب إلى داخل المعركة والاتيان بخبر أبي جهل؟

فتطوع ابن مسعود وكان امرأ قصيراً ضعيفاً نحيف الجسم. فدخل ساحة الحرب وأخذ يفتش عن أبي جهل فرآه صريعاً يحتضر، فامتشق خنجره وجلس على صدر أبي جهل، فقال له:

ـ لقد ارتقيت مرتقى صعباً يا هذا.. قل لي لمن صار النصر والغلبة؟

فأجابه ابن مسعود:

ـ لقد كان النصر حليف الله ورسوله.

فقال له:

ـ إذا كان الأمر كذلك فقل لمحمد انني لأبغضه الآن أشد البُغض.

فقال ابن مسعود:

ـ أيها الشقي، انك لأشقى من فرعون فإنه تاب في آخر لحظات عمره وقال «آمنت بالله الذي آمنت به بنو إسرائيل» ولكنك ما زلت باقياً على كفرك!؟

وطفق ابن مسعود يحتز رأس أبي جهل ولأن خنجره كان كهاماً غير حادّ الشفرة فقد عجز عن حز رأسه به ولذلك التفت حوله فرأى سيف أبي جهل مرمياً على الأرض فحمله وقطع به رأس صاحبه ثم ربطه بحبل وأخذ يجره وجاء به إلى رسول الله (ص)، ففرح النبي لمشاهدته ذلك الرأس القذر وسجد لله شكراً.

اما الأسرى فكان بينهم العباس عم النبي، وحينما جيء بهم ضحك رسول الله (ص) فقال له العباس:

ـ أشماتة بنا يا محمد؟!

فأجابه النبي (ص):

ـ لا ولكنني أرى المسلمين يريدون أن يجروك إلى الجنة بالقوة وأنت مغلول اليدين.

وعلى أية حال، فقد أنفق المسلمون والمشركون على تقديم الفدية مقابل اطلاق سراح أسرى المشركين. فأرسلت كل واحدة من عوائل الأسرى المشركين مبلغاً يتراوح بين الألف وأربعة آلاف درهم فاطلق سراحهم الواحد تلو الآخر.

والطريف أن صهر الرسول أبا العاص بن الربيع ـ وهو زوج زينب بنت خديجة ـ كان هو الآخر بين الأسرى، ولما رأت زينب أنها لا تملك مالاً تفدي بها زوجها بعثت بقلادتها للمسلمين كي يطلقوا سراحه، وعندما وقعت عينا النبي (ص) على قلادة ابنته اغرورقتا بالدموع وقال:

ـ ضاق الأمر بابنتي وأعيتها الحيلة حتى بعثت بقلادتها. لقد أهدتها خديجة هذه القلادة ليلة زفافها.

واقترح النبي اطلاق سراح أبي العاص بدون فدية؛ فأطلق المسلمون سراحه عن طيب خاطر ورضى كامل. وهنا يحضرني قول لابن أبي الحديد ـ أحد علماء أهل السنّة وشارح نهج البلاغة ـ جاء فيه:

ـ كم تشدد أبو بكر وعمر في أمر فاطمة الزهراء سلام الله عليها. وماذا كان يحدث لو لم يأخذوا فدكاً منها إرضاءً لرسول الله؟! ولو لم يأخذاها منها فهل كان المسلمون سيعترضون عليهما ويطلبون أخذ فدك منها؟![٩٨].

* * *

(٧٦)

اليهودي الدائن

كان ليهودي دين على رسول الله (ص) يبلغ عدداً من الدنانير. ويوماً كان (ص) ماراً في إحدى الطرق فاعترضه ذلك اليهودي وقال له:

ـ لا أدعك تمضي حتى تقضي دينك لي.

فقال له النبي (ص):

ـ ما عندي ما أعطيك.

فأجابه اليهودي:

---

(٩٨) حقائق من القرآن/ ص ١٨١ ـ ١٩٢.

ـ وأنا الآخر لن أدعك تمضي حتى تعطيني ما أقرضتك.

فأجابه النبي:

ـ إذن أجلس معك.

وبعد مضي شطر من النهار تجمع هناك عدد من الصحابة، وعندما رأوا ذلك قرروا تأديب اليهودي، لكن النبي منعهم من ذلك وأمرهم بالابتعاد عن المحل فابتعدوا.

وأخذت الشمس تلفح بدن النبي وكان الجو حاراً والشمس حارقة وأخذ وجهه يتصبّب عرقاً ومع ذلك لم يبد غضباً أو تذمراً ولم يتكلم بكلام حاد، وظل هناك حتى صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والغداة.

وأخذ الصحابة يتهددون اليهودي ويتوعدونه فنظر رسول الله (ص) إليهم وقال:

ـ ما الذي تصنعونه به؟

فقالوا:

ـ يا رسول الله! يهودي يحبسك؟

فقال (ص):

ـ لم يبعثني الله (عزَّ وجلَّ) بأن أظلم معاهداً ولا غيره.

فلما علا النهار قال اليهودي:

ـ أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وشطر مالي في سبيل الله. اما والله ما فعلت بك الذي فعلتُ إلا لأنظر إلى نعتك في التوراة، فإني قرأت نعتك في التوراة: محمد بن عبد الله، مولده بمكة، ومهاجره بطيبة، وليس بفظٍّ ولا غليظ ولا سخّاب، ولا متزين بالفحش ولا قول الخناء[٩٩].

---

(٩٩) العدل/ ص ٣٩٤.

(٧٧)

نبـي الرحمة

عندما بعث النبي (ص) بالرسالة بقي يمارس الدعوة إلى الإسلام سراً لمدة ثلاث سنوات. وبعدها نزل إليه الأمر الإلهي بأن يجهر بدعوته ويدعو الناس كلهم إلى سبيل الرشاد.

وحلّ موسم الحج وجاء الناس إلى بيت الله من كل أنحاء الجزيرة العربية، فصعد النبي على جبل الصفا ونادى بأعلى صوته:

ـ أيها الناس إني رسول الله إليكم فآمنوا بالله رب العالمين.

فالتفت الناس إليه والعجب يلفّهم، وحاولوا أن يروا من صاحب هذا النداء، ونزل النبي من الصفا وذهب إلى المروة وصعد عليه ونادى ثلاثاً مثل ندائه الأول.

وعندما سمع ذلك أبو جهل رفع حجراً ورمى به جبهة النبي (ص) فشجّها وأخذ الدم يسيل منها على وجهه الشريف. وهكذا رفع كل واحد من المشركين حجراً وهاجموا به رسول الله (ص). فاضطر النبي أن يصعد جبل أبي قبيس ويلوذ خلف صخرة من صخوره، ولما صعد المشركون بحثوا عنه طويلاً فلم يجدوا له أثراً، فعادوا خائبين.

وفي هذه الأثناء جاء رجل وأخبر الإمام علياً (ع) بالأمر ثم قال: يبدو أن محمداً قد قتل.

ولما سمع الإمام ذلك استشاط غضباً وحزن حزناً شديداً وأسره إلى خديجة (رض) قائلاً:

ـ لقد سمعت أن المشركين رجموا النبي بالحجارة ويزعم بعض الناس أنه قد قتل، احملي شيئاً من الطعام والشراب ولنذهب في طلبه علّنا نعثر عليه.

ولما صعد علي وخديجة (ع) جبل أبي قبيس كان الليل قد خيم على بطحاء مكة فقال الإمام لخديجة:

- إلزمي أنت جهة الوادي واصعد أنا على سفح الجبل علّنا نعثر على رسول الله (ص).

وتحرك الإمام وهو يبكي حزناً على رسول الله وأخذ يقول: - يا رسول الله، روحي لك الفداء، أين أنت؟ وفي أي وادٍ بقيت جائعاً ظامئاً؟ لِمَ لَمْ تأخذني معك؟

أمّا خديجة (رض) فكانت تنادي هي الأخرى:

- أما من يدلّني على النبي المصطفى؟! ألم يره أحد فيدلني عليه؟!

وفي هذه الأثناء هبط جبرئيل مبعوثاً من الله (عز وجل) على النبي والملائكة في أثره أفواجاً أفواجاً وقالوا للنبي (ص):

- نحن مأمورون من قبل الله الجبار بأن نطيعك، فإن شئت أن نهلك هؤلاء القوم عن بكرة أبيهم فعلنا ولم نبق لهم أثراً في الأرض.

لكن النبي (ص) أجابهم:

- إنني نبي الرحمة لا بشير العذاب والنقمة. اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

فقال جبرئيل لرسول الله:

- يا رسول الله! إن خديجة تبحث عنك، وان بكاء خديجة قد أبكى ملائكة السماء، فأجبها وأبلغها سلامنا وسلام الله سبحانه وبشّرها بالجنّة.

فنادى النبي خديجة وعلياً واستدعاهما للمجيء إليه فجاءا وضمّدا جبهته الشريفة وأتيا به إلى البيت. وعندما علم المشركون بمجيئهم إلى البيت تجمعوا من كل حدب وصوب، فأخذوا يقذفون بيت النبي بالحجارة، فطفق علي وخديجة يحميان النبي ويدفعان عنه الأذى وعندما توقفت قريش عن قذف الحجارة خرجت خديجة من المنزل وصاحت بهم:

ـ يا أبناء قريش أما تستحيون؟ فإنكم والله ترجمون بيت أشرف امرأة منكم وأنجب نساء هذا البلد. إذا كنتم لا تخافون الله فلا تثيروا شماتة الآخرين بكم ولا تجلبوا لكم العار والشنار الأبديين.

وعندما سمع المشركون كلام خديجة اطرقوا برؤوسهم وخجلوا وعادوا إلى بيوتهم. وهكذا بدأ النبي (ص) دعوته إلى الإسلام بتحمل الأذى والمعاناة من أجل هداية الضالين وانقاذهم[١٠٠].

* * *

(٧٨)

الستارة المزخرفة

عندما كان رسول الله (ص) يعود من سفر أو غزوة يتوجه أولاً إلى بيت ابنته فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) كي تقرّ عينها بعودته وتبتهج لقدومه.

ويوماً عاد النبي إلى المدينة وذهب إلى بيت ابنته كالعادة، فرأى على باب الدار ستارة ذات نقوش وزخارف، فتأثر لمرآها، ولم يشأ أن تراه ابنته وهو بتلك الحالة من التأثّر.

وعلمت الزهراء أن أباها عاد ولم يدخل منزلها وعرفت السبب ولذلك فقد نادت الحسن والحسين (ع) وقامت برفع تلك الستارة ثم أعطتها لهما وقالت:

ـ اذهبا إلى جدكما الكريم وقولا له: أنفق ثمن هذه الستارة في سبيل الله تعالى.

فأخذ الحسنان الستارة وذهابا إلى النبي وأعطياها له فقال النبي (ص):

---

(١٠٠) القيامة والقرآن/ ص ١٣٦.

ـ أبوها فداها (ثلاثاً). ما لآل محمد والدنيا، لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة لما سقى منها كافراً شربة ماء قط.

* * *

(٧٩)

المال والابتلاء

كان (ثعلبة) امرأ زاهداً ومتقياً واشتهر بين الناس بالعبادة والزهد. جاء يوماً إلى الرسول الأكرم (ص) وشكا إليه ضيق ذات اليد وقال له:

ـ يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالاً.

فأجابه النبي (ص):

ـ يا ثعلبة! قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه. أما لك في رسول الله اسوة حسنة؟ والذي نفسي بيده لو أردت أن تصير الجبال معي ذهباً وفضة لصارت.

ثم أتاه بعد ذلك فقال:

ـ يا رسول الله! ادع الله أن يرزقني مالاً، والذي بعثك بالحق، لئن رزقني الله مالاً لأعطين كل ذي حق حقه.

فقال (ص):

ـ اللهم ارزق ثعلبة مالاً[١٠١].

فاتخذ غنماً فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحّى عنها فنزل وادياً من أوديتها ثم كثرت نموّاً حتى تباعد من المدينة فاشتغل بذلك عن الجمعة والجماعة.

---

(١٠١) القيامة والقرآن/ ص ١٧٣.

ثم بعث رسول الله (ص) من يجبي الحقوق الشرعية (الخمس والزكاة) والصدقات فأبى ثعلبة وبخل وقال:

ـ ما هذه إلاّ أخت الجزية.

فلما عاد مبعوثا رسول الله وأخبرا النبي بما قاله ثعلبة قال (ص):

ـ يا ويح ثعلبة... يا ويح ثعلبة.

فنزلت الآيات الكريمة[١٠٢]:

﴿وَمِنهُم مَن عَاهَدَ اللَّهَ لَئِن آتانا مِن فَضلِهِ لنَصَّدَّقَنَّ وَلَنكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمّا آتَاهُم مِن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَولَّوا وَهُمْ مُعرِضُونَ * فَأعقبَهُمْ نِفَاقَاً فـي قُلُوبِهِم إلـى يَومِ يَلقَونَهُ بِمَا أَخْلَفُوا الله مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونِ﴾[١٠٣].

وعلى الضد من ذلك كان مبعوثا النبي قد ذهبا إلى رجل سُليمي وقرآ عليه آيات الزكاة وأبلغاه رسالة النبي (ص) فقال الرجل:

ـ سمعاً وطاعةً لأمر الله وأمر رسوله.

ثم ذهب في أوساط إبله وأخذ يختار خيارها ويقدمها لمبعوثي النبي (ص) وقال لهما:

ـ خذا هذه الإبل وقدّماها لرسول الله (ص).

فقال مبعوثا النبي (ص):

ـ ان رسول الله لم يأمرنا بأخذ خيار أموالك.

فأجابهما الرجل:

ـ حاشا أن أعطي لله ورسوله إلا أحسن أموالي.

فشتان بين الحالتين.

* * *

---

(١٠٢) سورة التوبة/ ٧٥ ـ ٧٧.

(١٠٣) الذنوب الكبيرة/ الجزء الأول/ ص ٤٢٧.

(٨٠)

دعاء النبي

روي عن أم سلمة ـ زوجة النبي وإحدى النساء الصالحات في صدر الإسلام ـ قولها:

انتبهت من نومي في إحدى الليالي فرأيت رسول الله قد نهض من نومه ووقف ناحية ورفع كفيه الشريفين يدعو الله قائلاً:

(اللهم لا تنزع مني صالح ما أعطيتني).

(اللهم لا تشمت بي عدواً ولا حاسداً أبداً).

(اللهم لا تردني في سوء استنقذتني منه أبداً).

(اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً).

فلما رأيته وسمعت ما قاله (ص) أخذت أبكي، فسمع بكائي وسألني:

ـ ما يبكيك يا أم سلمة؟

فأجبته:

ـ بأبي أنت وأمي يا رسول الله ولِمَ لا أبكي وأنت بالمكان الذي أنت به من الله، قد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر، تسأله أن لا يُشمت بك عدواً أبداً وأن لا يردّك في سوء استنقذك منه أبداً، وأن لا ينزع منك صالح ما أعطاك أبداً، وأن لا يكلك إلى نفسك طرفة عين أبداً؟

فقال (ص):

ـ يا أم سلمة وما يؤمنني؟ وإنما وكل الله يونس بن متّى إلى نفسه طرفة عين وكان منه ما كان[١٠٤].

* * *

(١٠٤) الذنوب الكبيرة/ الجزء الأول/ ص ١١٦.

(٨١)

الوفاء بالوعد

واعد رسول الله (ص) يوماً رجلاً في مكان معين عند صخرة، وجاء قبل الموعد إلى ذلك المكان وتوقّف قرب تلك الصخرة وطفق ينتظر مجيء الرجل، وعندما حل الموعد المقرر لم يأت.

ومضت عدة ساعات وارتفعت الشمس في كبد السماء وأخذت حرارتها تحمي بدنه المبارك وتؤذيه، فجاء بعض الصحابة ورأوه على تلك الحال فقالوا له:

ـ يا رسول الله! لو تحوَّلتَ إلى الظلّ.

فقال (ص):

ـ واعدته ههنا ولا أغادر مكاني حتى يأتي.

ومضت ساعات أخرى ثم جاء ذلك الرجل، فقال له النبي الأكرم (ص):

ـ لو لم تأت إلى هنا لما تحركت حتى أموت[١٠٥]!!

* * *

(٨٢)

مؤامرة قتل النبي (ص)

مرت على البعثة النبوية ثلاث عشرة سنة تحمل فيها النبي (ص) شتى ألوان المعاناة والآلام والأذى وتحمل معه ذلك المسلمون، لكن صبر

---

(١٠٥) الذنوب الكبير/ الجزء الأول/ ص ٤٣٤.

النبي واستقامته أفشل كل مخططات المشركين وأحبط مؤامراتهم.

وحينما أعلن جمع من أهل المدينة إسلامهم[١٠٦] ودعوه إلى مدينتهم ثارت ثائرة المشركين وتأجج حقدهم على النبي والمسلمين فعقدوا اجتماعاً في دار الندوة وجاء الشيطان فدخل الاجتماع على شكل شيخ نجدي في السن.

وكان المشركون يخشون من اجتماع الناس حول النبي (ص) عند هجرته إلى المدينة ويرون أن أمره سيتعاظم وتقوى شوكته وبالتالي فإن القضاء عليه سيكون أمراً في غاية الصعوبة ولذلك صمموا على القيام بعمل ما قبل أن يفلت النبي (ص) من بين أيديهم.

قال أبو جهل:

ـ يا معشر قريش! إنه لم يكن أحد من العرب أعزَّ منّا، نحن أهل الله، تَفِدُ إلينا العرب في السنة مرتين ويكرموننا، ونحن في حرم الله لا يطمع فينا طامع، فلم نزل كذلك حتى نشأ فينا محمد بن عبد الله. فكنا نسميه (الأمين) لصلاحه وسكونه وصدق لهجته، حتى إذا بلغ ما بلغ وأكرمناه ادعى أنه رسول الله وأن أخبار السماء تأتيه.

فسفّه أحلامنا، وسبّ آلهتنا، وأفسد شبّاننا، وفرّق جماعتنا، وزعم أنه من مات من أسلافنا ففي النار، ولم يرد علينا شيء أعظم من هذا، وقد رأيت فيه رأياً.

قالوا:

ـ وما رأيت؟

قال أبو جهل:

---

(١٠٦) المقصود هي بيعة العقبة الثانية التي بايع النبيّ فيها سبعون رجلاً وامرأتان أثناء موسم الحج في مكة ودعوه للهجرة إلى المدينة (جبارة).

ـ رأيت أن ندسّ إليه رجلاً منّا ليقتله، فإن طلبت بنو هاشم بديته أعطيناهم عشر ديات.

فقال الشيطان ـ وهو كما قلنا يبدو بهيئة شيخ كبير ـ:

ـ هذا رأيٌ خبيث.

قالوا:

ـ وكيف ذلك؟

قال الشيطان:

ـ لأن قاتل محمد مقتول لا محالة، فمن هذا الذي يبذل نفسه للقتل منكم؟ فإنه إذا قتل محمداً تعصَّبت بنو هاشم وحلفاؤهم من خزاعة، وان بني هاشم لا ترضى أن يمشي قاتل محمد على الأرض، فتقع بينكم الحروب في حرمكم وتتفانون.

فقال (أمية):

ـ فعندي رأيٌ آخر.

قال الشيطان:

ـ وما هو؟

قال:

ـ نثبته (نحبسه) في بيته ونلقي عليه قوته حتى يأتي عليه ريب المنون فيموت كما مات زهير والنابغة وامرؤ القيس.

فقال الشيطان:

ـ هذا (الرأي) أخبث من الآخر.

قالوا:

ـ وكيف ذاك؟

قال الشيطان:

ـ لأن بني هاشم لا ترضى بذلك، فإذا جاء موسم من مواسم العرب استغاثوا بهم فاجتمعوا عليكم فأخرجوه.

قال آخر منهم:

ـ، ولكنّا نخرجه من بلادنا ونتفرغ لعبادة آلهتنا.

فقال إبليس:

ـ هذا (رأي) أخبث من ذينك الرأيين المتقدمين.

قالوا:

ـ وكيف؟

قال إبليس:

ـ لأنكم تعمدون إلى أصبح الناس وجهاً، وأتقن الناس لساناً، وأفصحهم لهجةً فتحملوه إلى بوادي العرب فيخدعهم ويسحرهم بلسانه فلا يفجؤكم إلاّ وقد ملأها خيلاً ورجلاً..

فبقوا حائرين، ثم قالوا لإبليس:

ـ فما الرأي يا شيخ؟

قال:

ـ ما فيه إلاّ رأي واحد.

قالوا:

ـ وما هو؟

قال:

ـ يجتمع من كل بطن من بطون قريش (رجل) فيكون معهم من بني هاشم رجل، فيأخذون سكيناً أو حديدةً أو سيفاً فيدخلون عليه فيضربونه كلهم ضربة واحدة حتى يتفرق دمه في قريش كلها، فلا يستطيع بنو هاشم أن يطلبوا بدمه، فقد شاركوا فيه. فإن سألوكم أن تعطوهم الدية فأعطوهم ثلاث ديات.

قالوا: نعم وعشر ديات.

ثم قالوا: الرأي رأي الشيخ النجدي، فاجتمعوا فيه، ودخل معهم في ذلك أبو لهب عم النبي (ص).

فنزل جبرائيل على رسول الله (ص) فأخبره أن قريشاً قد اجتمعت في دار الندوة يدبِّرون عليك، فأنزل الله عليه في ذلك:

﴿وإذْ يمكُرُ بِكَ الَّذين كَفَرُوا لِيثبِتُوكَ أو يقتلوكَ أو يُخرِجُوكَ وَيمكُرونَ وَيَمكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خيرُ الـماكرِينَ﴾[١٠٧].

فلما أمسى رسول الله (ص) جاءت قريش ليدخلوا عليه فقال أبو لهب:

ـ لا أدعكم أن تدخلوا عليه بالليل، فإن في الدار صبياناً ونساءً ولا نأمن أن تقع بهم يد خاطئة، فنحرسه الليلة، فإذا أصبحنا دخلنا عليه.

فناموا حول حجرة رسول الله (ص)، وأمر النبي أن يُفرش له فرش فقال لعلي بن أبي طالب (ع):

ـ افدني بنفسك.

فقال الإمام:

ـ نعم يا رسول الله.

قال (ص):

ـ نم على فراشي والتحف ببردتي.

فنام علي في فراش رسول الله (ص) والتحف ببردته. وجاء جبرائيل فأخذ بيد النبي وخرج رسول الله من بين المشركين وهم لا يرونه، بعد أن ترك علياً ليسلم الأمانات إلى أهلها ويجلب الفواطم إلى مكة.

وبقي أمير المؤمنين علي (ع) نائماً في فراش النبي (ص) حتى الفجر حيث قرر الكفار اقتحام بيت النبي لقتله، فامتشقوا سيوفهم وحملوا على فراش النبي لكنهم فوجئوا بأن النائم فيه عليّ لا محمد ففتح عينيه ونظر إليهم وصاح فيهم:

---

(١٠٧) سورة الانفال/آية ٣٠.

ـ ما شأنكم؟

قالوا:

ـ أين محمد؟

فقال (ع):

ـ أجعلتموني عليه رقيباً؟ ألستم قلتم نخرجه من بلادنا؟ فقد خرج عنكم.

فقال أحدهم:

ـ الآن وقد نجا محمد فلنقتل علياً بدلاً منه.

فقال أبو جهل:

ـ لا، إن هذا الفتى ما زال حدث السن وليس له عقل راجح.

فأجابه أمير المؤمنين:

ـ صه، إن الله أعطاني عقلاً لو قسّم على البشر كلهم لما بقي فيهم مجنون واحد، وأعطاني قوةً لو قُسّمت على العالمين كلهم لما بقي فيهم ضعيفٌ قطُّ.

فغضب أبو البختري من كلام علي (ع) وامتشق سيفه وأهوى به ليضرب الإمام فأمسك الإمام بيده وضغطها بقوة فسقط منها السيف على الأرض وصعق لقوة مسكه الإمام بيده وسقط مغشياً عليه. فحمله المشركون على ظهورهم وغادروا البيت مسرعين.

ثم أن المشركين جعلوا لمن يأتيهم بخبر الرسول (ص) جائزة مقدارها مئة ناقة.. وكان النبي قد رأى أبو بكر في الطريق، فطلب إلى النبي (ص) أن يصطحبه ولا يدعه وحيداً في مكة بين المشركين فوافق رسول الله (ص) واصطحبه معه، فخرجا من مكة ليلاً وآويا إلى غار جبل ثور.

وكان هناك جماعة من العرب ماهرين في اقتفاء الأثر وتتبع مواطىء

الأقدام، فأغرت هذه الجائزة أحدهم ويدعى أبا كرز فجاءه المشركون وقالوا له:

- يا أبا كرز، اليوم اليوم.

فجاء ليعرف أثر رسول الله فوقف بهم على باب حجرة رسول الله وقال لهم:

- هذه قدم محمد، والله انها لأخت القدم التي في المقام..

ثم مضى يتتبع آثار النبي ويقفو مواطىء قدمه الشريف والمشركون معه حتى أوقفهم على باب غار جبل ثور وقال:

- ما جاوزوا هذا المكان. اما أن يكونوا صعدوا إلى السماء أو دخلوا تحت الأرض.

فخاف أبو بكر واضطراب وهو في الغار إلى جنب النبي (ص) وأخذ يقول:

- سيدخلون الغار ويأخذوننا.

فقال له النبي:

- ﴿لاَ تَحزَنْ إنَّ اللّهَ مَعَنا﴾(١٠٨).

كما ورد في القرآن الكريم. فأشار النبي إلى شجرة كانت على قرب الغار فجاءت وسدّت فتحته، وجاءت العنكبوت فنسجت على باب الغار، وأتت حمامة فوضعت بيضة قرب باب الغار وجلست عليها.

وتقدم المشركون حتى وصلوا على مسافة عشرين قدماً من الغار فنظروا فيه فرأوا خيوط بيت العنكبوت تغطي بابه والحمامة جالسةً على بيضتها وادعة مطمئنة، فانصرفوا وعادوا بخفي حنين.

وبعد ثلاثة أيام، خرج النبي من الغار وخرج معه رفيق سفره وتوجهوا

---

(١٠٨) سورة التوبة آية ٤٠.

صوب المدينة. وفي هذه الأثناء فكر رجل يدعى (سُراقَة بن مالك بن جشعم) في البحث عن النبي لنيل الجائزة الثمينة. فركب جواده وتتبع أثر النبي (ص)، وبعد مسيرة طويلة شاهد رسول الله فقال النبي (ص):

ـ اللهم اكفي شر سراقة بما شئت.

فساخت قوائم فرسه، فثنى رجله ثم اشتدّ فقال:

ـ يا محمد! إني علمت أن الذي أصاب قوائم فرسي إنما هو من قبلك فادع الله أن يطلق لي فرسي. فلعمري ان لم يصبكم مني خير لم يصبكم مني شر.

فدعا رسول الله (ص) فأطلق الله (عزَّ وجلَّ) فرسه فعاد في طلب الرسول حتى فعل ذلك ثلاث مرات، كل ذلك ورسول الله يدعو الله فتأخذ الأرض قوائم فرسه، فلما أطلقه في الثالثة قال:

ـ يا محمد! هذه إبلي بين يديك فيها غلامي، فإن احتجت إلى ظهر أو لبن فخذ منه، وهذا سهم من كنانتي علامة، وأنا أرجع فأرد عنك الطلب. فقال (ص):

ـ لا حاجة لنا بما عندك.

وواصل النبي ورفيقه سيرهما فشاهدا في الطريق رجلاً، فسأله النبي عن اسمه فقال:

ـ بريدة.

فتفاءل النبي خيراً وقال:

ـ بَرَد أمرُنا.

ثم سأله (ص):

ـ ومن أي قبيلة؟

أجاب الرجل:

ـ من بني أسلم.

فقال النبي (ص):

ـ سَلِمْنا.

ثم تكلم النبي (ص) دقائق مع الرجل ودعاه إلى الإسلام، وكان تأثير كلام النبي كبيراً بحيث أن بريدة أسلم من فوره، وفيما بعد أسلم من قبيلته سبعون رجلاً. وحينذاك قال بريدة لرسول الله (ص):

ـ لا يليق بك يا رسول الله أن تذهب إلى المدينة هكذا. إئذن لي أن أكون حامل لوائك.

فأجابه النبي (ص):

ـ لك ما تريد.

فنزع بريدة عمامته ووضعها على رأس خشبة وصنع منها لواءً وتقدم يمشي بها أمام رسول الله (ص)، وبعد مضي عدة أيام وصل النبي ورفاقه خيمة امرأة تُدعى أم معبد. فقال لها:

ـ هل لديك ما تطعمينا به؟

أجابت المرأة:

ـ لقد خرج زوجي يرعى الأغنام في الصحراء ولم يبق لدي سوى نعجة مريضة لا تدر لبناً.

فقال النبي (ص):

ـ أتأذنين لي بأن أحلبها.

قالت أم معبد:

ـ أجل، بيد إنها مريضة ولا تدر لبناً.

فذهب رسول الله (ص) صوب النعجة وبمجرد أن مسَّت يده ثدي النعجة شفيت من مرضها وامتلأ ضرعها لبناً فحلبها النبي وشبع الجميع من لبنها مع ذلك زاد عن حاجتهم من اللبن مقدار كبير. وعاشت تلك النعجة ثمان عشرة سنة بعد ذلك وكان ثديها مليئاً باللبن على الدوام.

ثم إن النبي أراد أن يتوضّأ فانتحى جانباً ومعه شيء من الماء، وجلس عند كومة من الأشواك النابتة في التراب، وقد تيبست، وبمجرد أن سقط ماء وضوء النبي تحت تلك الشجرة اليابسة اخضرّت وتمت وأنبتت ثمراً جنياً، فكان كل من يأكل من ثمر تلك الشجرة وهو مريض يشفى من علته، وكل من يأكل من ثمارها وهو جائع أو ظامىء يشبع ويرتوي جداً. وبقيت تلك الشجرة هكذا حتى استشهد الإمام الحسين (ع) فيبست وتلفت.

وعلى أية حال، فقد ودّع النبي وصحبه تلك المرأة وواصلوا سيرهم، وعندما عاد زوج أم معبد إلى منزله ورأى شفاء النعجة واخضرار شجرة الشوك أسلم على الفور وأسلم تبعاً له أفراد قبيلته كلهم.

وبعد عدة أيام من السير وصل النبي (ص) إلى (قبا) - وهي من ضواحي المدينة ـ رفض دخول المدينة وقال:

ـ لا أدخل المدينة حتى يأتي ابن عمي علي بن أبي طالب.

وفي مكة. أدى أمير المؤمنين أمانات الناس المودعة عند النبي (ص) وجاء بالفواطم وهن (فاطمة بنت رسول الله، وفاطمة بنت أسد أم علي وزوجة عم النبي (ص)، وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب، وفاطمة بنت حمزة) وأم أيمن.

وفي الطريق، تحمل الإمام علي (ع) المشاق وعانى من المتاعب والأذى، فقد لحق به المشركون وأرادوا أن يقتلوه، فبارزهم وقتل بمفرده عدداً منهم، وبعد عدة أيام من الجوع والعطش والتعب والعناء والقتال مع المشركين ورد قبا وأسرع للحضور عند النبي (ص).

وحين قدم علي ومعه النساء احتضنه رسول الله (ص) وبكى رحمة به لما شاهده عليه من آثار التعب والارهاق، إذ تفطرت قدماه فقد كان

يسير ليلاً ويختفي نهاراً، فتفل الرسول بيده ومرّ بها على قدميه فشفيتا بإذن الله تعالى، ثم توجّه النبي ومعه علي (ع) والنساء والصحابة إلى المدينة فدخلوها بعد أن كان دخلها أبو بكر قبلهم بأيام[١٠٩].

(٨٣)

خير الحافظين

خرج النبي (ص) على رأس سرية من المسلمين ليقاتلوا فئة من المشركين في منطقة تدعى (ذي أمر). ولما رأى المشركون قوى المسلمين هربوا ولاذوا بجبل قرب تلك المنطقة، فعسكر هناك النبي والمسلمون يتربصون بهم.

وفي هذه الأثناء أخذ المطر يهطل فتبلّلت ملابس النبي (ص) فأراد أن يجففها، فجاء إلى شجرة وخلع ملابسه وأخذ ينشرها على أغصان تلك الشجرة كي تجف، وانتحى جانباً فاضطجع لينام بعض الوقت.

وكان المشركون يراقبون القوات الإسلامية والنبي، فخطرت في أذهانهم فكرة شيطانية، إذ قرر رئيس المشركين أن يقتل النبي أثناء نومه، فاستل سيفه وجاء فوقف على رأس رسول الله وشهر السيف في وجهه قائلاً:

ـ يا محمد من يعصمك مني؟

فقال (ص):

ـ الله تعالى.

فرجف وارتعدت فرائصه وسقط السيف من يده على الأرض فالتقطه النبي بسرعة وشهره في وجه رئيس المشركين قائلاً:

ـ والآن من يعصمك مني؟

فقال:

---

(١٠٩) القيامة والقرآن/ ص ١٧٨ ـ ١٨٨.

ـ لا أحد.

وأسلم ذلك الشخص واعتذر من النبي ثم عاد إلى قبيلته ودعاهم إلى الإسلام فأسلموا(١١٠).

(٨٤)

كيد أبي جهل وأحابيله

يوماً قرر أبو جهل والوليد بن المغيرة أن يقتلوا رسول الله (ص) في المسجد. وعندما جاء النبي إلى المسجد وانهمك في صلاته بعث أبو جهل وعصابته الوليد لقتله (ص). وعندما وصل الوليد إلى مصلى النبي بدأ يسمع صوته لكنه لا يراه، ولذلك عاد إلى العصابة وأخبرهم بذلك، بيد انهم لم يصدقوا قوله، وجاؤوا معاً إلى المسجد لكي يعرفوا الأمر عن كثب.

ودخلوا المسجد فسمعوا صوت النبي وهو يصلي لكنهم ظلوا يتلفتون فلا يرونه، فظلوا يفتشون عنه في المسجد إلا أنهم لم يعثروا عليه ويئسوا من ذلك فعادوا من حيث جاؤوا.

ومرة أخرى رفع أبو جهل صخرة وأراد أن ينهال بها على أم رأس النبي أثناء سجوده (ص)، لكنها لصقت بيده ولم تبرحها وطفق يحاول فصلها عن يده فلا يستطيع، فاستنجد بالنبي (ص) كي يعينه على رميها من يده. وعندما فرغ الرسول من صلاته دعا الله تعالى أن يفصل الصخرة عن يده فانفصلت.

وبعد فترة، سوّلت لأبي جهل نفسه أن يهم بقتل النبي (ص) فرفع صخرة كبيرة واقترب من النبي وأوشك أن يرميها على النبي فارتعدت فرائصه وارتجف وارتعش جسده فتقهقر.

فسأله رفاقه عن ذلك فقال:

---

(١١٠) البحار/ ج ١٨/ ص ٥٣/ ط. مؤسسة الوفاء ببيروت ـ المترجم.

ـ حال بيني وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه فخفت أن أتقدم[١١١].

وفي رواية أخرى أن النضر بن الحارث هم أن يغتال النبي فارعد وعاد قائلاً لأبي جهل:

ـ كنت طمعت أن أغتال محمداً فلما قربت منه فإذا أساود تضرب بأنيابها على رأسه فاتحة أفواهها[١١٢].

* * *

(٨٥)

اللعن بدل السلام

عندما كان النبي (ص) يعيش في المدينة كان اليهود يمرون به فيقولون له (السام عليكم) بدلاً من (السلام عليكم). و(السام) في اللغة: الموت والهلكة والتلف والمرض. وهكذا فإنهم كانوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويلعنون النبي متظاهرين بالتحية بلفظ قريب منها لفظاً ومعاكس لها تماماً.

وكان النبي يسمع ما يقوله اليهود له لكنه يتحمل ذلك ويعاملهم برحمته ورأفته المعهودة ولا يبدي تذمراً أو انزعاجاً ولا يعاقبهم على سوء عملهم.

وكلما كان أحد اليهود يقول للنبي (السام عليك) يجيبه النبي (ص) (عليك). واتفق يوماً أن كانت عائشة عند رسول الله (ص) فمر به يهودي وقال (السام عليكم) فقال النبي (عليك).

ثم مر به يهودي آخر فقال مثل الأول وأجابه النبي (عليك). ثم مر

---

(١١١) القيامة والقرآن/ ص ٢٣٦.

(١١٢) البحار/ ج ١٨/ ص ٦٦/ ط. مؤسسة الوفاء ببيروت ـ المترجم.

ثالث فقال مثل صاحبيه فأجابه النبي بمثل ما أجابهما.

فغضبت عائشة فقالت:

ـ عليكم السام والغضب واللعنة يا معشر اليهود، يا اخوة القردة والخنازير.

فقال لها رسول الله (ص):

ـ يا عائشة إن الفحش لو كان ممثَّلاً لكان مثال سوء، وان الرفق لم يوضع على شيء قط إلاّ زانه، ولم يرفع عنه قط إلا شانه.

قالت:

ـ يا رسول الله أما سمعت إلى قولهم: السام عليكم؟

فقال (ص):

ـ بلى، أما سمعت ما رددت عليهم؟ قلت: عليكم. فإذا سلّم عليكم مسلم فقولوا: السلام عليكم. وإذا سلم عليكم كافر فقولوا: عليك[١١٣].

* * *

(٨٦)

الجنة قرب النبي (ص)

بنى النبي إثر دخوله المدينة مسجده وكان صغيراً وبسيطاً ولم يكن فيه رواق أو ايوان (مقصورة أو غرفة مخصصة للإقامة) فكانت جدرانه من جذوع النخل. وفي إحدى زواياه رصيف يجلس عليه الفقراء ويأوون إليه ليلاً فينامون فيه، وكان يدعى (الصفّة). فكان النبي (ص) يجلس في النهار على الصفّة ويحيط به أصحابه.

ونتيجة للمحبة والمودة اللتين كانتا في صدور المسلمين تجاه

---

(١١٣) القرآن وكشف السر/ ص ١٢٣.

شخص النبي (ص) كان كل واحد منهم يحاول التقرب منه والجلوس عنده، فكان من يظفر بمكان أقرب من غيره إلى النبي (ص) غير مستعد للتفريط به والسماح لغيره بإشغاله. انهم كانوا يرون ان الجنة الحقيقية هي قرب النبي وجواره ولهذا السبب فلم يراع بعضهم مشاعر بعضهم الآخر.

ويوماً كان النبي جالساً على الصُّفّة والصحابة يحيطون به، فدخل المسجد بعض البدريين وجاؤوا إلى الصُّفّة ليجلسوا بالقرب من النبي . وكان البدريون يحظون باحترام كبير آنذاك، لتضحياتهم وبسالتهم وتفانيهم في نصرة الإسلام. وسلموا على النبي (ص) وبقية الحاضرين، فرد النبي على سلامهم وحياهم الآخرون أيضاً لكن أيّاً منهم لم يتحرك عن مجلسه ولم يفسح المجال لجلوس البدريين بجوار النبي (ص).

ورأى رسول الله (ص) أن الجالسين عنده قد مكثوا طويلاً وتمتعوا بذلك كثيراً ويجدر بهم التنحّي جانباً كي ينال البدريون نصيبهم أيضاً. فاضطر أن يدعو المسلمين بأسمائهم واحداً تلو الآخر كي يفسحوا المجال للبدريين وخصوصاً أن بعض هؤلاء كانوا من العلماء فضلاً عن دورهم البطولي في معركة بدر الكبرى.

وكان ثمة عدد من المنافقين الذين لا يهمهم سوى تسقط العثرات وتتبُّع الاشكالات واختلاق الفتن، فطفقوا يثيرون اللغط ويشوّهون سمعة النبي. فنزلت آية قرآنية تؤيد عمل النبي هذا، فقال الله عزَّ وجلَّ(١١٤):

﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذا قِيلَ لَكُم تَفَسَّحُوا فِي المجالِسِ فَافسَحُوا يَفسَحِ اللَّهُ لَكُم وَإذا قِيلَ انشزُوا فانْشزُوا يَرفَعِ اللَّهُ الَّذينَ آمنوا مِنكُم والَّذينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجاتٍ واللَّهُ بما تَعمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(١١٥).

---

(١١٤) سورة المجادلة/ ١١.

(١١٥) القرآن وكشف السرّ/ ص ١٥٠.

(٨٧)

حنـين الـجذع

يوجد في مسجد النبي بالمدينة عمود يعرف بـ (الحنّانة) وذكروا ان علة تسميتهُ بذلك هو انه كان في مكان هذا العمود جذع نخلة كان النبي يستند إليه عندما يخطب في المسلمين بعد إقامة الصلاة.

وكانت هناك امرأة مؤمنة تأتي إلى المسجد كل يوم، فقالت للنبي يوماً:

ـ لقد ضعفت يا رسول الله ولا تقوى على الوقوف بعد الصلاة لتخطب الناس. وإن ابني نجار فأذن له أن يصنع لك منبراً تجلس عليه.

فوافق النبي (ص) على ذلك، وقالت المرأة لابنها أن يصنع المنبر فصنعه فكان ذا ثلاثة مراق، وجاء به إلى المسجد ووضعه في المكان المخصص له. وفي ذلك اليوم وبعد أن أقام النبي (ص) وفرغ منها توجه إلى المنبر، وما أن مشى نحوه ومرّ قرب ذلك الجذع حتى سمع أنيناً ينطلق من الجذع وحنيناً يرق له القلب وآهة حرّى مفعمة بالحنين لشخصه الكريم بحيث سمعه المسلمون كلهم وأشفقوا عليه، وتأثر النبي نفسه أيضاً.

وبعد أن رقى (ص) المنبر نزل منه فاحتضنه فسكن من الحنين، ثم قال (ص): ـ أيها الجذع لا تحزن، فقد سألت الله أن يجعلك من شجر الجنة[١١٦].

فسكن حنين الجذع ولم يئن بعد ذلك، ويقال انه بقي في المسجد على حاله حتى جاء بنو أمية إلى الحكم فهدموا المسجد وقلعوا ذلك الجذع من مكانه[١١٧].

---

(١١٦) معارف من القرآن/ ص ٨٢.

(١١٧) البحار/ ج ١٧/ ص ٣٦٥.

(٨٨)

عودة الشمس بعد مغيبها

بينا رسول الله يوماً واضعاً رأسه في حجر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) إذ نام (ص) ولم يكن الإمام قد صلى العصر. ولفرط تعب رسول الله فقد طال نومه ساعات فبقي الإمام متردّداً أيوقظ رسول الله من نومه أم يفوت وقت فضيلة صلاة العصر وهو يشاهدها تقترب من المغيب فتريث في الأمر ولم يوقظ النبي ليصلي (ع) العصر في أول وقتها.

وعندما انتبه رسول الله من نومه ذكر له أمير المؤمنين شأن صلاته وعدم رغبته في ازعاجه من نومه فقال (ص):

ـ يا علي قم للشمس فكلِّمها فأنها تكلّمك، وقل لها تعود لتصلي أول وقت صلاة العصر.

فتوجه أمير المؤمنين نحو الشمس وقال:

ـ السلام عليك يا خلق الله، ارجعي بإذن الله لأصلي صلاة أول الوقت.

فأجابته الشمس:

ـ وعليك السلام يا أول يا آخر، يا ظاهر يا باطن، يا من هو بكل شيء عليم.

ثم عادت إلى مكانها وقت العصر وصلى الإمام صلاته، فلما فرغ غربت وجاء وجلس عند النبي (ص) فقال رسول الله:

ـ يا علي تخبرني أو أخبرك؟

فقال الإمام (ع):

ـ منك أحسن يا رسول الله.

فقال النبي (ص):

ـ اما قولها لك (يا أول) فأنت أول من آمن بالله.

وقولها (يا آخر) فأنت من يعاينني على مغسلي.

وقولها (يا ظاهر) فأنت آخر من يظهر على مخزون سرّي.

وقولها (يا باطن)فأنت المستبطن لعلمي.

وأما (العليم بكل شيء) فما أنزل الله تعالى علماً من الحلال، والحرام، والفرائض والأحكام، والتنزيل والتأويل، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه والمشكل إلا وأنت به عليم. فلولا أن تقول فيك طائفة من أمتي ما قالت النصارى في عيسى لقلت فيك مقالاً لا تمرّ (بعده) بملأ إلاّ أخذوا التراب من تحت قدميك يستشفون به(١١٩).

* * *

(٨٩)

غزوة تبوك

عندما هاجم الروم ثغور الدولة الإسلامية الشمالية أمر النبي (ص) المسلمين بالاستعداد والتهيؤ والنفير للجهاد ورد خطر الروم. وكان المسلمون آنذاك في غاية الفقر والعوز وقد آن أوان جني التمر فكان المسلمون يعقدون عليها الأمر في تحسين أوضاعهم واصلاح أمورهم المعيشية.

واستعد المسلمون وتحشدوا للجهاد وتأهبوا للتحرك نحو حشود الأعداء، لكنهم وبسبب الفقر الشديد لم يكونوا قادرين على المشاركة في الحرب، لفقدانهم السلاح والخيول والمؤن. وفي هذه الحال نزل قوله تعالى:

---

(١١٩) معارف من القرآن/ ص ١١٥. والجدير ذكره هنا أن هذا الحديث الشريف والمعجزة العظيمة رويا بصيغ وألفاظ كثيرة ذكرها المجلسي (ره) في البحار/ ج ٤١ (جبارة).

﴿آمِنُوا باللَّهِ ورسولِهِ وأنفقُوا ممّا جَعَلكُم مُستخلَفِينَ فيهِ فالَّذينَ آمنُوا مِنكُم وأَنفقُوا لَهُم أجْرٌ كَبِيرٌ﴾[١٢٠].

فبادر كل الذين يتمتعون بثروة أوفر من غيرهم وجاؤا بأموالهم وعرضوها على النبي لتجهيز الجيش الإسلامي، ومع ذلك فإنها لم تكف في تجهيز المقاتلين كلهم فبقي عدد كبير منهم دون سلاح ولا مؤونة.

وفي تلك الأيام جاء نفر من المسلمين إلى رسول الله باكين وقالوا له:

ـ يا رسول الله، نرغب أن نسير في ركابك، لكننا لا سلاح لدينا ولا ظهر ولا مال ولا مؤونة، فماذا نصنع.

فقال (ص):

ـ لا أجد ما أحملكم عليه.

فعاد هؤلاء إلى منازلهم والحزن والأسى يعلوهم. فأنزل الله تعالى في حقهم:

﴿لَيسَ على الضُّعفَاءِ وَلاَ على المرضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لا يَجدونَ ما يُنفِقونَ حَرجٌ إذا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَاعَلَى المُحسِنِينَ من سَبِيلٍ واللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَلاَ عَلى الَّذينَ إذا مَا أتَوكَ لِتَحملَهُم قُلتَ لا أجِدُ مَا أحمِلُكُم عَليهِ تَولَّوا وَأعينُهُم تَفيضُ مِنَ الدَّمعِ حَزَناً ألاّ يَجِدُوا ما ينفِقُونَ﴾[١٢١].

وأخيراً، تهيّأ جيش المسلمين للخروج وأمامه وعلى رأسه سار الرسول الأكرم (ص). ومن جملة من خرج في الجيش: أبو ذر، الذي كان

---

(١٢٠) سورة الحديد/ ٧.

(١٢١) سورة التوبة/ ٩٢.

فقيراً جداً ومع ذلك تمكن من اعداد جمل ضعيف وهزيل وركب عليه ليلحق بالجيش.

وفي أثناء الطريق، تعب جمل أبي ذر وتأخر عن الركب وكلّما حاول أبو ذر حثه على المسير لم يتحرك من شدة التعب، فترجل منه وتركه في البادية وحمل على عاتقه المؤن والزاد والسلاح وأخذ يركض في اثر جيش المسلمين.

وكان الجو حاراً قائظاً والشمس ساطعة النور شديدة الحر في كبد السماء تكاد تهلك السائر تحتها. وكان أبو ذر يعاني الحر والعطش والارهاق والجوع لكن ذلك كله لم يثن عزيمته أو يضعف إيمانه وظل يواصل السير وحيداً في وسط الغلاة كي يلحق ـ مهما بلغ الأمر ـ بركب النبي الأكرم (ص).

وفي هذه الأثناء شاهد أبو ذر سحابة في جانب من السماء فظن أن الأرض التي تحتها قد أمطرت، فانعطف عن طريقه وتوجه إلى تلك الناحية أملاً في ارواء ظمئه. وحينما وصل هناك رأى صخرةً كبيرة اجتمع قربها شيء من الماء. فأسرع نحوه وغرف منه بيده وذاق قطرات قليلة فوجدها عذبة باردة، فتذكر فجأة رسول الله (ص) وامتنع من شرب الماء، واكتفى بملء قربة كان يصطحبها معه ثم عاد فواصل طريقه وهو يحث الخطى.

وعندما افتقد المنافقون أي أثر لأبي ذر (رض) أخذوا يشيعون الأراجيف وقالوا:

ـ يا رسول الله لقد تخلف أبو ذر عن الجهاد وعاد إلى المدينة خوفاً وجبناً.

فقال لهم (ص):

ـ إن يكُ فيه خير فسيُلحقه الله بكم.

وبعد برهة من الزمن لحق أبو ذر بركب رسول الله (ص) فرآه

المسلمون من بعيد، ولم يعرفوه في بداية الأمر، وقالوا:

- يا رسول الله، هذا رجل يسير وحده.

فقال رسول الله (ص):

- كن أبا ذر.

فلما نظروا إليه، قالوا: هو أبو ذر، فقال (ص):

- يرحم الله أبا ذر، ويموت وحده، ويُبعث وحده ويشهده جماعة من المؤمنين.

ثم بادر النبي فأعان أبا ذر على وضع احماله على الأرض فسقط مغشياً عليه من شدة العطش، فقال النبي للصحابة:

- اسقوا أبا ذر ماءً.

قال أبو ذر:

- إن لديّ ما يكفي من الماء.

فقال النبي:

- كان لديك ماء ولم تشرب منه.

فأجاب:

- أبي وأمي فداك يا رسول الله. رأيت صخرة تجمع عندها الماء ولما ذقت قطرات منه وجدت عذوبته وأحسست برودته فقلت لنفسي: لن اشرب الماء حتى يشرب منه رسول الله (ص).

فأثنى النبي على وفاء أبي ذر وامتدح مودته له ليكون نموذجاً وقدوة للآخرين. وعندما وصل جيش الإسلام إلى تبوك وجد أن جيش الروم قد غادرها بمجرد سماعه باقتراب جحافل جند الإسلام والزحف العسكري الحاشد مع النبي (ص)، وبالتالي فقد عاد المسلمون إلى المدينة ورايتهم خفاقة دون قتال[١٢١].

---

(١٢١) معارف من القرآن/ ص ١٧٤.

(٩٠)

الإيمان الفوري

في أوائل بعثة النبي الأكرم (ص) كان هناك شخص اسمه فضيل بن عمير، عُرف عنه أنه يعبد الأوثان ويقترف الفواحش والرذائل والانحرافات. كما أنه كان يوصف بالعداء لرسول الله والحقد الشديد عليه. ويوماً قرر أن يذهب إلى مكة ويفتك برسول الله غيلةً.

فتوجه إلى مكة وذهب بمجرد أن وصلها إلى المسجد الحرام. وفجأة شاهد النبي (ص) وجهاً لوجه فقال له رسول الله:

ـ هل أنت فضيل؟!

فأجابه:

ـ بلى.

قال النبي (ص):

ـ ماذا قصدت؟!

فأدرك فضيل أن النبي عرفه نيته فقال:

ـ جئت قاصداً الطواف بالبيت.

فقال النبي (ص):

ـ استغفر الله، وتب له، واعتصم به. إن الشيطان نفث في قلبك وأغراك بعمل لا يفعله إلا المتوحشون، وهو القتل.

فتسارعت دقات قلب فضيل وارتعدت فرائصه، وحينذاك قال فضيل:

ـ أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأنك رسول الله.

وآمن فضيل من فوره وحسن إسلامه[١٢٢].

---

(١٢٢) معارف من القرآن/ ص ٣٩٩.

لن أتراجع ولو أعطيت الشمس والقمر

عندما وصل الأمر الإلهي إلى النبي (ص) باعلان دعونه والجهر بها بين الناس أخذ الرسول يحقّر علناً أصنام المشركين وأوثانهم. واينما حل وارتحل (ص) وبأي شخص التقى فإنه يهين تلك الأصنام ويحقّرها. وحينما رأت قريش هذا الأمر من رسول الله ذهبوا لأبي طالب وقالوا له:

ـ يا أبا طالب! أكفف عنّا ابن أخيك فإنه قد سفّه أحلامنا، وسبّ آلهتنا وأفسد شبابنا وفرق جماعتنا.

فدعاه أبو طالب فقال:

ـ يا بن أخي إن القوم قد أتوني يسألونك أن تكف عن آلهتهم.

فقال (ص):

ـ يا عم لا أستطيع أن أعصي أمر ربي.

ويئست قريش من تراجع الرسول (ص) وعرفوا أنه ثابت على دينه ولا يمكن أن يتراجع فاجتمعوا ـ مرة أخرى ـ وجاؤوا أبا طالب وقالوا له:

ـ يا أبا طالب ان كان ابن أخيك يحمله على هذا الفعل العدم (الفقر) جمعنا له مالاً فيكون أكثر من قريش مالاً.

فدعاه أبو طالب وعرض عليه ذلك فقال له رسول الله (ص):

ـ يا عم ما لي حاجة في المال فأجيبوني تكونوا ملوكاً في الدنيا وملوكاً في الآخرة وتدين لكم العرب والعجم.

وجاءت قريش مرة أخرى إلى أبي طالب وقالوا له:

ـ إن ابن أخيك يشتم آلهتنا.

وطلبوا إليه أن يقنعه بترك التعرُّض لأصنامهم والدعوة إلى الله الواحد الأحد. فنقل أبو طالب ما قالوا وسأله عن رأيه، فقال (ص):

ـ والله يا عماه لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على

أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته.

فقال أبو طالب (رض):

ـ إذهب يا بن أخي فقل ما أحببت فو الله لا أسلِمُكَ لشيء أبداً.

ومرة أخرى، ذهب عتبة وهو من زعماء قريش إلى رسول الله (ص) وقال له:

ـ يا بن أخي إنك منّا حيث قد علمت من المكان في النسب وقد أتيت قومك بأمر عظيم،؛ فرقت به جماعتهم، فاسمع مني أعرض عليك لعلّك تقبل بعضها:

ان كنت تريد بهذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً.

وإن كنت تريد تشريفاً سوّدناك علينا فلا نقطع أمراً دونك.

وإن كنت تريد ملكاً ملّكناك علينا.

فرفض الرسول كل ذلك وراح يقرأ عليه سورة السجدة فانبهر عتبة وأعجب بما سمع، وعرف أن الرسول لا يطلب مالاً ولا جاهاً وإنما يدعو إلى الحق ويريد انقاذ البشرية من الضلال والفساد والظلم[١٢٣].

* * *

(٩٢)

ناكثو العهد

في السنة السادسة للهجرة جاء إلى النبي جمع من العرنيين وأسلموا على يده. وأقاموا مدة في المدينة المنورة ولازموا رسول الله (ص) لكن الجو لم يلائمهم فأصيبوا بالأمراض، فأمرهم النبي بالنزوح من المدينة

(١٢٣) معارف من القرآن/ ص ٤٦٣.

والذهاب إلى سفوح جبل (عير) والبقاء هناك مدةً وشرب حليب النوق حتى يستردّوا سلامتهم.

وغادرت هذه الثلة من العرنيين المدينة واستقرت عند جبل (عير) وظلوا فيه مدة كي يستعيدوا سلامتهم. لكنهم ارتدوا في أحد الأيام عن الإسلام بأجمعهم وسيطروا على خمس عشرة ناقة من نوق رسول الله (ص) وتحركوا نحو ديار قبيلتهم.

وعند وصول خبرهم إلى المدينة خرج في أثرهم راعي ابل النبي - أو غلامه - (يسار) وجمع من فرسان المسلمين فلما وصلوا إليهم قاتلوهم، لكن عدد المرتدين كان كبيراً والتعب قد أرهق المسلمين فانغلب المسلمون وسقط عدد منهم أسرى بيد المرتدين فيما قتل بعضهم الآخر منهم (يسار) راعي إبل النبي، حيث مثلوا به فقطعوا يديه ورجليه وغرزوا الشوك في لسانه وعينيه وقتلوه صبراً.

وعندما بلغ النبي (ص) هذا الخبر جهز سرية وعقد اللواء (كُريز) فخرج في أثرهم مغذّاً، وعندما لحق بهم حاصرهم وأسرهم وأوثقهم كتافاً وجاء بهم إلى النبي (ص) فنزل قوله تبارك وتعالى:

﴿إنّما جَزَاءُ الَّذينَ يُحارِبُونَ اللَّهَ ورسُولَهُ وَيَسعَونَ في الأرضِ فَسَاداً أن يُقتَّلُوا أو يُصَلَّبُوا أو تُقَطَّع أيْدِيهِمْ وأَرْجُلُهُم مِن خِلاَفٍ أو يُنْفَوا مِنَ الأرضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزيٌ في الدُّنيَا وَلَهُمْ في الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[١٢٤].

فأمر رسول الله بقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم لكي لا يفكر غيرهم بخداع المسلمين وغدرهم ويكونوا عبرةً للآخرين[١٢٥].

* *

(١٢٤) سورة المائدة/ ٣٣.

(١٢٥) الذنوب الكبيرة/ الجزء الثاني/ ص ٢١١.

(٩٣)

مسجد ضرار

كان أبو عامر[١٢٦] أحد القساوسة والرهبان المسيحيين في (المدينة) ويحظى باحترام أهل يثرب وتقديرهم. فلما هاجر إليها النبي الأكرم وبنى فيها مسجداً فأخذ الناس يأتون زرافات ووحداناً ويعلنون دخولهم في الإسلام ويتخذون من مسجد النبي مركزاً ومنطلقاً لنشاطهم وأعمالهم.

وعندما رأى أبو عامر انفضاض الناس عنه وانشغالهم بالنبي الأكرم (ص) والتفافهم حوله ثارت في نفسه لواعج الحسد والغيرة واشتد في قلبه غريزة حب الرئاسة والجاه. والعجيب أنه كان يبشر الناس في يثرب ببشارة الإنجيل القائلة بمجيء (أحمد)، بيد أنه أخذ يناوىء النبي ويعاديه بعد دخوله (المدينة).

ويوماً ذهب إلى رسول الله (ص) وسأله:

ـ ما هذا الدين الذي جئتَ به؟

فقال (ص):

ـ جئتُ بالحنيفية دين إبراهيم.

قال أبو عامر:

ـ فأنا عليها.

فقال النبي (ص):

---

(١٢٦) أبو عامر هو عبد عمرو بن صيفي بن النعمان من الأوس، وأحد بني ضبيعة بن زيد، وهو وأبو حنظلة غسيل الملائكة الذي استشهد يوم أحد، وكان قد ترهّب في الجاهلية ولبس المسوح وكان يقال له: الراهب، وقد قال النبي بعد خروجه مع بضعة عشر رجلاً من قومه مفارقاً الإسلام (لا تقولوا: الراهب ولكن قولوا: الفاسق). (المترجم؛ نقلاً عن السيرة النبوية لابن هشام/ ج٢/ ص ٢٣٤ و٢٣٥ والميزان في تفسير القرآن/ ج ٩/ ص ٣٩٢).

ـ انك لستَ عليها.

فقال أبو عامر:

ـ بلى (ولكنك) أدخلتَ يا محمد في الحنيفية ما ليس منها.

فقال (ص):

ـ ما فعلت، ولكني جئت بها بيضاء نقية.

فقال أبو عامر:

ـ الكاذب أماته الله طريداً غريباً وحيداً.

معرّضاً برسول الله (ص)، أي أن ما جئتَ بها كذلك.

فأجابه النبي (ص):

ـ فمن كذب فعل الله تعالى ذلك به.

فغضب أبو عامر وخرج من عند الرسول ساخطاً عليه.

وعندما رأى المنافقون تمركز أهل المدينة في مسجد النبي وتردّدهم عليه كثيراً بدأوا يزرعون بذور الفرقة، واتخذوا لنياتهم الفاسدة وأعمالهم الخبيثة ستاراً وهو بناء مسجد آخر هدفه صرف أنظارالناس عن مسجد النبي وزرع الانقسام والتشرذم بين الناس، وجاؤوا لأبي عامر واختاروه لرئاسة ذلك المسجد. فأنزل الله تبارك وتعالى آيات في ذلك، تبدأ بالآية الكريمة:

﴿وَالَّذينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِراراً وَكُفراً وتَفْريقاً بَينَ المُؤمِنينَ وَإرصَاداً لِمَن حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبلُ وَلَيَحلِفُنَّ إنْ أرَدْنَا إلاّ الحُسنَى وَاللَّهُ يَشهَدُ إنَّهُم لَكَاذِبُونَ * لا تَقُمْ فِيهِ أبَداً لَمسْجِدٌ أسِّسَ علی التَّقْوَى مِنِ أوّلِ يَوم أحَقُّ أنْ تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أن يَتَطَهَّرُوا واللَّهُ يُحِبُّ المطَّهِّرينَ * أفَمَن أسَّسَ بُنيانَهُ علی تَقوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوانٍ خَيرٌ أمْ مَن أسَّسَ بُنْيانَهُ علی شَفا جُرُفٍ هارٍ فانهار به في نار جهنّم والله

لا يهدي القوم الظالمين * لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبةً في قلوبهم إلاّ أن تقطّع قلوبهم والله عليم حكيم ﴾[*].

فمسجد أبي عامر وجماعته لم يكن إلا لمضارّة مسجد قبا ولتفريق المجتمعين فيه، ولذلك سمي بـ (مسجد ضرار). ولهذا فقد أمر النبي بهدمه وتخريبه، فذهب ثلة من المؤمنين وحاصروه وخربوه.

اما أبو عامر فإنه هرب بعد أن فتح النبي مكة إلى الطائف فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام وخرج إلى الروم وحاول تأليب أهل الشام - وكانوا من المسيح واليهود آنذاك - ضد المسلمين، فبقي بها حتى مات طريداً غريباً وحيداً[١٢٧].

* * *

(٩٤)

انشقاق القمر

يوماً جاء أبو جهل ويهودي إلى النبي الأكرم (ص) وقال بوقاحة:

- يا محمد! حتام تبقى مستمراً في التجاسر على الآلهة؟ انك إن لم تأتنا بما نريد من الدلائل والآيات، على نبوتك فسنقتلك.

فقال النبي (ص):

- سآتيكم بما تريدون.

فاستشار أبو جهل ذلك اليهودي وقال له:

(*) ادخلنا نص الآيات في المتن لكونها تخص القصة وهي الآيات ١٠٧ - ١١٠ من سورة التوبة - المترجم.

(١٢٧) معارف من القرآن/ ص ٤٩٩.

ماذا ترى أن نطلبه من محمد من أمر يعجزه الاتيان به.

فقال اليهودي:

ـ إن طلبتم منه شيئاً مما هو على الأرض وفره لكم بسحره، لكن سحره لا يؤثر بما في السماء.

فقال أبو جهل:

ـ إن شققت القمر نصفين يا محمد فإننا سنؤمن بك ونبايعك.

وطلب النبي إلى أبي جهل موثقاً فأعطاه واجتمع أربعة عشر من زعماء قريش وقالوا ان شق محمد القمر آمنّا به.

فنزل جبرائيل على النبي (ص) وقال له:

ـ إن الله يقول: لقد سخّرنا لك الأفلاك والنجوم بأمرك وسنفعل ما تريده فيها.

فسرّ النبي (ص) لذلك، وعين موعداً للمعجزة وهو الليلة الرابعة عشرة من الشهر حيث يكتمل قرص القمر. وفي تلك الليلة صعد النبي (ص) جبل أبي قبيس ومعه عدد من المسلمين، كما صعده أبو جهل وبرفقته اليهودي وزمرة من المشركين، وبعد أن قطعوا على أنفسهم عهداً مؤكّداً ـ مرة أخرى ـ على أن يؤمنوا بنبوة رسول الله إن هو استطاع أن يفي بوعده، أشار النبي الأكرم إلى القمر بسبابته المباركة فانشق القمر نصفين[١٢٨].

وبقي نصفه في محله بينما ابتعد النصف الآخر عنه بحيث صار جبل حراء بين النصفين. فقال رسول الله لأبي جهل والمشركين واليهودي:

---

(١٢٨) وفي ذلك نزلت سورة من القرآن الكريم أولها: ﴿اقترَبَتِ الساعةُ وانشقَّ القَمرُ * وإن يَرَوا آية يُعرِضوا وَيَقُولُوا سِحرٌ مستمر * وكَذَّبُوا واتَّبعُوا أهواءَهُم وكُلُّ أمرٍ مُستَقَر...﴾ واشتهرت هذه القضية كثيراً (جبارة).

ـ هل ترون القمر منشقاً؟

أجابوا:

ـ نعم، نحن نراه نصفين، فأعده إلى وضعه السابق إن استطعت.

فأشار النبي ـ مرة أخرى ـ للقمر بسبابته فعاد النصف المنفصل إلى مثيله واتحدا مع بعضهما وعاد القمر إلى وضعه السابق. والتفت النبي إلى أبي جهل واليهودي وزمرة المشركين وطلب إليهم إعلان إسلامهم، فآمن اليهودي بنبوة رسول الله (ص) فوراً، اما أبو جهل وسائر المشركين فأصروا على ضلالتهم وامتنعوا عن الإيمان بالله ورسوله[١٢٩].

* * *

(٩٥)

الوساوس الشيطانية

متى أراد امرؤ أن يقوم بعمل من أعمال البر والخير كان الشيطان له بالمرصاد كي يحول دون قيامه بذلك العمل، وإذا ما تمكن الشخص من انجازه سعى الشيطان لتخريبه وافساده أو لادخال الغرور والرياء في نفس الشخص المحسن. وبالجملة فإن الشيطان يقف بالمرصاد دوماً لبني الإنسان.

فعندما أمر إبراهيم (ع) بذبح ابنه إسماعيل في سبيل الله كان عمره آنذاك يناهز المئة عام وابنه حوالي (١٣) عاماً. وكان إسماعيل يتمتع بجمال الصورة والجمال المعنوي وذا إيمان ومعرفة، ومحبوباً ـ إيما محبة ـ لدى أبيه وأمّه.

أخذ إبراهيم بيد ابنه الوحيد وأتى به إلى منى كي يقدمه قرباناً لله.

---

(١٢٩) حقائق من القرآن/ ص ٢٨.

ولما رأى الشيطان ذلك اضطرب وانهمك بشدة في حياكة الأحابيل وتدبير المؤامرات كي يحول دون قيام إبراهيم بذلك لأن انجاز إبراهيم ما طلب إليه يعني بلوغه مرحلة (الإمامة).

بادىء ذي بدء، ذهب الشيطان إلى هاجر ـ ام إسماعيل ـ وقال لها:

ـ رأيت شيخاً كبيراً يمسك بيد فتى ذاهباً به إلى مكان ما. فمن هو؟

أجابت هاجر:

ـ انه زوجي إبراهيم.

قال لها الشيطان:

ـ أتعلمين ماذا يريد أن يفعل بابنك؟ انه يريد أن يذبحه.

قالت هاجر:

ـ ان إبراهيم لم يؤذ أحداً قطّ فكيف يمكن أن يذبح ولده؟!

أجاب الشيطان:

ـ يظن أن ربّه أمره بذلك.

وعندما فطنت هاجر إلى أن إبليس يريد أن يغويها ويوسوس لها قالت:

ـ أيها اللعين. ابتعد عني، ان كان هذا أمر الله فلا بأس به ولا بد من تنفيذه.

وحين يئس الشيطان من خداع هاجر توجّه إلى إبراهيم وقال له:

ـ ماذا تريد أن تفعل؟

أجاب إبراهيم (ع):

ـ أريد أن أذبح إسماعيل.

فقال الشيطان معترضاً:

ـ انه لم يرتكب ذنباً.

فقال إبراهيم (ع):

ـ هذا أمر الله عزَّ وجلَّ.

قال الشيطان:

ـ ان أنت ذبحته فسيكون عملك سنّة ويتبعك فيها الآخرون.

فأجابه إبراهيم (ع):

ـ انني أنفّذ أمر الله سبحانه.

قال إبليس:

ـ ألا يوجد احتمال أن لا يكون ذلك أمر الله.

فأخذ إبراهيم حجراً ورمى به الشيطان. فيئس الشيطان من خداع إبراهيم وهرب بعيداً عنه وحاول هذه المرة أن يخدع إسماعيل.

كان إسماعيل (ع) يمشي خلف أبيه، فجاءه إبليس وقال له:

ـ أتعلم يا فتى ماذا يريد أبوك أن يصنع بك؟

أجاب إسماعيل (ع):

ـ لا.

قال الشيطان:

ـ انه يريد أن يذبحك.

فأجابه إسماعيل (ع):

ـ كيف يمكن أن يقدم أبي على هذا العمل؟

فقال الشيطان:

ـ يزعم أنه أمر الله.

فأجاب إسماعيل (ع):

ـ ان كان ذلك أمر الله فإن روحي فداء في سبيله.

وعندما رأى إسماعيل أن الشيطان لا يتركه وشأنه استنجد بأبيه واستعانه لدحر ابليس وقال (ع):

ـ ابتاه، من هذا الذي لا يدعني وشأني؟

فقال ابراهيم:

ـ انه الشيطان يا بني.

وحين عرف إسماعيل ذلك رفع حجراً بيده ورمى به إبليس اللعين[١٣٠].

* * *

(٩٦)

وفاء إبراهيم

أثنى القرآن الكريم على إبراهيم فقال:

﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾[١٣١].

فقد قطع إبراهيم على نفسه عهداً بان لا يستعين بغير الله عزَّ وجلَّ ولا يطلب شيئاً إلى غيره، وان لا يطرد فقيراً أو ينهره.

ويوماً جاء الملك مبعوثاً من قبل الله عزَّ وجلَّ وسلّم على إبراهيم (ع) وقال:

ـ انني مكلّف من قبل الله تبارك وتعالى بأن أمنح حلة الإمامة لمن يحبّه الله ويعتبره خليلاً له.

فسأله إبراهيم (ع):

ـ ومن هو هذا الشخص الذي أرسلت إليه؟

فأجاب الملك:

---

(١٣٠) الاستعاذة/ ص ١٠٨.

(١٣١) سورة النجم/ آية ٣٧.

ـ وما تريد منه؟

فقال إبراهيم (ع):

ـ أريد أن أعرف حبيب الله وأتبرك بتراب قدميه فأكتحل به.

قال الملك:

ـ إنك أنت حبيب الله وخليله. وانني مكلّف من قبل الله بأن أخبرك أنك (خليل الرحمن).

فسأله إبراهيم (ع):

ـ لأي سبب شرّفني الله بهذا اللقب.

أجاب الملك:

ـ لعدة أسباب:

الأول: إنك وفيت بعهدك فلم تطلب شيئاً إلى أحد غير الله.

والثاني: إنك لم تطرد الفقراء عن باب دارك.

وكان إبراهيم قد أمر من قبل الله بأن يحتفي بالضيف ويرعاه ويرحب به عندما يأتيه. ولذلك صار ديدنه أن إذا لم يأته ضيف يوماً من الأيام فإنه يخرج باحثاً عن ضيف ويمتنع عن تناول طعامه حتى يعثر على امرىء يشاركه الأكل. وكان منزل إبراهيم خارج المدينة، فكان يغادره ويمشي مسافة فرسخ كي يعثر على شخص يستضيفه، فإن لم يجده فإنه يصوم ذلك اليوم.

ومن وفاء إبراهيم بعهده أنه عندما ناهز عمره التسعين عاماً رزقه الله طفلاً سماه (إسماعيل). وبعد ذلك أمره تبارك وتعالى أن يترك امرأته (هاجر) وابنه إسماعيل في مكة ويغادرها وحيداً. وكانت مكة آنذاك منطقة جافة وصحراء قاحلة خالية من السكان.

وأطاع إبراهيم الأمر الإلهي وجلب امرأته وابنه إلى مكة ولم يخلف لهما سوى قربة ماء، وبعد ذلك رفع يده بالدعاء قائلاً:

﴿رَبَّنا إنّي أسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتي بِوادٍ غَيرِ ذي زَرعٍ عِنْدَ بَيتِكَ المحرَّمِ رَبَّنا لِيُقيمُوا الصَّلاةَ فَاجعَل أفئِدَةً مِن النّاسِ تَهوِي إلَيهِم﴾(١٣٢).

ثم ترك (ع) زوجته وطفله الصغير وحيدين في تلك الفلاة وذهب.

ومن مصاديق وفاء إبراهيم (ع) بعهده أنه كان عنده زوجة أخرى اسمها (سارة) وكانت عاقراً وسيئة الخلق. وقد أمره الله بمداراتها فأطاع.

ومضت سنة على ترك إبراهيم زوجته هاجر وابنه إسماعيل في الفلاة فذهب إلى سارة وقال لها:

ـ أتأذنين بأن أذهب لزيارة هاجر وإسماعيل.

فأجابته:

ـ آذن لك بذلك بشرط أن لا تخرج رجلك من ركاب فرسك وأن تعود فوراً بعد أن تراهما.

وقد وفى إبراهيم بعهده لها ولم يترجّل من مركبه عندما رآهما وعاد من حيث أتى. ولم يكن وفاؤه بعهده هذا إرضاءً لسارة بل طاعةً لله (تبارك وتعالى) الذي أمره بمداراة سارة ومودّتها.

ومن جملة صور وفائه بالعهد أنه عندما ألقي في النار التي تبلغ مساحتها فرسخ مربع، هبط عليه الأمين جبرائيل وقال له:

ـ ان كانت لك عندي حاجة فقل لي ما هي كي أقضيها.

فأجابه إبراهيم (ع):

ـ امّا لك فلا، واما إلى الله فنعم، ولن أطلب شيئاً من غير الله قطّ.

---

(١٣٢) سورة إبراهيم/ ٣٧ (في الأصل: إبراهيم/ ٤٠).

ومن ذلك أيضاً؛ ان الله تبارك وتعالى أمره بذبح ولده إسماعيل، فلم يتأخر أو يتردد لحظة في تنفيذ أمر الله، فوضع السكين على رقبة ابنه لكنها لم تحتزّه، فأصابه حزن من ذلك وقال:

ـ ربما لا يريد الله أن يتقبل مني هذا القربان.

فأتاه النداء من عند الله[١٣٣] (عزَّ وجلَّ) أنْ:

ـ قد قبلنا قربانك يا إبراهيم.

وبعث الله له بحمل سمين كي يذبحه بدلاً عن إسماعيل[١٣٤].

* * *

(٩٧)

الأناجيل الحالية

قبل مبعث نبي الإسلام محمد (ص) بالرسالة، بعث الله عيسى (ع) لهداية بني إسرائيل. فعندما بلغ سنّه ثلاثين عاماً اختاره الله للنبوة ونزل عليه الانجيل خلال ثلاث سنوات، وكان بدوره يبلّغ التعاليم السماوية للناس.

وكان له من الحواريين اثنا عشر شخصاً يمارسون التبليغ لدينه والترويج لتعاليمه. وفي تلك الفترة لم يتزوج عيسى (ع) بل انه لم يمكث ولم يسكن طويلاً في مكان واحد.

---

(١٣٣) قال تعالى في ذلك: ﴿وبشّرناهُ بغلامٍ حليم ۞ فلمّا بلغَ مَعهُ السعيَ قال يا بُنيَّ إنّي أرى في المَنامِ إنّي أذبَحُك فانظر ماذا ترى قَالَ يا أبَتِ افعَل ما تُؤمَر سَتَجِدُني إنْ شاءَ اللهُ مِن الصابِرينَ ۞ فَلمّا أسلَما وَتَلَّهُ للجَبينِ ۞ وَنَادَيناهُ أن يا إبرَاهِيمَ ۞ قَد صدَّقتَ الرؤيا إنّا كذلكَ نجزي المُحسنينَ ۞ إنّ هذا لَهوَ البلاءُ المُبينَ ۞ وَفَديناهُ بذبحٍ عَظيمٍ﴾ (الصافات/ ١٠١ ـ ١٠٧).

(١٣٤) المعراج/ ص ١٩١ وأوردنا الآيات لكونها تناسب المقام ـ المترجم.

وبعد ثلاث سنوات من رسالته ودعوته إلى الدين قرر اليهود أن يقتلوه. فخانه أحد حوارييه، واسمه يهودا، وتآمر مقابل مكافأة قدرها ثلاثون درهماً من الفضة.

ولذلك تمكن اليهود من اعتقاله وقرروا أن يصلبوه في اليوم التالي. ويقول المسيحيون أن عيسى قد صُلب بالفعل ودُفن بعد موته في بيت المقدس. وقد أحيي بعد ثلاثة أيام ودخل جهنم كي لا يدخلها أتباعه فيما بعد.

اما الانجيل الذي جاء به عيسى فقد أحرقه أعداؤه ودمروه. وبعد عشرات السنين بادر تلاميذ حواريي عيسى ـ الذي ورد اسمهم في التواريخ ـ لكتابة تعاليم المسيح التي يرغبون فيها والمواضيع التي يبغونها وزعموا أنها هي (الانجيل) وأطلقوا عليها هذا الاسم.

وبناء على ذلك فإن الانجيل الموجود اليوم ليس سماوياً ولا وحياً من الله وإنما هو من وضع البشر وتأليفهم. ولا يوجد في هذا العصر كتاب في الأرض كلها، منزّه عن التلاعب والتحريف والتصرف سوى القرآن الكريم.

وفيما يتعلق بعيسى فإن للقرآن فيه رأي آخر هو الرأي السديد والصائب طبعاً. فهو يقول:

﴿وقولهم إنّا قتلنا المسيحَ عيسى ابن مريمَ رسُولَ اللّهِ وما قتلُوهُ وما صَلَبوه ولكنْ شُبّه لهم وان الذين اختلفُوا فيه لَفِي شك منه ما لهم به من علم إلاّ اتّباع الظن وما قتلوه يقيناً * بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً﴾(١٣٥).

---

(١٣٥) سورة النساء/ ١٥٧ ـ ١٥٨.

ان المسيح حي يرزق، في هذا العصر، ومتى ما ظهر الإمام المهدي صاحب العصر والزمان (ع) فإنه يظهر ـ هو الآخر ـ بأمر الله (تبارك وتعالى) فيصلي خلف الإمام المهدي مؤتمّاً به، ويدعو المسيح إلى اتّباعه[١٣٦].

* * *

(٩٨)

معجزات موسى

عندما ادعى فرعون الربوبية في مصر وطفق يؤذي بني إسرائيل ويضطهدهم، اختار الله تعالى موسى بن عمران للنبوة وبعثه إلى فرعون وبني إسرائيل. وكان فرعون أمرأ مغروراً عنيداً وحاكماً باغياً ظالماً. وقد جاء موسى بعدة معجزات ليخيفه ويحمله على الإيمان بالله.

كانت أول معجزة أتى بها موسى عصاه. فعندما ألقى عصاه فإذا بها هي حية تسعى. وأول مرة ألقى فيها موسى العصا كانت في قصر فرعون، فصارت ثعباناً مبيناً وأوشكت أن تبتلع قصر فرعون، فتوسل بموسى أن يعيدها إلى حالتها الأولى، فأعادها (ع).

وظن فرعون أن موسى ساحر، ولذلك نظم سباقاً وتنافساً بينه وبين سحرة مصر. وفي اليوم المحدد لذلك جاء السحرة وألقوا حبالهم فإذا هي تتلوى كالحيات، وألقى موسى عصاه فإذا هي ثعبان عظيم فاغراً فاه، وبادرت إلى تلك الحبال فابتلعتها كلها، وهنا أدرك السحرة أن موسى نبي حقاً وليس ساحراً ولذلك فقد آمنوا به.

ومرة أخرى أمر فرعون بعض الجلاوزة بأن يسرقوا العصا أثناء نوم موسى، وحينما اقتربوا من العصا تحولت على الفور إلى حية وهاجمتهم،

---

(١٣٦) معارف من القرآن/ ص ٤٨٩.

فولوا هاربين وجاءوا فرعون فقالوا له:

- ان موسى نائم لكن صاحب العصا يقظ لا ينام.

والمعجزة الثانية من معاجز موسى هي يده البيضاء. فعندما كان موسى يضع يده في جيبه ويخرجها يسطع منها ضوء شديد منير كأنه ضوء القمر.

وذهب موسى إلى قوم فرعون كي يدعوهم إلى التحيد ونبذ الشرك ولكن أولئك القوم عاندوه ولم يؤمنوا به. وأخيراً طلب موسى من فرعون أن يدع بني إسرائيل وشأنهم، ويسمح لهم بمغادرة مصر معه، فرفض فرعون ذلك. وتذرع هامان وزير فرعون بأن بني إسرائيل إذا تركوا وشأنهم فإنهم يلتفّون حول موسى ويجتمعوا إليه ويأتمروا بأمره ويظهرون الطغيان في البلاد ويهددون حكم فرعون وسلطته.

وكانت المعجزة التالية لموسى: فيضان نهر النيل. فعندما وضع موسى عصاه في نهر النيل فاض وجرت سيول غطت أرض مصر وغمرت المياه المزارع والحقول ودمرت بيوت قوم فرعون وملئه، بيد أنها لم تصب ديار بني إسرائيل بسوء، وعندما ازداد البلاء وساءت الأوضاع بعث فرعون رسالة مضمونها انه إذا أوقفت تدفُّق المياه وعاد النهر إلى ما كان عليه فسأترك بني إسرائيل وشأنهم، فضرب موسى النهر بعصاه وتوقفت الفيضانات والسيول وعادت المياه إلى مجاريها.

وعندما رأى فرعون أن الأوضاع قد استتبّت لم يف بوعده ولذلك استعمل موسى معجزته الرابعة وهي أنه دعا الله فسلط عليهم الجراد، فغزا قوم فرعون عدد كبير من الجراد، فدمر محاصيلهم الزراعية وألحق بهم أضراراً فادحة، لكن بني إسرائيل لم يصابوا بسوء.

وعندما أحس فرعون بالعجز من جديد استنجد بموسى ورجاه أن

يرحمه، ووعده أن يطلق سراح بني إسرائيل ان عادت الأوضاع إلى طبيعتها فدعا موسى الله تبارك وتعالى كي يكشف عن مصر عذاب الجراد.

وفعلاً انكشفت الغمّة وزال الكرب، ومضت عدة سنوات دون أن يفي فرعون بوعده، وبقي يضطهد بني إسرائيل ويضيق عليهم.

وطرح موسى معجزته الخامسة، فدعا الله تعالى أن يعم قوم فرعون بالعذاب من جديد، فسلط الله عليهم القمَّل، وأخذ القمّل يلسع أبدان فرعون وملئه، ويسلب راحتهم ويؤرقهم ليل نهار حتى صارت أجسامهم تشبه جسد المصاب بالجدري، وامتلأت أيامهم بؤساً وشقاءً.

لقد أخذ الجراد يدخل ثنايا ملابسهم ويختلط مع طعامهم ويملأ أوعية غذائهم بحيث صار من المتعذر عليهم أن يأكلوا لقمة تخلو من قملة أو يشربوا قدح ماء دون قمل، وبعد مضي عدة أيام تفاقمت الأوضاع سوءً وعجز قوم فرعون عن تحمل الأمر، فبعث فرعون إلى موسى أن (يا موسى ان زال عنا عذاب الجراد وتخلّصنا من هذه المحنة فإنني سأطلق سراح بني إسرائيل وأخلي سبيلهم.

ومرة أخرى أشفق قلب موسى على قوم فرعون وسأل الله أن يزيل عنهم بلاء القمَّل ويخلّصهم منه. فاستجاب الله ـ تبارك وتعالى ـ له واختفى القمّل بأجمعه، ولكن فرعون أخلف وعده هذه المرة أيضاً.

وبعد مضي بضع سنوات، رأى موسى أن فرعون وملأه ما زالوا سادرين في غيهم، ماضين قدماً في كفرهم، مغترّين بالمهلة التي منحها الله لهم، فأراد تنبيههم من تلك الغفلة وإعادتهم إلى رُشدهم فأراهم الآية السادسة من آيات الله، ودعا موسى ربّه بأن يعمهم بالعذاب من جديد. وهذه المرة سلط الله عليهم الضفادع.

وفجأة غزت اعداد كبيرة من الضفادع ديار قوم فرعون، فامتلأت بيوتهم منها، ودخلت حتى ملابسهم ومياههم وأغذيتهم، وطفق أحدهم يدأب على إزالتها من على رأسه ووجهه وكتفه فلا تلبث أن تعود هي أو غيرها وتعلوه وتزعجه.

وأخذت تلك الأعداد الغفيرة من الضفادع تذيقهم الويلات وتؤرقهم وتحرمهم طعم الراحة والرقاد، فانتبهوا لعجزهم وضعفهم وتوسلوا إلى موسى واستغاثوا به، ووعدوه بأن يخلوا سبيل بني إسرائيل ويدعوهم وشأنهم. وما أن زال العذاب، واستتب الوضع حتى عاد فرعون وملأه إلى حمقهم وغبائهم السابق، فلم يفكروا بعواقب الأمور ولم يتعظوا بتجاربهم السالفة، ولم يفوا بوعدهم الذي قطعوه على أنفسهم.

وبعد عدة سنوات، أنزل الله عليهم سابع أصناف العذاب وأراهم سبحانه وتعالى آية لم يسبق لها من نظير. فقد تحولت كل مياههم إلى دماء قانية اللون، وكلما أراد أحدهم أن يروي ظمأه صار الماء بيده أحمر اللون بلون الدم. بل ان فرعون وبعض حاشيته لجأوا إلى أوراق بعض الأشجار فلاكوها كي يحصلوا على قطرات من مائها لارواء عطشهم بيد أنه تحول إلى دم في أفواههم.

ومرة أخرى، أيقن آل فرعون بالعجز وأحسوا بالسأم والتذمر من حياتهم ولم يتمكنوا من تحمل تلك الأوضاع، واستغاثوا بموسى وعاهدوه بمثل ما عاهدوه من قبل. فزال عنهم العذاب بأمر الله، إلا أنهم وبمجرّد أن مضت مدة وجيزة خانوا العهد ونسوا أيام العذاب ومرارته، فلف وعودهم ملف النسيان.

ومضت سنيٌ أخرى أمهل الله فيها القوم الظالمين، وشاء الله أن يعيدهم إلى صوابهم وينبّههم من غفلتهم، فابتلاهم هذه المرة بالجفاف

والمجاعة، ولم تهطل على أرض مصر قطرة مطر من السماء، ومنعت السحاب مياه الأمطار تماماً. وساد الحرّ الشديد كل الأنحاء، وأخذت الأنهار تجف والمزارع تيبس نباتاتها، وبدأت الحيوانات تنفق وتهلك وعانى أهل مصر من البؤس والشقاء، وطفق الناس يموتون جوعاً، وأنفقوا كل ما ادخروه في السنوات الماضية، وبدأت عليهم أيام العوز والفقر والجوع والعطش والمرض.

واستمر الوضع هكذا مدة من الزمن حتى اضطر فرعون للتنازل وأحس بالعجز التام، فالتمس واستغاث به وسأله أن يطلب إلى الله انقاذهم مما هم فيه وعاد إلى وعوده السابقة مؤكداً عزمه على الوفاء بها هذه المرة. وبعد ذلك أخذ المطر يهطل على مصر ويروي الزرع والضرع وأحس آل فرعون أنهم تخلصوا من المحنة والشدّة واغتروا من جديد بنعم الله ورحمته فعادوا إلى الغفلة والغرور.

وهكذا، ما ان انقضت عدة أعوام حتى حصلت تاسع آية إلهية، فقد سقطت عليهم أمطار لكنها هذه المرة كانت عبارة عن بَرَد حباته كبيرة الحجم حمراء اللون، فدمرت كل مزارع المشركين وأتلفت ثرواتهم وأهلكت الكثير من آل فرعون. ومرة أخرى تعهد فرعون بأن يترك بني إسرائيل وشأنهم. بيد أن أوضاع المستضعفين كانت تسوء وتتدهور أكثر فأكثر وتزداد معاناتهم يوماً بعد آخر.

وبعد أن مضت أربعون سنة على مبعث موسى ونهوضه بمسؤولية النبوة والرسالة، يئس من اهتداء فرعون وقومه وإيمانهم بالله فدعا الله عليهم قائلاً:

(إلهي! ان فرعون وقومه قد طغوا بسبب كل هذه الثروة التي يملكونها وأخذوا يحتقرون بني إسرائيل ويستعبدونهم ويذلّونهم. اللهم

فامحق أموالهم ودمرها تدميراً).

واثر ذلك استجاب الله دعاءه فتحول كل ما يملكونه إلى حجارة وصخر لا فائدة فيه[١٣٧]. وعند ذلك أذن الله لموسى أن يغادر مصر ليلاً مصطحباً معه بني إسرائيل.

وفي الليلة الموعودة خرج بنو إسرائيل من منازلهم وتجمعوا عند شاطىء نهر النيل، وعندما عرف فرعون بفرار بني إسرائيل أمر جيشه مكوناً من مليون وستمائة ألف شخص وتحرك هو أمام ذلك الجيش.

وعندما لاحت طلائع جيش فرعون لبني إسرائيل من بعيد طفقوا يبكون ويبدون جزعهم واعترضوا على موسى قائلين انك ستكون سبباً لهلاكنا، فواساهم وطمأنهم وقال لهم:

ـ ان وعد الله حق وسنعبر الماء بسلام.

ودخل يوشع ـ وقد صار فيما بعد وصي موسى ـ البحر وأخذ يمشي على الماء لكن الآخرين خافوا أن يمشوا معه أو يسيروا في اثره على الماء.

---

(١٣٧) «ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذّكرون ◦ فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيّروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون ◦ وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا به فما نحن لك بمؤمنين ◦ فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمّل والضفادع والدم آيات مفصّلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين. ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننّ لك ولَنرسلنّ معك بني إسرائيل ◦ فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون ◦ فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذّبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ◦ وأورثنا القوم الذين كانوا يُستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمَّرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون ◦ وجاوزنا ببني إسرائيل البحر....».
وفضّلنا إضافة الآيات إلى الكتاب، وهي من الآية ١٢٩ ـ ١٣٨ من سورة الأعراف، لكونها تخص الموضوع ذاته ـ جبارة.

وعندما اقترب جيش فرعون قال موسى:

ـ الهي، اسألك بحق محمد (ص) وأهل بيته، فافرق لنا البحر وأنجنا.

فجاءه النداء من الله عزَّ وجلَّ ـ كما ورد في القرآن الكريم ـ:

﴿فَأَوْحَينا إلى مُوسَى أنْ آضرِبْ بِعَصَاكَ البَحْرَ﴾(١٣٨).

فأهوى موسى بعصاه على ماء البحر فانشق الماء وانفلق البحر وانفتحت فيه اثنا عشر طريقاً كي تعبر منه قبائل بني إسرائيل الاثنا عشر ـ الأسباط ـ فتذرع هؤلاء بالقول:

ـ لا نستطيع أن نعبر من هذه الممرات لانها ذات أرض طينية ومن الممكن أن تغط أقدامنا في الوحل والطين.

فدعا موسى الله (تبارك وتعالى) فيبست تلك الممرات ومع ذلك أخذ بنو إسرائيل يسيرون فيها خائفين مرتجفين حتى عبروا البحر وعندما وصل فرعون وجيشه إلى الشاطىء كان الماء قد عاد لتوه إلى وضعه الطبيعي، فذهل هو وقومه لرؤيتهم ذلك.

ومن أجل أن يشجّع فرعون قومه ويجرّىء جيشه قال لهم:

ـ لقد انفلق لهم البحر بأمري، وينبغي أن نتبعهم ونلاحقهم.

وفي هذه الأثناء نفر حصان فرعون وانطلق بسرعة نحو الماء فتبعه الجيش كله وانفلق البحر فدخله جميع الجيش، وعندما توسطوا البحر عاد البحر إلى وضعه السابق وتلاطمت أمواج الماء أغرق فرعون وجيشه.

وقبل أن يغرق فرعون بالكامل بلحظات حاول أن يتظاهر بالتوبة من جديد فقال:.

---

(١٣٨) سورة الشعراء/ آية ٦٣.

﴿آمَنتُ أنَّهُ لا إله إلاّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إسْرَائِيلَ﴾[139].

وفي هذا الحين بادره جبرائيل فملأ فمه طيناً ووحلاً وقال له:

ـ لات حين مناص، لقد أمهلك الله أربعين عاماً فلم تزدد إلا تمرداً وطغياناً، والآن وقد شاهدت العذاب بأم عينك فليست لتوبتك فائدة.

وعلى أية حال، فقد كان جسم فرعون مثقلاً بالسلاح والدروع فغرق في الماء، ولكن الله أراد أن يجعله عبرة للأجيال، فقذف جسده إلى الشاطىء وبقي مرمياً على الرمال قرب الماء.

وكان ذلك العذاب الدنيوي ـ فحسب ـ لآل فرعون، أما عذابهم في البرزخ فإنه شديد ومرعب إلى حد يفوق التصور[140].

* * *

(٩٩)

موسى (ع) والكلب الأجرب

روي أن الله ـ تبارك وتعالى ـ أوحى لموسى (ع):

ـ عندما تأتي للمناجاة هذه المرة إجلب معك من تعتقد أنك أفضل منه وأرقى.

فطفق موسى يبحث هنا وهناك، وينظر إلى هذا وذاك ويتصفح وجوه الناس ويفكر مع نفسه لكنه لم يجرؤ أن يعتبر نفسه أفضل من أي واحد منهم أو أرقى، ولذلك قرر الالتفات إلى الحيوانات مضطراً وطفق يبحث بينها على بُغيته، فلم يعثر على ضالته المنشودة، وكاد أن ييأس من ذلك،

---

(١٣٩) سورة يونس/ آية ٩٠.

(١٤٠) حقائق من القرآن/ ص ١٦٠ ـ ١٧٩.

إلا أنه وقع نظره على كلب أجرب. فقال مع نفسه:

- لولا أخذت معي هذا الكلب.

فجاء بحبل ووضعه في رقبة الكلب، وفي الموعد المحدد للمناجاة انطلق بالكلب الأجرب متجهاً نحو جبل الطور، وبعد مسافة قصيرة ألقى الحبل من يده بعد أن ندم من جلبه الكلب وفك الحبل عن رقبته وخلّى سبيله.

وعندما وصل إلى محل المناجاة أوحى إليه الله تبارك وتعالى:

- هل جلبت يا موسى ما كنا أمرناك بجلبه في المرة السابقة.

أجاب موسى:

- إلهي انني لم أجد ما طلبته مني.

فقال الله (جل جلاله):

- وعزتي وجلالي، لو كنت أتيت به لمحوت اسمك من ديوان الأنبياء[١٤١].

* * *

(١٠٠)

سفينة نوح

كان نوح (ع) يعيش في قرية قرب نهر الفرات تقع في غرب مدينة الكوفة. ويقع منزله في محل مسجد الكوفة. وكان يمتهن التجارة، ومنذ طفولته كان مؤمناً بالله وحده (جلت قدرته)، وعرف بالصلاح والاستقامة،

---

(١٤١) القلب السليم/ الجزء الثاني/ ص ٩٢.

والصدق والشرف. وفي ذلك الحين كان الناس غارقين في الفجور والانحراف والفساد والفسق، وقد غفلوا عن ربهم والمنعم عليهم ذي المنة والفضل والاحسان، فكفروا بأنعمه، ولذلك اعتزلهم نوح (ع) وفضل حياة العزلة والوحدة.

ويوماً هبط الأمين جبرائيل (ع) على نوح وقال له:

ـ لم اعتزلت الناس وابتعدت عنهم؟

فقال (ع):

ـ لأنهم يعبدون الأوثان ويرتكبون أقبح الأعمال وأسوأ الانحرافات.

فقال جبرائيل (ع):

ـ ولم لا تنهاهم عن فعل السيئات والقبائح وعبادة الأوثان؟

فقال (ع):

ـ أخشى أن يقتلوني.

قال جبرائيل (ع):

ـ انني جبرائيل جئتك مرسلاً من رب العالمين، وإنك قد انتخبت للنبوة وقد جلبت لك عدة خلع: خلعة الصبر، وخلعة اليقين، وخلعة النصرة...

فقويت عزيمة نوح وتزايدت جرأته وعزمه وعاد إلى المدينة. وصادف يوم عودته يوم العيد، فكان الناس يغادرون المدينة ويتوجهون إلى الصحراء، مصطحبين معهم أصنامهم وأوثانهم. فذهب إليهم نوح وصاح في وسطهم باللغة السريانية:

ـ **لا إله إلاّ الله.**

وبمجرد أن ارتفع النداء باسم **(الله)** جلت عظمته تساقطت كل الأصنام وانتشرت على وجه الأرض وانطفأت النيران.

واجتمع الملأ من قوم نوح وتنادى الجلاوزة وطفقوا يضربونه ويكيلون له الصفعات، حتى أغمى عليه، واذ ذاك جاءوا ببساط ووضعوا نوحاً فيه ولفّوه، ثم رموه في بيته.

وكان لنوح امرأتان إحداهما اسمها (عموره)، وهذه آمنت به في اليوم نفسه، وعندما علم أبوها أنها آمنت بنوح هددها بالقتل، لكنها تمسكت بإيمانها وثبتت على معتقدها، وكانت النتيجة أن أباها أخذها وسجنها حتى تموت جوعاً.

وبعد مرور عدة أيام فتحوا باب السجن ليخرجوا جثمانها ففوجئوا عندما رأوها على أتم الحيوية والنشاط والسرور، فسألوها:

- من الذي كان يرعاك طيلة هذه المدة الطويلة؟

فأجابت:

- رب نوح هو الذي كان يرعاني ويحفظني.

اما زوجة نوح الثانية فقد بقيت كافرة ولم تؤمن بنوح، ولذلك آل مصيرها إلى نفس المصير الذي آل إليه المشركون وهو الهلاك.

وظل نوح يدعو إلى الله مدة (٩٥٠) عاماً ويمارس تبليغ الرسالة بين ظهرانيهم، بيد أن من آمنوا به كانوا قليلين، وقيل ان عددهم كان يتراوح بين ٨ و٨٠ شخصاً. وقد تحمل نوح في تلك الفترة ألوان التعذيب وأشكال المعاناة، وبلغ الأمر بقومه أن عذبوه بأساليب وحشية حتى سالت الدماء من جسده وأغمي عليه مراراً. إلا أن الله شفاه وعافاه، واستمر نوح يبلغ الرسالة الإلهية.

وبلغ عناد قومه أن شيوخ قومه والطاعنين منهم في السن حينما كانوا يرون قرب وفاتهم يوصون أبنائهم ويحذّرونهم من الإيمان بنوح ونبوّته، وعندما يحين وقت وفاة هؤلاء الأبناء ـ عند شيخوختهم ـ يوصون أبناءهم بعدم الإيمان بنوح، وهكذا.

وانقضت تسعمائة وخمسون عاماً على هذا المنوال، تجرع نوح خلالها الآلام وتحمل الأذى وذاق المرارة وسمع السب من قومه وصبر على الجراح والعذاب. فكانوا يمسكون به ويخلعون قميصه فيلفونه حول عنقه ويضيقون عليه الخناق بشدة حتى يظنوا أنه قد اختنق تماماً ولم يبق له رمق، فيتركونه وشأنه، إلا أن الله كان يحفظه ويرعاه.

وأخيراً يئس نوح من هداية قومه وأدرك أنهم لا ينوون الإيمان به مطلقاً، بل ان المؤمنين به يوشكون أن يرتدوا لشدة المحنة وفداحة البلاء، ولذلك فقد شكا قومه إلى الله (سبحانه وتعالى) ونقل القرآن الكريم نفاد صبر نوح ومخاطبته لله قائلاً:

﴿قال ربّ إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً * فلم يزدهم دعائي إلا فراراً * وإني كلّما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصرّوا واستكبروا استكباراً * ثم إني دعوتهم جهاراً * ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً﴾(١٤٢).

ثم ينقل القرآن الكريم دعاء نوح على قومه واستنزاله العذاب عليهم مخاطباً ربّه:

﴿قال نوحٌ ربِّ إنهم عَصَوني واتّبعُوا من لم يزدْهُ مالُهُ وولدُهُ إلاّ خَساراً * وَمَكروا مَكراً كبّاراً * وقالوا لا تَذرونَّ آلِهَتَكم وَلاَ تَذَرُنَّ وُدّاً ولا سُواعاً وَلا يَغوثَ ويَعوقَ ونَسراً * وَقد أضلُّوا كثيراً وَلاَ تَزدِ الظالمينَ إلاّ ضَلالاً * مِمّا خطيئاتُهُم أغرِقُوا فَادخِلُوا نَاراً فلم يجدُوا لهُم مِن دُونِ اللّهِ أنصَارَا * وقالَ نُوحٌ ربِّ لا تَذَرْ على الأرضِ مِنَ الكافِرينَ دياراً * إنّكَ إنْ تَذَرهُم يضِلّوا عِبادَكَ وَلا يَلِدُوا إلاّ فاجِراً كَفّاراً﴾(١٤٣).

---

(١٤٢) سورة نوح/ ٥ ـ ٩.

(١٤٣) سورة نوح/ ٢١ ـ ٢٧.

فنزل جبرائيل وقال لنوح:

ـ ان هؤلاء مهلكون كلهم عن قريب. فاصنع أنت سفينةً حتى إذ اكتملت هطلت عليهم الأمطار وفارت المياه ونبعت من الأرض. وعند ذاك اركب السفينة أنت ومن آمن بك فتنجون ويهلك الآخرون أجمعون، وينقل القرآن ذلك فيقول:

﴿وأوحيَ إلى نوحٍ أنه لنْ يؤمنَ من قومِكَ إلا من قَدْ آمنَ فلا تبتئسْ بما كانوا يفعلُونَ * واصنَعِ الفلكَ بأعيُننا وَوحْينا ولا تُخاطِبني في الّذينَ ظَلَموا إنّهم مُغرَقُونَ﴾[١٤٤].

وقد أصاب الله نساءهم بالعقم مدة ٤٠ عاماً كي لا يلدن أطفالاً ولذلك فعندما حصل الطوفان لم يكن هناك أي طفل بريء بين الكفار، وإنما كانوا جميعاً من كبار السن ذوي العقول الراشدة والاحساس الكامل بما يقومون به، وقد تمت الحجة الإلهية عليهم.

وقد أمر جبرائيل (ع) نوحاً أن يزرع نوى التمر في الأرض، وعندما تنبت وتنمو تكبر وتثمر يأخذ تمرها ويزرعه وهكذا. وفي تلك الفترة كان المشركون يسخرون من نوح (ع)، وأخيراً تمكن ـ عبر ارشاد جبرائيل وبمساعدة ابنيه سام وحام ـ من أن يصنع السفينة خلال مدة عامين.

وعندما همّ نوح بصنع السفينة ورفع أول خشبة من أخشابها قال جبرائيل: (باسم محمد ص) وعندما رفع الخشبة الثانية قال الأمين جبرائيل (ع): (باسم علي ع) وعندما رفع الخشبة الثالثة قال جبرائيل: (باسم الزهراء ع) وهكذا طفق جبرائيل يردّد ذكر أسماء المعصومين الأربعة عشر مع رفع كل واحدة من ألواح السفينة.

---

(١٤٤) سورة هود/ ٣٦ ـ ٣٧.

ولما طرق نوح (ع) أول مسمار في ألواح السفينة تألق فجأة نورٌ ساطع فسأل نوح (ع):

- ما هذا يا جبرائيل؟

فأجاب جبرائيل (ع):

- هذا نور محمد (ص).

وتكررت هذه القضية ثلاثة عشر مرة وسطع فيها نور كل واحد من المعصومين الآخرين.

وعندما كان المشركون يمرون بنوح ويرونه يصنع الفلك على اليابسة أخذوا يسخرون منه ويقولون:

- انه يصنع الفلك في اليابسة وفي السنة ذات الجفاف.

أو يهزأون به قائلين:

- أتصنع سفينة في قلب الفلاة ووسط الصحراء؟ كيف تريد أن توصلها إلى الماء؟!

أو يسخرون منه بالقول:

- أتريد أن تصعد بهذه السفينة إلى أعالي الجو وتطوف في الفضاء؟!

وعبر القرآن عن هذه الأقاويل فقال:

﴿ويصنعُ الفلكَ وكلّما مرَّ عَليهِ ملأ مِن قومِهِ سَخِروا مِنهُ قالَ إن تَسخَروا منّا فَانّا نسخَرُ منكُم كَما تَسخَرُون * فَسوفَ تَعلَمونَ مَن يأتِيهِ عَذابٌ يُخزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيهِ عَذابٌ مُقِيمٌ﴾(١٤٥).

وعندما اكتمل صنع السفينة، جمع نوح جميع وزوجاً من كل

---

(١٤٥) سورة هود/ ٣٨ - ٣٩.

الكائنات الحية فيالأرض وقال لابنه كنعان ـ وكان من المشركين ـ:

﴿يا بُنـيَّ اركبْ مَعَنا ولا تكُن مَعَ الكافِرينَ﴾[١٤٦].

فأجابه كنعان:

﴿سآوي إلـى جبلٍ يعصمنـي من الـماء﴾[١٤٧].

فقال له نوح (ع):

﴿لا عاصمَ الـيومَ مِن أمرِ الله إلاّ مَن رَحِمَ﴾[١٤٨].

ولكن كنعان امتنع أخيراً عن ركوب السفينة. وبدأ هطول الأمطار الغزيرة وسرعان ما حدثت السيول والفيضانات وعم الأرض الماء فتحركت سفينة نوح، وعدا ابن نوح متسلقاً الجبل حتى بلغ قمته، بينما أخذ الماء يرتفع شيئاً فشيئاً وكنعان يهرب منه حتى غطى الماء القمة ووصل ركبتي كنعان، فصاح نوح:

﴿ربِّ إنّ ابنـي من أهلـي وإنَّ وعدَكَ الـحقُّ وأنتَ احكَمُ الـحاكِمينَ﴾[١٤٩].

فأجابه الباري تبارك وتعالى:

﴿يا نوحُ انّهُ لَـيسَ من أهلِكِ إنّه عَملٌ غيرُ صالـحٍ فلا تسألنـي ما لَـيسَ لَكَ بِهِ عِلـمٌ إنّـي أعظُكَ أن تكونَ مِنَ الـجاهلـينَ﴾[١٥٠].

﴿وحالَ بـينَهما الـموجُ فكانَ من الـمُغرَقِـينَ﴾[١٥١].

---

(١٤٦) سورة هود/ ٤٢.

(١٤٧) سورة هود/ ٤٣.

(١٤٨) سورة هود/ ٤٣.

(١٤٩) سورة هود/ ٤٥.

(١٥٠) سورة هود/ ٤٦.

(١٥١) سورة هود/ ٤٣.

واستمرت الأمطار تهطل بغزارة والمياه تزداد ارتفاعاً على وجه الأرض وغمرت أعلى قمم الجبال وارتفعت فوق أكثرها علواً بثمانين متراً.

وبعد أن استمرت الطوفان وهطول الأمطار مدة أربعين يوماً أمر الله المطر فتوقف عن الهطول وابتلعت الأرض المياه ورست سفينة نوح على جبل يقال له (الجودي) ونزل منها راكبوها بسلام وفي ذلك يقول الباري تبارك وتعالى[١٥٢]:

﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغِيضَ الماءُ واستوت على الجودي، وقيل بُعداً للقوم الظالمين﴾[١٥٣].

(١٠١)

جرار نوح الخزفية

لما يئس نوح من هداية المشركين الضالين، طفق يصنع الفلك بأمر الله عزَّ وجلَّ. وعندما اكتمل بناؤها دعا نوح (ع) المؤمنين به ـ وكانوا قليلين ـ وطلب إليهم أن يركبوا السفينة قائلاً ـ كما ورد في القرآن الكريم ـ:

﴿اركَبُوا فيها بِسمِ اللّهِ مجرايها ومُرسٰها إنّ رَبّي لَغفُورٌ رَحِيم﴾[١٥٤].

كما انه اهتم باركاب زوجين من كل صنوف الحيوانات:

﴿قُلْنا آحْمِل فيها مِن كُلّ زَوجَينِ اثنَينِ وَأَهلَكَ إلا من سَبَقَ عَليهِ القَولُ﴾[١٥٥].

---

(١٥٢) سورة هود/ ٤٤.

(١٥٣) فضّلنا ادخال الآيات في الموضوع لأنها تخصه، بالرغم من عدم وجودها في الأصل (جبارة).

(١٥٤) سورة هود/ ٤١.

(١٥٥) سورة هود/ ٤٠.

وعندما أصبح كل شيء جاهزاً، شكا نوح إلى الله من قومه المشركين ودعا الله أن يهلكهم كلهم أجمعين، ولأنه كانت، قد تمت الحجة عليهم، فقد بعث الله العذاب عليهم، فأخذت الأمطار تهطل وتسيل السيول وحصل الطوفان الشامل وأتى على كل العاصين فأهلكهم.

وبعد أن أبيد الكفرة توقف المطر وغيض الماء واستقرت سفينة نوح على مرسى لها وبلغت محطتها الأخيرة ونجا المؤمنون بنوح ونزلوا من السفينة وانهمكوا في أعمالهم وشؤونهم الحياتية المختلفة.

وكانت مهنة نوح صنع الجرار الخزفية، فكان يعدّها ويبيعها للناس ويوفّر ما يحتاجه من المستلزمات الحياتية من ثمنها. ويوماً جاء، مَلَكٌ في هيئة إنسان وابتاع من نوح عدداً من الأواني الفخارية، ثم أخذ يكسرها ونوح ينظر إليه. وكلّما كان يحطّم جرّة منها كان نوح يغتم ويتألّم دون أن ينبس ببنت شفة.

وأخيراً لم يطق نوح الصبر على رؤية منظر تحطيم الجرار التي صنعها وباعها للتو، وصاح بقوة معترضاً على ذلك الرجل (المَلَك):

- ماذا تصنع يا رجل؟! لم تكسر الجرار التي صنعتها بيديّ؟!

أجابه الرجل (المَلَك):

- لقد اشتريتها منك فصارت ملكاً لي ولم تعد لك علاقة بها وأستطيع أن أتصرف بها كيفما أشاء.

قال نوح:

- صحيح أنك اشتريتها مني، لكنني بذلت جهداً شاقاً واتعبتُ نفسي حتى صنعتُها، وبقيت أحبّها حتى بعد أن ابتعتَها مني ولست أرضى باتلاف ثمار أتعابي ونتائج جهودي.

أجابه الرجل (الملك):

ـ إنك لم تخلق هذه الجرار بل صنعتها وحسب، ولكنك ـ مع ذلك ـ لا تطيق رؤية منظر تحطيمها، فكيف دعوت الله بأن يهلك مخلوقاته كلها أجمعين؟!

وإثر هذه الحادثة، طفق نوح يبكي وينوح نوحاً شديداً حتى أسماه الناس (نُوحاً)[١٥٦].

* * *

(١٠٢)

خلاف عيسى ويحيى

عُرف عن يحيى (ع) أنه كان حزيناً على الدوام، وتعلوه الكآبة منذ ولادته وحتى آخر عمره، بحيث أن بكاءه لم ينقطع أبداً، ولم يره أحد يوماً ضاحكاً مستبشراً مسروراً. بل إن أباه زكريا (ع) قال يوماً لله تبارك وتعالى:

ـ إلهي! لقد أردت منك أن ترزقني ولداً يكون لي قرة عين ومبعث فرح وابتهاج، فأعطيتني ولداً حزيناً كئيباً باكياً في كل حين من الأحيان.

وخاطب زكريا ابنه يحيى يوماً فقال:

ـ لقد طلبتُ إلى الله أن يرزقني ولداً يفرحني، وأنت لم تزل مذ وُلدت حزيناً.

فأجابه يحيى (ع):

ـ ألم تقل يا أبي أن هناك عقبةً بين جهنم والجنة لا يجتازها إلا من بكى من خوف الله عزَّ وجلَّ؟!

وعلى أية حال، فقد استمر يبكي ويبكي حتى انحفر خدّاه وأثرت

---

(١٥٦) الاستعاذة/ ص ١٧٠.

فيهما الدموع حتى تقرّحا، مما استلزم تضميدها.

ويوماً التقى عيسى (ع) في الطريق بابن خالته يحيى (ع) وجهاً لوجه، فتبسم له، فخاطبه يحيى:

ـ ما بالي أراك مبتسماً مستبشرا؟ كأنك تظنّ أنك في أمن واطمئنان أبديّين.

فأجابه عيسى:

ـ وما لي أراك عبوساً كئيباً؟! هل يئست من رحمة الله؟!

ثم قال الاثنان:

ـ لن نبرح مكاننا هذا حتى يحكم الله بيننا ويبيّن لنا من هو على الحق، وهو أحكم الحاكمين.

فنزل عليهما الوحي من قبل الله سبحانه وتعالى وهو يقول:

ـ أحسنكما من كان أمله في رحمتنا أكبر وحسن ظنه بنا أكثر[١٥٧].

* * *

(١٠٣)

مصائد الشيطان وحبائله

رزق يحيى ـ وهو من أنبياء الله ـ الحكمة وهو ابن أربع سنين، واختاره الله تعالى للنبوة وهو في هذه السنّ المبكّرة.

ويوماً تجسد له الشيطان بعدة أشكال وهيئات مختلفة. فسأله يحيى:

ـ ما هذه الألبسة والهيئات التي تبدو بها للناس؟

فأجابه الشيطان:

---

(١٥٧) المعراج/ ص ٢٠٩.

ـ إنها المصائد والحبائل التي اصطاد بكل واحد منها أحد الناس وأخدع بواسطتها أبناء آدم.

فقال يحيى (ع):

ـ وهل نصبت لي منها مصيدة لإيقاعي؟

فأجاب الشيطان:

ـ أجل، عندما يحل الليل وتجلس إلى المائدة ازيّن لك أكل الكثير من الطعام واجعله عندك لذيذاً كي تطمع في تناول المزيد منه، وجرّاء تناولك لُقماً أكثر تتثاقل في القيام وقت السَّحَر وتتأخر للنهوض للعبادة.

وعندما عرف يحيى مكر الشيطان وانكشفت له إحدى مصائده عاهد نفسه على عدم الشبع ليلاً والامتنناع من الافراط في أكل العشاء قائلاً:

ـ فإني أعطي الله عهداً ألاّ أشبع من الطعام حتى ألقاه.

فقال الشيطان:

ـ وأنا أعطي الله عهداً ألاّ أنصح مسلماً حتى ألقاه(١٥٨).

* * *

(١٠٤)

سليمان (ع) والنمل

يوماً كان سليمان وجنده يمرون عبر أحد الوديان. وكان الوادي مليئاً بالنمل، فصاحت كبرى النمل:

---

(١٥٨) لم يرد في الكتاب هذا الهامش وربما كان مصدر القصة كتاب (الاستعاذة) أو غيره من كتب الشهيد دستغيب.

﴿يا أيُّها النملُ ادخُلُوا مساكِنَكُم لا يحطِمَنّكُم سُليمانُ وجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يشعُرُونَ﴾[159].

فأوصلت الرياح صوتها إلى مسامع سليمان، فذهب إلى كبرى النمل وقال (ع):

ـ أتعرفينني؟

قالت النملة:

ـ أجل، أنت رسول الله.

فقال سليمان:

ـ ألا تعلمين أني لا أظلم أحداً؟!

قالت النملة:

ـ أجل.

قال سليمان:

ـ فلماذا احذرتهم من ظلمي؟ ولِمَ أمرتهم بالاختفاء في مساكنهم؟

قالت النملة:

ـ خشيت أن ينظروا إلى زينتك فيفتتنوا بها فيبتعدوا عن ذكر الله (تعالى ذكره).

ثم قالت له النملة:

ـ هل تدري يا سليمان لم سَخَّر الله لك الريح[160] من بين سائر ما في العالَم وجعلت تتنقل عليه ببساطك؟

فقال سليمان:

---

(١٥٩) سورة النمل/ ١٨.

(١٦٠) قال تعالى: **﴿ولسليمان الريح غدوّها شهر ورواحها شهر﴾** (سبأ/ ١٢).

ـ ما لي بهذا علم.

قالت النملة:

ـ من أجل أن لا تغترَّ بذلك وتعلم أن سلطانك زائل لا محالة وأنه في مهب الريح دوماً. فعليك أن تبحث عن سلطان لا يفنى وقوة لا تزول، وهما في الجنة وحسب(١٦١).

* * *

(١٠٥)

سليمان (ع) وملكة سبأ

كان الهدهد يخدم في ديوان سليمان ولأنه كان يستطيع أن يرى الماء في باطن الأرض فقد كان سليمان يرغب أن يصطحبه معه دائماً، وفي أحد الأيام تلفت سليمان فلم ير الهدهد حاضراً. فتأثر سليمان من غياب الهدهد دون اذن منه وتعجب من ذلك، وقال:

﴿مَا لِـي لاَ أَرى الهُدهُدَ أم كانَ مِن الغَائِبـينَ * لأُعذّبنَّهُ عَذاباً شَدِيداً أو لأَذبَحنَّهُ أو لِيأتِينِّـي بِسُلطانٍ مُبِـين﴾(١٦٢).

وبعد أن حضر الهدهد سأله سليمان:

ـ أين كنت؟

فأجاب:

﴿أحطتُ بما لـم تُـحِط بهِ وجئتُكَ من سَبَأ بنبأ يَقـين * إنّـي وجدتُ امرأةً تملكُهُم وأوتِيت من كلِّ شيءٍ ولَها عَرشٌ عَظيمٌ * وجَدتُها وقَومَها

---

(١٦١) معارف من القرآن/ ص ٧٩.

(*) فضلنا ادخال هذه الآيات في المتن لكونها تخصه بالرغم من عدم وجودها في الأصل (جبارة).

(١٦٢) سورة النمل/ ٢٠ ـ ٢١.

يسجُدونَ للشمسِ مِن دونِ الله وزَيَّنَ لَهمُ الشيطانُ أعمالَهُم فَصدَّهُم عنِ السبيلِ فَهُم لا يهتَدُون﴾[١٦٣].

فقال سليمان (ع) للهدهد:

﴿قالَ سننظرُ أصدَقْتَ أم كُنتَ مِنَ الكاذِبِينَ * إذهَب بِكتابي هذا فألقِهِ إلَيهم ثمَّ تَوَلّ عَنهُم فَانظُر ماذا يَرجِعُون﴾[١٦٤].

وفعلاً، كتب سليمان رسالة لبلقيس ـ ملكة قوم سبأ ـ فأخذ الهدهد الرسالة وأوصلها إليها. وكان سليمان قد دعاها وقومها إلى التوحيد. فقرأت بلقيس الرسالة وشاورت كبار قومها وحكمائهم فقالت:

﴿يا أيُّها المَلأ أفتُوني في أمْرِي ما كُنتُ قَاطعَةً أمراً حتى تشهدونِ﴾[١٦٥].

فقالوا:

ـ ما الأمر أيتها الملكة؟

قالت:

﴿إنّي ألقيَ إليَّ كتابٌ كريمٌ * ألاّ تَعلُوا عليَّ وأْتُوني مسلمين﴾[١٦٦].

فقالوا:

﴿نحنُ أُولوا قُوةٍ وأُولوا بأسٍ شَديدٍ والأمرُ إلَيكِ فانظُري مَاذا تأمُرينَ﴾[١٦٧].

فقالت لهم:

ـ لا أعتقد أننا نستطيع أن نقاوم بوجه جيش سليمان.

---

(١٦٣) سورة النمل/ ٢٤.

(١٦٤) سورة النمل/ ٢٧ ـ ٢٨.

(١٦٥) سورة النمل/ ٣٢.

(١٦٦) سورة النمل/ ٢٩ ـ ٣١.

(١٦٧) سورة النمل/ ٣٣.

وأردفت:

- إنكم تعلمون **﴿إنّ الملوكَ إذا دَخلوا قريةً أفسَدُوها وَجَعَلوا أعِزّة أهلِها أذِلّةً وَكذلِكَ يفعَلُون﴾**[١٦٨].

وتأمّلت قليلاً وفكرت مع نفسها أن تبعث وفداً ليستطلع قوة ملك سليمان وينظر الأمور عن كثب، على أن يكون الغطاء الظاهري للأمر هو أن الوفد يحمل هدية لسليمان، ثم قالت لمستشاريها:

﴿واني مرسلةٌ بهديةٍ فناظرةٌ بِمَ يرجع المرسَلون﴾[١٦٩].

فوافقوها الرأي، فأمرت باعداد هدية ثمينة وتحف نفيسة وبعثتها بيد وفد رفيع المستوى.

وعندما وصل وفد بلقيس إلى ديوان سليمان بُهتوا لرؤية كل تلك العظمة والجلال والأبّهة وخجلوا من مجيئه حاملين تلك الهدايا التي لا قيمة لها مقارنةً بما شاهدوه.

وعندما تشرفوا بالحضور عند سليمان (ع) نفسه قال لهم:

﴿اتمدُّونَنِ بمالٍ فما آتانِ الله خيرٌ ممّا آتاكُمْ بَلْ أنتُم بِهَديَّتِكم تفرحُونَ * ارجعْ إليهم فَلنأتِيَنَّهم بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُم بها وَلنخرجَهنَّم منها أذلّةً وَهُم صاغِرونَ﴾[١٧٠].

وعندما عاد الوفد إلى بلقيس نقل لها كلام سليمان (ع) فقالت:

- الأفضل أن نستجيب لما أراد منّا واني سأذهب من قِبَلِكم ونيابة عنكم، إلى سليمان.

وفي هذه الأثناء، كان سليمان جالساً في ديوانه يحيط به مساعدوه وخدمه، فقال لهم:

---

(١٦٨) سورة النمل/ ٣٤.

(١٦٩) سورة النمل/ ٣٥.

(١٧٠) سورة النمل/ ٣٦ - ٣٧.

- ان بلقيس تريد أن تأتيني، وان لديها عرشاً عظيماً فمن يأتيني به قبل أن تصل إليَّ ﴿**يا أيُّها المَلأُ أيُّكم يأتِيني بِعَرشِها قَبلَ أن يَأتُونِي مُسلِمِينَ**﴾[١٧١]؟

فأبدى بعض الخدم استعدادهم للمجيء به إليه وتسابقوا في الاتيان به كلٌّ قبل الآخر:

﴿**قال عفريت من الجِنِّ أنا آتِيكَ بِهِ قَبلَ أن تَقُومَ مِن مَقامِكَ وإنّي عَلَيهِ لَقَويٌّ أمِينٌ**﴾[١٧٢].

﴿**قالَ الذي عندَهُ عِلمٌ من الكِتاب أنا آتِيكَ بِهِ قَبلَ أن يَرتدَّ إلَيكَ طَرفُكَ**﴾[١٧٣].

فأحضره فوراً، وعندما وصلت بلقيس إلى ديوان سليمان شاهدت عرشها ففوجئت بذلك واستبدّ بها التعجب والدهشة، وبعد مدة من الزمن أسلمت وقالت[١٧٤]:

﴿**رَبِّ إنّي ظلمتُ نَفسِي وأسْلَمتُ مَعَ سُلَيمانَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ**﴾[١٧٥].

* * *

(١٠٦)

سليمان (ع) والهدهد

أعطى الله (تبارك وتعالى) لسليمان ملكاً عظيماً. فسخّر لخدمته عدداً كبيراً من الإنس والجنّ والحيوانات البرية والطيور، فكانوا ينفّذون

---

(١٧١) سورة النمل/ ٣٨.

(١٧٢) سورة النمل/ ٣٩.

(١٧٣) سورة النمل/ ٤٠.

(١٧٤) سورة النمل/ ٤٤.

(١٧٥) معارف من القرآن/ ص ٧٧.

أوامره. كما علمه الله منطق الحيوانات، فكان يستطيع أن يتكلم معها ويفهم ما تقول:

ويوماً فكر الهدهد أن يمزح مع سليمان، فذهب إليه وقال:

- يا سليمان، هل تحلّ علينا ضيفاً يوم غد؟!

فقال (ع):

- هل آتي بمفردي أم معي جندي؟

فقال الهدهد:

- بل اصطحب معك جندك كلّه.

فسأله سليمان:

- وأين سيكون مكان الضيافة؟

فقال الهدهد:

- عند شاطىء البحر.

وفي اليوم التالي جاء سليمان ومعه جيشه كله ومكثوا عند شاطىء البحر ينتظرون أن يضيّفوا من قِبل الهدهد. فجاء هذا وحلّق في الجو واستدار دورة فوق رؤوس الجيش، واصطاد جرادة طائرة في الهواء، ثم جاء بها فمر قرب سليمان، فألقاها من منقاره في مياه البحر وقال للجمع الغفير:

- هيا هلمّوا وكلوا، فإن فاتكم اللحم لا يفوتكم المرق!!

وكان يقصد: اغترفوا من ماء البحر فهذا هو ما أعددته لكم من الطعام وحسب(١٧٦)!!

* * *

(١٧٦) معارف من القرآن/ ص ٧٦.

من الرق إلى السلطنة

يوماً قال الإمام الصادق (ع) لأبي بصير:

ـ (ان الحرَّ حرٌّ على جميع أحواله، وإن نابته نائبةٌ صبر لها، وإن تداكّت عليه المصائب[١٧٧]، وإن أُسِرَ وقُهِرَ واستُبدل باليُسر عسراً كما كان يوسف الصديق الأمين (صلوات الله عليه) لم يضرر حرّيته أن استُعبد وقُهِرَ، ولم تضرُره ظُلمة الجبِّ ووحشته وما ناله، أنْ منَّ الله عليه فجعل الجبار العاتي له عبداً بعد إذ كان له مالكاً.

فأرسله ورحم به أمّةً، وكذلك الصبرُ يعقّب خيراً فاصبروا ووطّنوا أنفسكم على الصبر تؤجروا).

والمقصود بالجبار العاتي هو فرعون مصر في ذلك الحين وكان اسمه (ريّان بن الوليد). وكان وزيره يُعَدُّ (عزيز مصر)[١٧٨] وهو الذي كان مالكاً ليوسف. وبعد أن ألقي يوسف في السجن جرّاء كيد (زليخا) زوجة (العزيز)، رأى الفرعون في منامه حلماً عجز عن تفسيره كل أفراد الحاشية البارعين في تأويل الأحلام[١٧٩].

وتطوّع يوسف لتفسير حلم الفرعون، ولما رآه الفرعون بارعاً في

---

(١٧٧) تتمة هذه العبارة كما وجدناها في (الأصول من الكافي/ ج ٣/ ص ١٤٢) هي: (لم تكسره) ـ جبارة ـ.

(١٧٨) واسمه (قطفير) كما ذكره المؤلف في كتابه (القيامة والقرآن) ص ٢٢٨. ـ المترجم ـ.

(١٧٩) قال تعالى: ﴿وقالَ الملكُ إني أرى سبعَ بقراتٍ سِمانٍ يأكلهنَّ سبعٌ عِجافٌ وسَبع سنبلاتٍ خُضرٍ وأخرَ يابساتٍ يا أيُّها الملأ أفتوني في رُؤيايَ إن كنتُم للرّؤيا تعبرُونَ ٭ قَالُوا أضغاثُ أحلامٍ وَمَا نحنُ بتأويلِ الأحلامِ بعَالِمِينَ﴾ (يوسف/ ٤٤ ـ ٤٥).

ذلك[١٨٠] ورأى العزيز لا يقدم ولا يؤخّر أزاحه وأحل يوسف في محلّه فجعله وزيراً[١٨١]، وبعد فترة من الزمن وهبه حكم مصر بالكامل وتوجّه بتاجه وأجلسه على عرشه ومنحه خاتمه.

وبعد سبع سنوات عمت مصر مجاعة شديدة وقحط ذريع فجاء أهلها بأموالهم واشتروا من يوسف الحنطة والشعير بحيث نفدت نقودهم بعد مضي عام كامل.

وفي السنة الثانية؛ جاءه الناس بحُليّهم ومجوهراتهم وأعطوها له مقابل أن يعطيهم مقداراً من الحنطة، حتى نفدت مجوهراتهم في آخر السنة.

وفي السنة الثالثة؛ جاءه الناس بمواشيّهم وأغنامهم فأعطوها له مقابل أن يعطيهم كمية من الطعام، حتى نفدت هذه أيضاً في آخر السنة.

وفي السنة الرابعة؛ باعوا غلمانهم وجواريهم ليوسف مقابل أن يعطيهم مقداراً من الغذاء.

وفي السنة الخامسة؛ باعوه بيوتهم وأراضيهم وكل ما يملكونه ليحصلوا على ما يسدون به رمقهم ويشبع جوعتهم.

وفي السنة السادسة؛ جاءوه بأبنائهم وجعلوهم خدماً وغلماناً عنده مقابل أن يعطيهم كمية من الطعام يتقوتون به.

---

(١٨٠) قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**يوسُفُ أيّها الصدّيقُ أفتِنا.... قالَ تزرعُونَ سَبعَ سنينَ دأباً فما حصدتُمْ فذروهُ في سُنبلِهِ إلاّ قليلاً ممّا تأكلونَ ۝ ثمَّ يأتي مِن بعدِ ذلكَ عامٌ فيه يُغاثُ الناسُ وفيهِ يُعصرون**﴾ (يوسف/ ٤٦ ـ ٤٨).

(١٨١) قال القرآن الكريم في ذلك: ﴿**وقَالَ الملكُ ائتوني به استخلصه لنفسي فلما كلّمه قال انك اليوم لدينا مكينٌ أمينٌ ۝ قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم ۝ وكذلك مكّنا ليوسف في الأرض يتبوّأ منها حيث يشاء....**﴾ (يوسف/ ٥٤ ـ ٥٦).

وفي السنة السابعة؛ لم يجدوا لديهم ما يعطونه له ويأخذوا طعاماً يسد رمقهم فباعوه أنفسهم وارتضوا أن يكونوا عبيداً له، وبهذا آل الأمر إلى أن يكون جميع المصريين عبيداً ليوسف، وحينذاك أعتقهم كلهم وأفرج عن أموالهم وأعادها إليهم من جديد.

وبعد موت (عزيز مصر) تابت زليخا من ذنوبها وصارت من النساء المؤمنات الناسكات ومن أشهر النسوة الزاهدات في ذلك العصر، وبالتالي فقد تزوجت يوسف فرُزقا ولدين(١٨٢).

* * *

(١٠٨)

حبيب النجّار

في أحد الأزمنة القديمة، كانت هناك مدينة كبيرة تدعى (أنطاكية) تقع في آسيا الصغرى، ويبلغ طولها اثني عشر ميلاً ويسكنها عدد كبير من الناس. وكان سكان هذه المدينة أناساً ضالّين وظَلَمة يعبدون النجوم والأوثان، فبعث الله لهم ثلاثة أنبياء ليهدوهم ويرشدوهم إلى سواء السبيل ويعيدوهم إلى فطرتهم الأصلية؛ فطرة التوحيد.

ذهب الأنبياء الثلاثة إلى أنطاكية وطفقوا يمارسون الدعوة والتبليغ، وأخذوا ينتقلون من ناحية إلى أخرى ويحدثون الناس ويدعونهم إلى توحيد الله تبارك وتعالى، ويذكّرونهم بالمعاد ويوم القيامة ويحذّرونهم من عذاب الله.

ومضت مدة من الزمن، لم يؤمن بهم من أهل أنطاكية سوى أربعين شخصاً بينما عارضهم معظم الناس وأخذوا في إيذائهم ومضايقتهم

---

(١٨٢) القيامة والقرآن/ ص ٢٢٧.

وملاحقتهم هم وأتباعهم، وأخيراً أقدموا على اعتقالهم وممارسة التعذيب ضدهم، فثقبوا رقابهم وأدخلوا فيها الحبال وشنقوهم، فظلوا هكذا حتى بلغوا درجة الشهادة الرفيعة.

وكان في أنطاكية رجل مؤمن طيب الأرومة يدعى (حبيب النجار). وكان قد آمن بهؤلاء الأنبياء لكنه ظل يكتم إيمانه. وعرف عنه العمل الصالح والإحسان للآخرين حتى انه كان يسد رمقه من حصيلة كد يمينه بالنِّجارة ويقسم ما يحصل عليه من رزق إلى قسمين؛ قسم لعائلته وقسم لمساعدة الفقراء والمساكين.

وعندما سمع بشنق أولئك الأنبياء وأتباعهم، سارع إلى الحضور في ميدان المدينة وخاطب أهاليها المجتمعين لرؤية شنق الأنبياء والمؤمنين بأعلى صوته قائلاً:

﴿يا قَومِ اتّبِعوا المرسَلينَ * اتّبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون * وما لَي لا أعبدُ الّذي فطرني وإليهِ تُرجَعونَ * أأتخذ من دونه آلهة إن يُردنِ الرحمنُ بضرٍّ لا تُغنِ عنّي شفاعتُهُم شيئاً ولا ينقذونِ * إنّي إذاً لفي ضلالٍ مبينٍ * إنّي آمنتُ بربِّكُم فاسمعونِ﴾[١٨٣].

ولكن الناس ـ وبدلاً من أن يستمعوا لكلام حبيب النجار ونصيحته فينتبهوا من غفلتهم ـ هجموا عليه وأوسعوه ضرباً وركلاً وتكاثروا عليه وضربوه ضرباً مبرحاً حتى الموت بحيث انهم مزقوا أحشاءه وخنقوه ثم ألقوه به في بئر وأهالوا عليه التراب حتى امتلأت البئر وصار مدفناً له.

ويقال انهم أمسكوا به وأخذوا ينشرونه بالمناشير فقسموه نصفين من قمة رأسه حتى وسطه، وروي أن قتله قد تم بطريقة أخرى وهي انهم ثقبوا رقبته وأدخلوا فيها الحبل وعلقوه في الصليب حتى توفي.

---

(١٨٣) سورة يس/ ٢٠ ـ ٢٥.

وكان آخر ما نطق به حبيب النجار قبل وفاته هو أنه رمق الأنبياء بصره وقال:

ـ لقد آمنت بربكم فاشهدوا لي بذلك.

وقد آتاه الله نعم الجزاء وأجزل له الثواب، إذ بمجرد أن فارقت روحه جسده الشريف:

﴿قيل أدخل الجنة[١٨٤] قال يا ليت قومي يعلمون * بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين﴾[١٨٥].

فهنيئاً له بحسن العاقبة[١٨٦].

* * *

(١٠٩)

ثلاثة وثلاثون عاماً من الدعوة

بعث الله يونس نبياً وهو في سن الثلاثين. وكان محل بعثته ورسالته في نينوى شمال العراق. وظل يمارس الدعوة والتبليغ مدة ثلاثين عاماً، ويطلب إلى قومه الإيمان بوحدانية الله والعمل الصالح. ولم يؤمن به في هذه الفترة سوى شخصين هما (روبيخ) وكان من آل النبوة والرسالة و(تنوخا)[١٨٧].

وبعد ثلاثين سنة من الجهود المتواصلة والمثابرة المستمرة يئس

---

(١٨٤) المقصود بذلك جنة البرزخ.

(١٨٥) سورة يس/ ٢٦ ـ ٢٧.

(١٨٦) قلب القرآن/ ص ٨٥.

(١٨٧) ورد في (قصص الأنبياء) للجزائري نقلاً عن (تفسير علي بن إبراهيم) أن الإمام الصادق ذكر اسمي صاحبي يونس (ع) فقال انهما: مليخا وروبيل (أنظر ص ٤٨٤) وبلفظ (روبيل وتنوخا) في ص ٤٨٨ من الكتاب نقلاً عن تفسير العياشي مروياً عن الباقر (ع) ـ جبارة.

يونس من إيمان قومه فدعا الله عليهم وقال:

- إلهي! حتامَ أبقى أعاني من هؤلاء القوم وهم في كفرهم سادرون وعن الإيمان بك والتصديق بي ممتنعون. فأرسل عليهم عذاباً يعمهم ولا يبقى على الأرض منهم ديّاراً.

فأتاه النداء:

- يا يونس. صبراً قليلاً، ولك اسوة في نوح الذي دعا قومه الفاً إلا خمسين عاماً قبل أن يدعو عليهم، فلما بلغ به اليأس منهم ما بلغ دعا عليهم فأنزلت عليهم العذاب.

فقال يونس، وقد ضاق بقومه ذرعاً:

- إلهي! لا طاقة لي بتحملهم أكثر من هذا، فقد نفد صبري كله.

وبالجملة، فقد أصر يونس في إلحاحه على الله - عزَّ وجلَّ - بأن ينزل عليهم العذاب، ولأنه كان ذا منزلة رفيعة عند الله وله المقام السامي والدعاء المستجاب فقد استجاب الله له دعاءه ووعده بنزول العذاب عليهم بعد ثلاثة أيام. ولنلتفت هنا إلى نقطة مهمة وهي أن الوعد الذي قطعه الله على نفسه ليونس هو (نزول العذاب) لا (إهلاك القوم وتدميرهم). لكن يونس (ع) لم ينتبه إلى هذه القضية.

وبعد ذلك، ذهب يونس إلى روبيخ وقال له:

- دعوت الله (تبارك وتعالى) أن ينزل العذاب على هؤلاء القوم، واستجاب الله لي،وانهم مهلَكُون عن قريب، فهلم معي نغادر المدينة.

فأجابه روبيخ:

- ادعُ الله أن يكف العذاب عنهم، فإنه يحب عباده.

فلم يقبل يونس كلام روبيخ، وقرر الأخير أن يبقى في المدينة ولا يغادرها بمعية يونس. فذهب (ع) إلى (تنوخا) وقال له:

- لقد استنزلت العذاب الإلهي على هؤلاء القوم الكافرين وانهم

يوشك أن يهلكوا فهلم معي نخرج من المدينة. فاستحسن تنوخا عمل يونس (ع) وقال:

ـ نعم العمل ما فعلت، وسنبقى وحدنا نحن الثلاثة ـ بعد هلاك الكافرين ـ فنعبد الله حق عبادته.

وغادر تنوخا المدينة برفقة يونس، وحدث ما أخبر به يونس صاحبيه.

فقد اصفرت ـ في اليوم الأول ـ وجوه القوم.

وفي اليوم التالي اسودّت وجوههم أجمعون.

وعلم الناس ـ حينذاك ـ أن ما وعدهم به نبيهم من نزول العذاب وما حذّرهم به من سخط الله يوشك أن يقع أو هو واقع لا محالة، فتيقظوا من غفلتهم وقرروا أن يلتجئوا إلى يونس ويستنجدوا به، وعندما أرادوا التوسل به لرفع العذاب عنهم وجدوا أنه غادر المدينة، فذهبوا ـ مضطرين ـ إلى (روبيخ) ولجأوا إليه وطلبوا إليه أن ينقذهم مما هم فيه ومما يوشك أن يحل بهم. فقال لهم (روبيخ):

ـ إن كان يونس قد ذهب فرب يونس لم يذهب، وهو القادر على انقاذكم ودفع البلاء عنكم.

ثم أمرهم (روبيخ) بأمور منها:

ـ أصلحوا ذات بينكم، وليعط كل واحد منكم ما لغيره عنده من حقوق بأسرع ما يستطيع.

وسرعان ما نفّذ الناس ذلك، فكان بعضهم يبالغ في ذلك فإذا كان لغيره حجر في جدار بيته خرّب الجدار واستخرج الحجر وأعطاه إلى صاحبه.

وفي اليوم الثالث، خرج قوم يونس من مدينتهم عن بكرة أبيهم، بل خرجت معهم حتى الحيوانات، وأصحر الجميع دون استثناء، صغاراً

وكباراً، ففصلوا الأطفال عن أمهاتهم، وأخذوا يبكون كلهم بكاءً مراً، ويتضرعون إلى الباري ـ عزَّ وجلَّ ـ أن يغفر لهم ويتوب عليهم، فاختلطت صرخات الأطفال بأنّات التائبين واستغفار المذنبين، وضج الناس أجمعين باسم رب العالمين، فكان الجميع يهتف (يا ألله) و(يا رب) وتردّدت أصداؤهم في أجواء الصحراء، وكانوا يخاطبون الله قائلين:

ـ ربنا ظلمنا أنفسنا وكذّبنا نبيّنا وتبنا إليك من ذنوبنا وان لم تغفر لنا ولا ترحمنا لنكونَنَّ من الخاسرين المعذبين، فاقبل توبتنا وارحمنا يا أرحم الراحمين.

وهكذا زال البلاء الذي نزل وأوشك أن يعم الناس وحوّله الله ـ بعد هذه التضرعات والتوسلات والاستغاثات ـ عنهم، فأصاب به جبال الموصل فتلاشت.

ولم يك يونس قد ابتعد عن نينوى كثيراً حتى وافى العذاب أهلها وكاد أن يصيبهم، وظل ينتظر ماذا سيقع عليهم من البلاء، ولكنه عندما لم يتناه إلى مسامعه خبر هلاكهم، هام على وجهه متوجهاً صوب شاطىء البحر، وعندما وصله تحيّر ماذا يفعل وإلى أين ينطلق، وفجأة شاهد سفينة توشك أن تغادر الشاطىء وتمخر عباب البحر فسأل ركابها:

ـ هل من الممكن أن تأخذوني معكم.

قالوا:

ـ بلى، هلمّ واركب معنا.

فصعد يونس في السفينة، وعندما توسطت البحر، وإذا بحوت عظيم يخرج من تحت الماء واعترض طريق السفينة وظل يحوم حولها ولا يفارقها، وأخذت أمواج البحر تتلاطم وكادت أن تغرق السفينة، فصاح ربانها:

ـ علينا أن نضحي بقربان كي يهدأ ماء البحر وتسكن أمواجه المتلاطمة ويذهب الحوت إلى حال سبيله، والأفضل أن نعين القربان

بالاقتراع بين راكبي السفينة، وعلام وقعت القرعة ألقيناه في البحر.

فساهم الجميع واقترعوا، وإذا بالسهم يقع على اسم (يونس) وباعتبار انهم كانوا يرونه امرؤ جليلاً وشيخاً صالحاً ورعاً، قرروا إعادة القرعة، بيد انهم فوجئوا بوقوع القرعة باسمه مرة ومرتين أيضاً، فلم يجدوا بدّاً من إلقائه في البحر، وبمجرد أن قذفوا فيه فغر الحوت فاه والتقمه على الفور.

وظل يونس (ع) حبيساً ـ أياماً طويلة ـ في بطن الحوت دون أذى، وسنحت له الفرصة للتفكير والتأمُّل فيما قام به والتدبّر في صحة عمله الذي أقدم عليه بالدعاء على قومه واستنزاله العذاب عليهم، فندم على ذلك، فناجى الله قائلاً:

﴿لا إله إلا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين﴾(١٨٨).

واستغفر ربه وأناب، وكانت النتيجة هي ما نبّأ به القرآن الكريم:

﴿فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين﴾(١٨٩).

إذ جاء به الحوت:

﴿فلولا أنه كان من المسبحين * للبث في بطنه إلى يوم يبعثون * فنبذناه بالعراء وهو سقيم﴾(١٩٠).

وكان قد أصابه الضعف والمرض والهزال في تلك الفترة التي قضاها في بطن الحوت:

﴿وأنبتنا عليه شجرةً من يقطين﴾(١٩١).

---

(١٨٨) سورة الأنبياء/ ٨٧.

(١٨٩) سورة الأنبياء/ ٨٨.

(١٩٠) سورة الصافات/ ١٤٣، ١٤٥.

(١٩١) سورة الصافات/ ١٤٦.

فاستظل بها وأكل من ثمرها فعالجه ثمرها وستره ظلّها، وظل يقتات عليها ويستعيد عافيته تدريجياً، ثم:

﴿أرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾[192].

فعاد إلى قومه، ورفع مقامه ومنزلته في عليين وفضله على كثير من العالمين[193].

* * *

(١١٠)

الحديد يلين لداوود

روي عن الإمام الصادق (ع) أن الله أوحى لداوود (ع):

(نعم العبد أنت غير أنك تأكل من بيت المال).

فطلب داوود إلى الله تعالى أن يعلّمه عملاً يتقوت به ولا يجعله بحاجة إلى بيت المال، فأمر الله الحديد أن يلين في يده[194]، فأخذ يصنع الدروع الحديد ويبيعها بثلاث مائة درهم، فينفق نصفها في سبيل الله تعالى، ويعطيها للفقراء والمحتاجين، وينفق نصفها الآخر على عياله، كي يعلم الناس انه لا طمع عنده في مال الآخرين وثروتهم، وبالتالي فعندما يقول لهم:

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

كما يعبّر القرآن، ينصتوا له ويدركوا أنّه نبيٌّ مبعوث من قبل الله وليس له أية أطماع في ما عندهم ولا يريد تحقيق أهداف مادية.

---

(١٩٢) سورة الصافات/ ١٤٧.

(١٩٣) العدل/ ص ٣٥٣.

(١٩٤) قال تعالى: ﴿وألنّا له الحديد ۝ أنْ اعملْ سابغات وقدّر في السرد﴾ (سبأ/ ١٠ ـ ١١) وقال كذلك ﴿وعلمناهُ صنعةَ لبوسٍ لكم لتحصنكم من بأسكم﴾ (الأنبياء/ ٨٠).

وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) يمارس السقاية والزراعة كي يعرف الناس انه لا يطمع في ما يملكونه من مال أو جاه. فكان (ع) يجمع نوى التمر في أكياس كبيرة وينقلها على عاتقه ثم يستفيد منها في شؤونه المختلفة وينفق من ثمنها على عياله. وكان يحفر الآبار ويسقي الأراضي ويقيم المزارع والحقول ويزرع الأشجار، حتى إذا أثمرت وجنى ثمارها باعها وتصدّق بثمنها على الفقراء والمساكين ولم يأخذ له درهماً واحداً إلى بيته، كي يفهم مقصوده الناس ويعرفوا صدقه عندما يصيح من على المنبر:

(أيهاالناس تجهّزوا).

ويحذّرهم من عذاب الله ويحثّهم على الاستعداد للآخرة؛ يعلموا أنه صادق في ما يقول ولايريد الاستحواذ على أموالهم أو التحكّم في مصائرهم أو فرض سلطته عليهم[١٩٥].

* * *

(١١١)

الشيطان يستغيث بصحبه

كان (اليسع) من أنبياء الله، وذو الكفل من أصحابه. وفي أواخر عمره قال اليسع (ع) لأصحابه:

- إنني أبرم معكم عهداً، فأيكم يلتزمه وينفّذه فسيكون وصيي. والعهد هو أن تكونوا حلماء عند الغضب وتسيطروا على زمام أنفسكم ولا تتبعوا الشيطان.

---

(١٩٥) قلب القرآن/ ص ٧٢.

وكان ذو الكفل واثقاً من نفسه فعاهد اليسع على ذلك وقطع على نفسه وعداً بأن لا يغضب غضباً شيطانياً قط، وهكذا بلغ مرتبة النبوّة، وباعتبار أنه قطع على نفسه عهداً بأن لا يغضب للشيطان فقد كان هذا يحاول اغضابه بشتى الوسائل والأساليب، لكن ذلك الإنسان الجليل كان ثابتاً كالجبل الذي لا يتزعزع.

ويوماً أطلق الشيطان صيحة مدوية وجمع أقرانه وقال:

ـ انني لم يعد بوسعي أن أتحمل ذا الكفل، إذ لم أتمكن من إغضابه بالرغم من جميع وسائلي وأساليبي.

قال أحد الأبالسة ـ واسمه أبيض:

ـ دعني أنا أقوم بهذه المهمة، وسترى أنني أجعله يغضب.

وكان من خصائص هذا النبي أنه لا ينام ليلاً أبداً ويقضي الليل كله بالعبادة وذكر الله، وفي النهار يقضي حاجاته وحاجات الناس، وحين يحل الظهر ينام قليلاً ويستيقظ عصراً فيقضي حاجات الناس.

وفي أحد الأيام، كان ذو الكفل نائماً وقت الظهر في منزله، فجاء الأبيض هذا وطرق الباب بقوة، فسأله البواب:

ـ ماذا تريد أيها الطارق؟

أجاب الشيطان:

ـ لديَّ شكوى وأريد أن أترافع عند ذي الكفل.

أجابه البواب:

ـ إن النبي نائم الآن، تعال غداً صباحاً.

صاح الشيطان بأعلى صوته:

ـ انني جئت من مكان بعيد وقطعت مسافة طويلة ولا أستطيع المجيء غداً.

وظل يصرخ الأبيض ويرفع صوته عالياً بين الحين والآخر ليستيقظ ذو الكفل، وعندها انتبه النبي، ففتح له الباب وقال:

ـ إذهب وقل لخصمك في الدعوى أن يأتي معك غداً لأنظر في أمركما واحكم بينكما.

فأجاب الشيطان:

ـ إنه لا يأتي.

فأعطاه ذو الكفل خاتمه وقال:

ـ هاك خاتمي هذا علامةً، وقل لخصمك ان ذا الكفل يدعوك للمجيء عنده.

وفي اليوم المقرر، لم يستطع ذو الكفل أن يغفو، وبعد انتظار دام طويلاً جاءه الشيطان من جديد وطفق يصيح ويصرخ، وكان النوم قد غلب على النبي، ولكنه انتبه على صوت صراخ الشيطان فتوجه إليه وكلّمه بكل حلم ووقار واقنعه بالعودة إليه في غداة غد برفقة خصمه، إذ كتب له رسالة طلب فيها إلى ذلك الشخص أن يأتي إليه مع الخصم ليحل مشكلتهما.

وفي ذلك اليوم أيضاً لم يرقد النبي وبقي مستيقظاً ليلاً للعبادة وذكر الله. وحل صباح اليوم الثالث ولم يك النبي قد نام لثلاثة أيام متوالية وقد أخذ منه النعاس مأخذه فكان في أشد حالات الارهاق، وجاءه الشيطان من جديد وبدأ يصيح ويطلق صرخاته وقال:

ـ لقد حملت له رسالتك وأبلغته بها فلم يأت.

وأخذ يرفع صوته بشدة كي يُغضب النبيَّ، وقال له أخيراً:

ـ إن جئت معي الآن فإن القضية ستنتهي والمشكلة ستُحَل.

وفي ذلك الحين كانت أشعة الشمس محرقة بحيث لو عرِّضت لها قطعة من اللحم تنشوي، فقال له النبي:

ـ حسناً، هيا بنا نذهب معاً.

وأخذ يمشي معه ذو الكفل تحت أشعة تلك الشمس الحارقة وعندما رأى الشيطان ذلك ويئس من إغضاب ذي الكفل اطلق ساقيه للريح هارباً[١٩٦].

* * *

(١١٢)

قوم ثمود

كان قوم ثمود يقطنون منطقة في جزيرة العرب تقع بين الحجاز والشام، وعُرف عنهم أنهم كانوا كفاراً من عبدة الأوثان وغافلين عن ذكر الله، ونتيجة لكل ذلك وجراء غفلتهم عن الله ويوم القيامة فقد تورطوا في العديد من الأعمال القبيحة وأنماط الرذيلة وازدادت آثامهم وانحرافاتهم وتفاقم فسادهم يوماً بعد آخر.

وقد اختار الله صالحاً ـ وكان أحد أفراد أولئك القوم ـ للنبوة وكلّفهُ بهدايتهم، وكان عمره آنذاك حوالي ستة عشر عاماً وقد عرف بالصلاح والتقوى والإستقامة.

توجه صالح، بعد تكليفه بالرسالة الإلهية، إلى قومه ليبدأ في اصلاحهم، وقال لهم:

﴿إنّي لكُم رسولٌ أمينٌ * فاتقوا الله وأطيعونِ * وما أسألكم عليه من أجرٍ إنْ أجري إلاّ على ربِّ العالمين * أتتركون في ما ههنا آمنين * في جناتٍ وعيون * وزروع ونخلٍ طلعها هضيم * وتنحتون من الجبالِ

---

(١٩٦) الاستعاذة/ ص ١٣٠.

بيوتاً فارهينَ * فاتّقوا الله وأطيعونِ * ولا تطيعوا أمر المسرفين * الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون﴾[197].

لكن قومه أجابوه:

﴿... إنما أنتَ من المسحَّرينَ * ما أنتَ إلاّ بشرٌ مثلنا فأتِ بآية إن كنتَ من الصادقين﴾[198].

وقالوا له أيضاً:

﴿... يا صالح قد كنت فينا مرجوّاً قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإنّنا لفي شكٍّ مما تدعونا إليهِ مُريب﴾[199].

وبالرغم من عنادهم ومعارضتهم لصالح، فقد استمر هو في دعوته لهم، فلما رأوه يستمر في دعوته أخذوا يؤذونه ويعذبونه، وصارت السنون تمضي اثر بعضها وبلغ صالح سن المئة وعشرين عاماً لكن أحداً لم يؤمن به ولم يصدق رسالته، وظلوا يمارسون أعمالهم القبيحة ولا يقلعون منها.

وأخيراً، ملّ صالح من عناد قومه وغضب عليهم، فقال لهم:

ـ تعالوا نعقد اتفاقاً فيما بيننا. فإن أنا طلبت إلى أصنامكم حاجة معينة وقضوها لي نفضت يدي من دعوتي وتركتكم وشأنكم، ولكن ان لم يقضوا لي حاجتي فاطلبوا أنتم شيئاً أحقّقه لكم وسوف أعرض ما تريدون على ربي فإن حقق ما تريدونه فآمنوا به واتركوا عبادة الأوثان.

(*) فضلنا إضافة الآيات إلى المتن لكونها تخصه، بالرغم من عدم وجودها في الكتاب (جبارة).

(١٩٧) سورة الشعراء/ ١٤٣ ـ ١٥٢.

(١٩٨) سورة الشعراء/ ١٥٣ ـ ١٥٤.

(١٩٩) سورة هود/ ٦٢.

فقالوا:

ـ إنه عرضٌ منصف وكلام مقبول. فاطلب أنت شيئاً من أصنامنا.

واتفق الطرفان على يوم محدد للمواجهة وهو يوم العيد، فخرج الناس كلهم وهم يحملون الأصنام على أكتافهم بكل احترام وإجلال واجتمعوا في الصحراء بقضّهم وقضيضهم، وبدأوا في الرقص أمامها كي يحصلوا على رضاها، بزعمهم.

واستمروا على هذه الحال حتى ما بعد الظهر وأخذوا يكيلون لها المدح والثناء ويقولون لها:

ـ يا أيتها الآلهة! هذا هو اليوم الذي ينبغي أن تعينينا وتحققي ما يريده منك صالح وتقضي حاجته.

وعند ذاك توجّه صالح إلى الصنم الأكبر وناداه، فلم يجبه، ثم ذهب إلى صنم آخر فخاطبه لكنه لم يجبه هو الآخر، وطفق صالح يتجول على الأصنام واحداً تلو الآخر إلا أنه لا يجيبه بشيء والجمع ينظر كله إلى الأمر بترقُّب وتعجب.

وهنا التفت صالح إلى الناس فقال لهم:

ـ لِمَ لا تجيب أصنامكم خطابي؟! ألا يسمعون؟

فوقع الناس ساجدين أمام الآلهة وطفقوا يمرغون رؤوسهم في التراب ويتوسلون إلى الآلهة ويتضرعون لهم ويبكون بكاء مرّاً لكن أصنامهم لم تنبس ببنت شفة وظلت هامدة ساكنة دون حراك، ونادى صالح (ع) تلك الأصنام من جديد لكن أحداً منها لم يجب بل ظل الصمت المطبق يخيم عليها. وشيئاً فشيئاً اشتد حزن الناس وتزايد بكاؤهم وضجيجهم بيد أنهم لم يحصلوا سوى على الصمت والهمود.

وأخيراً انتهى ذلك اليوم واقتربت الشمس من المغيب فقال لهم صالح:

ـ والآن، اطلبوا من ربي ما تشاؤون.

فانتخب الناس سبعين شخصاً وقالوا لصالح:

ـ هؤلاء ينوبون عنا وكل ما يطلبونه فهو مطلبنا، وان تحقق ما يريدونه منك فإننا نؤمن بك، فطلب منهم صالح موثقاً وعهداً أكيداً بأن يؤمنوا به إذا حقق لهم مايرغبون، فأقسموا له مرتين بأن يفوا بوعدهم.

وعند ذاك استدعى صالح ممثلي قوم ثمود وسألهم:

ـ ماذا تريدون؟

فطفقوا يتشاورون فيما بينهم وقرروا أن يطلبوا إليه شيئاً مستحيل الوقوع بحيث يعجز عن الاتيان به، وكانت نتيجة المشاورات أنهم طلبوا إلى صالح الاقتراب من جبل لا يوجد فيه حتى غار واحد ولا توجد فيه أية شقوق وأخاديد، وقالوا له:

ـ نريد منك أن تطلب إلى ربّك يأمر الجبل فيلد شيئاً ذا مواصفات محددة وهي:

أولاً: أن يكون المولود حملاً!

وثانياً: أن يكون المولود من أنثى الجمال ـ أي ناقة ـ!

وثالثاً: أن يكون لونها أحمر!

وربعاً: أن يكون بدنها مليئاً بالوبر!

وخامساً: أن تكون هذه الناقة حاملاً وعمر جنينها عشرة أشهر!

وسادساً: أن يكون ما بين كتفيها ـ جنبيها ـ مسافة ميل!

ولم يكونوا يصدقون أن تحقيق ما أرادوا أمر ممكن. وقال لهم صالح:

ـ لقد سألتموني شيئاً يعظم علي ويهون على ربي.

ولما سأل صالح (ع) الله ـ تعالى ـ أن يحقق لهم ذلك، انصدع الجبل صدعاً كادت تطير منه العقول لما سمعوا صوته واضطرب الجبل كما تضطرب المرأة عند المخاض، وفجأة طلع عليهم رأس الناقة من ذلك الصدع، فما استتمت رقبتها حتى اجترت، ثم خرج سائر جسدها، ثم استوت قائمة وإذا بجميع المواصفات التي طلبوها قد تحققت فيها، فقالوا:

ـ يا صالح ما أسرع ما أجابك ربك، فاسأله أن يخرج لنا فصيلها.

فسأل الله ذلك، فرمت به فوراً فدبّ حولها، فقال صالح:

ـ يا قوم هل بقي شيء؟

قالوا:

ـ لا، فانطلق بنا إلى قومنا نخبرهم ما رأيناه ويؤمنوا بك، أما نحن فقد آمنا بك وصدّقناك.

وافق صالح على ذلك وسُرَّ به، وساروا متوجهين ناحية قومهم، وفي أثناء الطريق عاد أربعة وستون شخصاً منهم إلى الكفر وارتدّوا عن إيمانهم، وقالوا:

ـ ما كان الذي رأيناه إلاّ سحراً.

ولم يثبت على إيمانه سوى الستة الباقين، وقالوا:

ـ بل الحق ما رأيناه.

ثم ذهب هؤلاء إلى القوم وأخبروهم بولادة الناقة من الجبل وطلبوا إليهم الإيمان والتصديق بصالح، بيد أن أحداً من الناس لم يؤمن!! ومضتْ عدة أيام وكانت الناقة كبيرة جداً وشرهة للطعام، فكانت عندما تقترب من عين الماء لا يبقى أي مجال للناس. فشكا الناس أمرها إلى صالح، فاتفقوا على أن يجعلوا للناقة يوماً ولهم هم يوماً آخر، فكانت الناقة تأتي على الماء كله في يومها وتشربه كلّه، وبدلاً من ذلك فإنها تعطيهم حليباً وفيراً

بكميات كبيرة بحيث يرتوي منه الناس كلهم.

وكانت حيوانات المدينة تخاف وتجفل من رؤية تلك الناقة العظيمة، وصار الناس يتذمرون من ذلك وأخذوا يحاولون التخلّص منها بأي وسيلة كانت، وعندما عرف صالح ذلك قال لهم:

﴿يا قومِ هذهِ ناقةُ الله لكم آيةً فذروها تأكلُ في أرضِ الله ولا تمسُّوها بِسوءٍ فَيأخذكُم عذابٌ قريبٌ﴾(٢٠٠).

وأضاف صالح:

﴿هذه ناقةٌ لها شِربٌ ولكم شِرب يوم معلوم * ولا تمسّوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم﴾(٢٠١).

ومضت مدة من الزمن، وتذمر الناس من تلك الناقة بشدة، فقرروا أن يقتلوها واختاروا لهذه المهمة شخصين أحدهما يدعى (قدار) والآخر (مصدع) وهما من أبناء الزنا ومن الأراذل الأوباش، وقد تطوعت امرأتان مومستان أن تمكّناهما منهن إن هما قتلا الناقة.

وفي اليوم المحدد للجريمة صوب مصدع وقدار سهاماً إلى سيقان الناقة، ثم جاء قدار وعقر الناقة وقطع ساقها بسيفه، فهرب فصيل الناقة وصعد الجبل وأنّ ثلاثاً بحيث سمعه الناس كلهم، ثم اختفى.

وهجم الناس على الناقة هجمة رجل واحد وانهالوا عليها تقطيعاً لأوصالها، وحمل كل واحد منهم كمية من لحمها إلى بيته فأكله. ثم التفتوا إلى نبيهم صالح فكفلوا عدداً من جلاوزتهم بقتله بينما كان مشغولاً بالعبادة في غار جبل، فهجموا عليه شاهرين سيوفهم لكن الملائكة امطروهم بالحجارة وقضوا عليه.

---

(٢٠٠) سورة هود/ ٦٤.

(٢٠١) سورة الشعراء/ ١٥٥ ـ ١٥٦.

ونزل الوحي على صالح:

﴿... فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعدٌ غير مكذوب﴾[٢٠٢].

وأوضح:

ـ وعلامة هلاككم انه تصفّر وجوهكم غداً، وتحمرُّ بعد غدٍ وتسود في اليوم الثالث.

فلما كان من الغد نظروا إلى وجوههم فرأوها قد اصفرّت وفي اليوم الثاني احمرت وجوههم فكانت بلون الدم فلما كان الثالث اسودت وجوههم، فبعث الله عليهم صيحة جبرائيل (ع) فقطعت قلوبهم وخرّقت أسماعهم فماتوا أجمعين في طرفة عين، ثم أرسل الله عليهم ناراً من السماء فأحرقتهم، بقول القرآن[٢٠٣]:

﴿فلمّا جاء أمرنا نجّينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منّا ومن خزي يومئذ إن ربّك هو القوي العزيز * وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين * كأن لم يغنوا فيها ألا إن ثموداً كفروا ربهم ألا بُعداً لثمود﴾[٢٠٤].

(١١٣)
قوم عاد

كان قوم عاد يقطنون اليمن. وعرف عنهم أنهم كانوا يتمتعون بالقوة والثروة والأبّهة، بحيث انهم كانوا يرفلون بالنعم الإلهية والمنن الربّانية اللامحدودة. وبالرغم من ذلك فإنهم نسواخالق تلك النعم وصاحب تلك

---

(٢٠٢) سورة هود/ ٦٥.

(٢٠٣) سورة هود/ ٦٦ ـ ٦٨.

(٢٠٤) حقائق من القرآن/ ص ١١٤ ـ ١٤٠.

المواهب بل كفروا به وبأنعمه.

فبعث الله لهم رسوله هوداً لهدايتهم لكنهم كفروا به وطفقوا يؤذونه:

﴿وإلى عادٍ أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ان أنتم إلا مفترون * يا قوم لا أسألكم عليه أجراً إنْ أجري إلاّ على الذي فطرني أفلا تعقلون * ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوةً إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين﴾(٢٠٥).

فكان جوابهم له:

﴿..يا هودُ ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين * ان نقول إلاّ اعتراك بعض آلهتنا بسوء...﴾(٢٠٦).

فأجابهم:

﴿.. إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون * من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تُنظِرون * إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابّة إلاّ هو آخِذٌ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم * فان تولّوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ويستخلف ربي قوماً غيركم ولا تضرونه شيئاً ان ربي على كل شيء حفيظ﴾(٢٠٧).

لكنهم استكبروا وأصروا على كفرهم وظلوا يؤذونه ويعذبونه وأصابوه بجروح في جسمه، وخنقوه مراراً حتى ظنوا مرةً أنه قد مات لشدة الاختناق فتركوه وشأنه مطروحاً على الأرض لكن الله شفاه بعد حين.

وبقي هود يمارس الدعوة والتبليغ مدة سبعمائة وخمسين عاماً لكن الذين آمنوا به لم يكونوا إلا أفراداً قلائل، وكان أهل عاد طوال القامة أقوياء

(ه) فضلنا إضافة الآيات إلى المتن لكونها تخصه بالرغم من عدم وجودها في الأصل (جبارة).

(٢٠٥) سورة هود/ ٥٠ ـ ٥٢.

(٢٠٦) سور هود/ ٥٣ ـ ٥٤.

(٢٠٧) سورة هود/ ٥٤ ـ ٥٧.

الأجسام(٢٠٨)، وكانوا يبنون بيوتهم بالمواضع المرتفعة بين الصخور الضخمة ولذلك لم يظنوا يوماً أن أحداً يستطيع أن يخرّبها، وكانت لديهم المزارع والحقول المثمرة وقطعان المواشي والأغنام الكثيرة.

وبدلاً من أن تذكّرهم وفرة النعم الإلهية بخالقهم وصاحب العطايا الكريمة عليهم جعلتهم يتمادون في الكفر والطغيان والتمرُّد.

وعندما يئس هود من هدايتهم دعا الله عليهم فأخذ العذاب ينزل عليهم تدريجياً، فانقطع نزول المطر عنهم ثلاث سنوات، واشتد الجفاف وشاعت المجاعة في ديارهم، لكنهم لم ينتبهوا من غفلتهم ولم يندموا على ماضيهم ولم يؤمنوا بهود.

ثم سلط الله عليهم أصغر مخلوقاته، فازدادت أعداد النمل في بلدهم بحيث انهم أينما جلسوا علا وجوههم ورؤوسهم النمل، بينما لجأ أغنياؤهم إلى المغارات والكهوف في الجبال فراراً من النمل.

ثم أمر الله الرمال فتجمعت على مشارف بلدهم فأحس هود بقرب نزول العذاب الإلهي الشامل فقال لهم:

ـ إن العذاب يوشك أن ينزل عليكم وهذه بوادره ومقدماته فآمنوا بالله كي يبتعد عنكم العذاب.

لكنهم كانوا يجيبونه وأرجلهم تعلوها الرمال:

ـ من يستطيع أن يزعزع قوتنا ويحركنا من أماكننا؟!

وبعد عدة أيام بدأت تهب عليهم العواصف والرياح الشديدة، فأثارت الرمال المجتمعة على مشارف بلدهم، وأخذت تندفن مدينتهم في الرمال شيئاً فشيئاً، بحيث استمرت العواصف في الهبوب عليهم مدة سبعة

---

(٢٠٨) في رواية عن الإمام أبي جعفر الباقر (ع):

(كانوا كأنهم النخل الطوال، فكان الرجل منهم يضرب الجبل بيده فيهدم منه قطعة) وقيل إن أطولهم مئة ذراع وأقصرهم سبعون ذراعاً) ـ المترجم.

أيام:

﴿إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم * ماتذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم﴾[209].

ويكفي لتصوّر شدة تلك الريح أن تقرأ قول الله:

﴿وأما عادٌ فأهلكوا بريح صرصر عاتية * سخّرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيامٍ حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجازُ نخل خاوية * فهل ترى لهم من باقية﴾[210].

فكانت الريح ترفع الرجل منهم في الجو بحيث يحسبه من يراه من الأرض أنه عصفور، ثم تهوي به على الأرض فيرتطم بها رأسه ويتحطم. اما من لجأوا إلى المغارات فقد هلكوا لشدة ما حلّ بهم من الجوع والظمأ بحيث لم يبق منهم أحد يُذكر.

وبعد هلاكهم أجمعين نزح هود والقلة الذين آمنوا به إلى مكة المكرمة فسكنوها حتى حانت وفاته[211].

* * *

(١١٤)

بعد خمسة آلاف عام

مضت خمسة آلاف عام على هلاك قوم عاد اثر نزول العذاب الإلهي عليهم لكفرهم، تنقلت أزمّة الحكومة بيد شتى الحكام والخلفاء

(٢٠٩) سورة الذاريات/ ٤١ ـ ٤٢.

(٢١٠) سورة الحاقة/ ٦ ـ ٨.

(٢١١) لم يذكر المؤلف مصدر هذه القصة لكننا وجدناه في كتاب (حقائق من القرآن)/ ص ١٠١ (المترجم).

حتى وصلت إلى سلاطين بني العباس، ومن أوائلهم (المنصور) العباسي. ويوماً أمر أبو جعفر المنصور بحفر بئر ماء في أرض اليمن.

بدأ الحفارون في حفر تلك البئر، إلا أنهم لم يحصلوا على نتيجة تُذكر ولم يبلغوا ماءً، لكن المنصور أمرهم بالاستمرار في حفر البئر والتعمق فيها أكثر فأكثر، فواصل العمال أعمال الحفر والتنقيب عن الماء.

ومضت أعوام طويلة وهلك المنصور وتولى الحكم ابنه المهدي العباسي والحفر ما زال مستمراً دون جدوى، ويوماً طلب نتيجة الأمر فقيل له:

ـ إن الحفر ما زال متواصلاً بسرعة دون نتيجة.

فغضب غضباً شديداً وقال لهم:

ـ عليكم بالاستمرار في حفر البئر حتى تبلغوا الماء، حتى لو كلف الأمر انفاق كل ما في الخزانة العامة للدولة!

وطفق الحفارون يواصلون أعمالهم ليل نهار حتى وصلوا إلى صخرة كبيرة، فبذلوا جهوداً واسعة حتى أمكنهم زحزحتها بعض الشيء وأحدثوا ثقباً إلى جانبها، وأخذ يخرج من الثقب تيار من الهواء سريع، فقرروا استكشاف ما وراء الصخرة، فجاؤوا برجلين وأجلسا في شق محمل ودلّيا في البئر ودخلا من الثقب المذكور، وبعد برهة من الزمن هزّا الحبل طالبين الخروج من هناك فسحبوهما إلى الأعلى وأخرجوهما من البئر وسألوهما:

ـ ماذا شاهدتما هناك؟

أجابا:

ـ أمراً عظيماً: نساءً ورجالاً وبيوتاً وآنية ومتاعاً، كلهم مسوخ من حجارة، فأما الرجال والنساء فعليهم ثيابهم. فمن بين قاعد ومضطجع ومتكيء، فلما مسسناهم إذا ثيابهم تتقشأ مثل الهباء، ومنازلهم قائمة.

أوصلوا الخبر إلى المهدي العباسي، فاستدعى علماء ذلك الزمان

وسألهم عن ذلك، فاعترفوا جميعاً بجهلهم بحقيقة هذه القضية وأقروا بعجزهم عن ادراك فحواها. فاستقدم المهدي العباسي الإمام موسى بن جعفر الكاظم من المدينة المنورة ليسأله عن دلك.

ولما سئل الإمام عن ذلك بكى طويلاً ثم قال:

- «هؤلاء بقية أصحاب عاد غضب الله عليهم فساخت بهم منازلهم، هؤلاء أصحاب الأحقاف» أي الرمل.

* * *

(١٥٠)

معجزة القرآن

من أخبار القرآن الغيبية؛ تأكيده أن أحداً لا يستطيع الاتيان بمثله أبداً. يقول الباري - تبارك وتعالى - في هذا الشأن:

﴿قل لئن اجتمعت الجنّ والأنس على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾[٢١٢].

وفي عصر صدر الإسلام، عندما نزل القرآن الكريم، كان الشعراء والبلغاء العرب قد اعتادوا تعليق أشعارهم على ظهر الكعبة، مفاخرة للآخرين بها وتباهياً عليهم، وعندما رأوا بلاغة القرآن ذهبوا بأنفسهم وأنزلوها وذلك يعني أن بلاغة القرآن الكريم كانت قمة البلاغة والفصاحة التي لا يمكن مضاهاتها فأي كلام آخر له ما للقرآن من الميزات والمحاسن والمواصفات السامية!؟

والمعروف ان ابن المقفع كان يعد من أفصح أهل زمانه وأبلغهم، بل كان مقدّماً على كل من سواه من الأدباء والبلغاء في ذلك العصر. ويوماً قرر أن يصطنع سورة على منوال السور القرآنية ومن قبيلها. فاستدعى اثنين

(٢١٢) حقائق من القرآن/ ص ١١١.

من أقرانه وكانا يضاهيانه في الأدب والبلاغة فأجمعوا أمرهم وقرروا الاشتراك في هذا المشروع.

واعتكف الثلاثة في بيوتهم وحاولوا أن يكتبوا آية على غرار قوله تعالى:

﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين﴾[٢١٣].

وأخذوا يبدلون بعض الكلمات ويضعون محلها كلمات جديدة لكنهم عجزوا عما أرادوا ولم يحالفهم سوى الفشل والخيبة، فقرروا ترك هذا الأمر والانصراف عنه، واعترفوا بعجزهم حتى عن الاتيان بآية واحدة على غرار آي الذكر الحكيم[٢١٤].

* * *

(١١٦)

ابن المقفع: النبي المزيّف

ابن المقفّع من جملة الأشخاص الذين ادعوا النبوة في العصر العباسي. وكان يعتبر نفسه ذا رسالة ومعجزة ويدعي لنفسه النبوة، وكانت «معجزته» قمر صغير لا يتجاوز حجمه الشبر المربّع، وهو يطلع عند الغروب من بئر معيَّنة ويظل برهة من الزمن يشع ضياؤه في الجو ثم يغيب في البئر من جديد.

وعُرِف عن ابن المقفّع أنه كان قبيح الصورة «مجدّر» الوجه، وفي سبيل أن لا يستقبح الآخرون منظره الكريه كان يغطيه بقناع له من ذهب.

---

(٢١٣) سورة هود/ ٤٤.

(٢١٤) النبوة/ ص ٧٧.

والطريف أن حفنة من الجهلة الحمقى كانوا يعتبرونه نبياً ويؤمنون به ولهذا التفوا حوله وأخذوا يظهرون له الولاء والحماس. وكانت ثلة من المحتالين تحيط به وتحرّض الآخرين على الإيمان به وتصفق له وتروج لمفترياته ومزاعمه.

واستطاع ابن المقفّع أن يسيطر على قلعة محصنة وأخذ يتعاظم أمره، فقاوم الحكم العباسي سنين طوال، ولذلك قرر أحد خلفاء بنو العباس القضاء عليه والتخلص من شرّه وشر أتباعه وانهاء فتنته، فأصدر الخليفة أمراً بتجهيز جيش ومهاجمته، فهاجمه الجيش المذكور وحاصر قلعته.

واستمر الحصار عدة أشهر، وعندما أدرك ابن المقفّع أنه لا يستطيع المقاومة أكثر من هذا قام بتسميم مياه المدينة ومات عدد كبير من سكانها، ثم أحضر زيراً مليئاً بالتيزاب (حامض النتريك) فذاب جسمه تماماً.

وبعد أن اقتحم الجيش القلعة شاهدوا الناس موتى وليس لابن المقفّع عين ولا أثر، فبحثوا عنه طويلاً حتى وجدوا شعر رأسه قد طفا على سطح التيزاب في الزير الخزفي، ولم تكن قد نجت من السم سوى عجوز أخبرت الجيش العباسي بانتحار ابن المقفّع(٢١٥).

* * *

(١١٧)

خلق بطيخة بثلاثة أيام

في عصر أحد الخلفاء العباسيين ظهر ساحر أخذ يقوم بأعمال تستحوذ على اهتمام الناس وتثير اعجابهم. وعندما أدرك أن الناس المحيطين به حمقى وبُله طفق يدّعي النبوّة ـ لما رأى من تصديقهم له ـ

---

(٢١٥) النبوة/ ص ٥٠.

وعند ذاك آمن به حفنة من البسطاء السذّج والتفّوا حوله.

وأخبر الخليفة بظهور هذا المحتال وأنّه من الممكن أن يؤدي أمره إلى حصول فتنة وتهديد الحكومة بالخطر، فأمر الخليفة بإلقاء القبض عليه وجلبه عنده، فجلبوه إلى البلاط، وسأله الخليفة:

ـ أتدعي النبوّة يا هذا؟!

أجاب الساحر المحتال:

ـ أجل.. إنني نبيٌّ.

وكان على الخليفة ـ والحال هذه ـ أن يصدر أمراً بقتله لكنه، وبدلاً من ذلك، سأل الساحر:

ـ ان لكل الأنبياء معاجز فما هي معجزتك؟

أجابه الساحر:

ـ وأنا الآخر يمكنني الاتيان بالمعجزة. فكل ما تطلبه مني سأحقّقه لك.

وكان الفصل ـ آنذاك ـ شتاءً، ولم تكن هناك امكانية لزرع الفواكه أو المخضرات الصيفية أو تداولها، ولهذا قال الخليفة للساحر:

ـ أريد منك بطيخاً!

قال الساحر:

ـ امهلني ثلاثة أيام لكي أعدّه لك أيها الخليفة!

فقال الخليفة:

ـ لكنني اريده حالاً وعليك أن تحضره الآن لا بعد ثلاثة أيام.

فأجاب الساحر:

ـ يا أيها الخليفة! انك لو طلبت الآن إلى الله أن يعطيك بطيخة لأعطاكها بعد ستة أشهر، هذا وهو الله نفسه خالق كل شيء، فكيف بي وأنا لست غير نبي ضعيف لا أكثر؟! هل تستكثر الثلاثة أيام عليّ ولا تستكثر الستة أشهر من ربك؟!

ضحك الخليفة من ذلك وأدرك أن هذا الشخص ليس إلا امرؤ محتال مخادع. وهنا أصدر أمره، بارسال الساحر إلى المطبخ الملكي التابع لقصر الخلافة واستضافته فيه أياماً على أفضل وجه. وبعد مضي بضعة أيام أمر باحضاره عنده فأحضر فسأله الخليفة:

ـ هل استضافوك على أكمل وجه وبأحسن أساليب الضيافة؟

أجاب الساحر:

ـ أجل يا حضرة الخليفة، وجدنا منهم كرم الضيافة بفضل أوامركم.

فسأله الخليفة:

ـ وهل نزل عليك الوحي خلال فترة الضيافة التي مرّت.

أجاب الساحر:

ـ أجل، أوحي إليَّ مراراً أن هذا خير مقام لك فلا تغادره قطّ[٢١٦]!!.

---

(٢١٦) معارف من القرآن/ ص ٤٦٣.

الفهارس

فهرست الأعلام

المعصومون عليهم السلام من أهل البيت (ع)

الأشخاص

ألف